قصة البقرة وقتيل بني إسرائيل

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ
قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ
إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ
فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا
لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ
ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ
ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ
إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي
ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ
فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ
بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ٧٣ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ
كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
تَعۡمَلُونَ ٧٤

الكلمة	معناها
﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾	أتهزأ بنا وتسخر منا؟
﴿فَارِضٌ﴾	هرمة مُسنة.
﴿بِكْرٌ﴾	البكر هي: الصغيرة التي لم يفتحلها الفحل.
﴿عَوَانٌ﴾	وسط (أي: وسط بين الفارض والبكر) وقال بعض العلماء: هي التي ولدت مرة أو مرتين.
﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾	شديد الصفرة.
﴿تَشَٰبَهَ﴾	اختلط.
﴿لَّا ذَلُولٌ﴾	لم يذللها العمل.
﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾	تقلبها للحرث (والمعنى: أنها لا تثير الأرض أي: ليست ذلولًا؛ لأنها لا تثير الأرض).
﴿مُسَلَّمَةٌ ﴾	صحيحة سليمة من العيوب.
﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾	ليس فيها بياض ولا سواد(1) ولا حمرة (أي: صفراء لا يخالطها لون آخر) وأصله: من وشْيِ الثوب وهو: تحسينه بالألوان.
﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾	كادوا أن لا يفعلوا.
﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾	اختلفتم ـ تنازعتم ـ تخاصمتم.
﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾	ما كنتم تسرونه من أمر القاتل وقاتله.
﴿بِغَٰفِلٍ﴾	الغفلة هي: ترك الشيء على وجه السهو.

(1) ونقل عن الإمام أحمد $ أنه قال: لا شية فيها، أي: لا سواد فيها كما في (مرويات الإمام أحمد في التفسير).

س: ما مناسبة قول موسى غ لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة:٦٧]؟

ج: مناسبته ـ والله أعلم ـ أنهم سألوه عن رجل منهم قُتل فاختلفوا في قاتله من الذي قتله(1).

وذكر الطبري خ بأسانيده إلى عددٍ من السلف ـ وأجمل القول ـ فقال: فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧] نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى كان أخا المقتول، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة وَرَثة استبطئوا حياته(2) إلا أنهم جميعًا مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه عن أمر الله إياهم(3) بذلك فقالوا له: وما ذبح البقرة؟ يبين لنا خصومتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل فادُّعي على بعضنا أنه القاتل؟

س: البقرة اسم للأنثى من البقر فما اسم ذكرها؟

ج: ذَكَرُها هو الثور.

---

(1) شاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ..﴾ [البقرة:٧٢]
وقد أخرج ابن جرير الطبري خ (أثر2711) وابن أبي حاتم في التفسير (596) بإسناد صحيح إلى عبيدة السلماني خ قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم ـ أو عاقر ـ قال: فقتله وليه، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهى: أتقتلون وفيكم رسول الله؟!قال: فأتوا نبي الله. فقال: اذبحوا بقرة. فقالوا: أتتخذنا هزوًا، قال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ﴾، إلى قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [البقرة:: ٦٧-٧١] قال: فضُرب، فأخبرهم بقاتله.
قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبًا، قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك.

(2) **قُلْتُ:** وكل هذا خلاف لا يضر فالعبرة حاصلة وكائنة وعلى أي وجه كان القاتل أو المقتول، والله أعلم.

(3) صوَّب الشيخ أحمد شاكر خ هذه اللفظة فقال: الأجود أن يكون (عن أمر الله إياه بذلك) وما صوَّبه الشيخ هو الراجح لدي، والله أعلم.

|

س: البقر أخذ من ماذا (من ناحية اللغة)؟

ج: بَقَرَ أي: شقَّ فالبقر مأخوذ من البَقْر وهو الشق فالبقرة تشق الأرض للحراثة فمن ثم أطلق عليها بقرة، وأبو جعفر الباقر (وهو محمد بن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين) أطلق عليه الباقر لأنه بقر العلم وعرف أصله (قاله بعض العلماء) (1) .

|

س: البقر يُذبح كما قال الله ع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧] فهل تُنحر البقر أيضًا، وما الأولى في الغنم والإبل والخيل؟

ج: البقر يذبح، وينحر كذلك لقول النبي ﷺ: **«رأيت بقرًا تُنحر»**(2) الحديث، ولقول النبي ﷺ: **«ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس السن والظفر...»** (3) وبعض أهل العلم يفضل للبقر الذبح لأنه المذكور في كتاب الله ۵ وأيضًا لم يرد أن النبي ﷺ نحر بقرًا.

۞ أما الغنم فالأولى فيها الذبح، والإبل الأولى فيها النحر (4) .

۞ أما الخيل فالذي يظهر لي أن الأولى فيها النحر لحديث أسماء ڤ نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه(5) .

|

---

(1) نقلاً عن القرطبي.

(2) قال الحافظ في «الفتح» (634/7): وعند أحمد والنسائي وابن سعد من حديث جابر بسند صحيح في هذا الحديث: «ورأيت بقرًا منحرة...» الحديث.

(3) أخرجه البخاري (8945)، ومسلم (8691) من حديث رافع ابن خديج ڤ مرفوعًا.

(4) **قال القرطبي خ:** لا خلاف بين العلماء أن الذبح أولى في الغنم، والنحر أولى في الإبل والتخيير في البقر، وقيل: الذبح أولى لأنه هو الذي ذكره الله.

(5) أخرجه البخاري (0155)، ومسلم (2491) من حديث أسماء ڤ، وقد ورد بلفظ (ذبحنا...) وجنح إلى ترجيح (نحرنا) فريق من أهل العلم، والله أعلم.

س: لماذا تعوَّذ موسى غ بالله عندما قالوا له: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة:٦٧]؟

ج: تعوَّذ موسى غ، لأن السخرية أثناء تبليغ دعوة الله ٥، جهل وسفه(1)، فلم يكن لهم أن يظنوا بنبيهم ﷺ غير الحق وهو يبلغهم عن الله ٥.

س: من العلماء من قال إن قوله تعالى: ﴿صَفْرَآءُ﴾ [البقرة:٦٩] في وصف البقرة المطلوب ذبحها يعني به سوداء، ما مدى صحة هذا القول؟

ج: هذا القول، وإن ورد عن بعض أهل العلم إلا أنه ليس بصحيح وظاهر كتاب الله يرده ثم أقوال جمهور المفسرين على خلافه(2).

س: أيهما أصح في الوقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ أو ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٧١] فهل الوقف الأصح عند لا ذلول أو عند الأرض؟

---

(1) ولم يكن موسى ﷺ مازحًا كذلك لما قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] وإن كان هناك فرق بين المزاح والاستهزاء إلا أن موسى غ لم يكن في هذا ولا ذاك بسبيل ﷺ.

قال القرطبي خ (744/1):

مسألة - في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد. وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل؛ ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والأئمة بعده. قال ابن خويز منداد: وقد بلغنا أن رجلاً تقدم إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال: جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبشٍ؟ فقال له: لا تجهل أيها القاضي! فقال له عبيد الله: وأين وجدت المزاح جهلاً! فتلا عليه هذه الآية؛ فأعرض عنه عبيد الله؛ لأنه رآه جاهلاً لا يعرف المزح من الاستهزاء، وليس أحدهما من الآخر بسبيل.

(2) **قال الطبري خ (200/2، 201):** وأحسب أن الذي قال في قوله: «صفراء»، يعني به سوداء، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود: «هذه إبل صفر، وهذه ناقة صفراء» يعني بها سوداء. وإنما قيل ذلك في الإبل، لأن سوادها يضرب إلى الصفرة، ومنه قول الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر، أولادها كالزبيب

يعني بقوله: «هن صفر»، هن سود وذلك إن وصفت الإبل به، فليس مما توصف به البقر. مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصف السواد - إذا وصفته بالشدة - بالحلوكة ونحوها، فتقول: هو أسود حالك وحانك وحلكوك، وأسود غربيب ودجوجي» - ولا تقول: هو أسود فاقع. وإنما تقول: «هو أصفر فاقع». فوصفه إياه بـ «الفقوع»، من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ﴾ [البقرة:٦٩] المتأول، بأن معناه سوداء شديدة السواد.

ج: الجمهور من العلماء على أن الوقف عند الأرض والمعنى أنه نفى عنها إثارة الأرض كسياق الآية الكريمة: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٧١] أي: لم يُذلها العمل بإثارة الأرض فهي لم تذل بإثارة الأرض ولا بسقي الحرث، والله أعلم.

س: لماذا كادوا ألا يذبحوا البقرة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

۞ **منها:** أنه لغلاء ثمن البقرة التي انطبقت عليها تلك المواصفات التي ذكرها لهم نبي الله موسى ﷺ، وقد ذكر البعض أن أصل ثمنها كان قليلاً(1) إلا أن صاحبها رفع ذلك الثمن.

۞ **ومنها:** أنهم كادوا ألا يذبحوها خوفًا من الفضيحة التي ستحل بالقاتل وقومه.

ولا مانع من أن يكون المانع لهم من المبادرة إلى الذبح الأمرين معًا (أي: غلاء الثمن وخوف الفضيحة) وهذا هو الذي جنح إليه الطبري خ، فقال خ في تفسيره:

والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلَّتين كلتيهما إحداهما غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى ـ صلوات الله عليه وأتباعه ـ على قاتله.

أما الحافظ ابن كثير خ فصوَّب ما أورده من طريق الضحاك عن ابن عباس ﭬ: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١] يقول: كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا ألا يذبحوها وهذا الذي أورده ابن كثير عن ابن عباس ضعيف الإسناد عن ابن عباس(2) قال ابن كثير $ في شرح «أثر ابن عباس»

---

(1) أما كون ثمنها كان قليلاً فروى الطبري (8821)، وابن أبي حاتم (947) بإسناد صحيح إلى عكرمة قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير.

(2) فقد أخرجه الطبري (7721) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ﭬ،
=

ڤ: يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذمٌّ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها.

قلت: وهذا استنادًا إلى «أثر ابن عباس» الضعيف، وأيضًا يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن في قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:٧٠]، ما يرد هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير $، والله أعلم.

|

س: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ [البقرة ٧٢] مؤخر في التلاوة ومعناه متقدم، فما وجه تأخيره؟

ج: وجه تأخيره أنه لغة للعرب الذين جاء القرآن بلسانهم، وشاهده من التنزيل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا﴾ [الكهف: ١، ٢]، فالظاهر أن المعنى: قيمًا ولم يجعل له عوجًا فأخر المقدم وقدَّم المؤخر (1).

وقال الألوسي في «روح المعاني»: وقدِّم(2) لاستقلاله بنوع من مساوئهم التي قصد نعيها عليهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال، ولو أجرى على النظم لكانت قصة واحدة ولذهبت تثنية التقريع.

= وهذا إسناد ضعيف فضلاً عن انقطاعه.

(1) قاله ابن الجوزي في «زاد المسير»، وأورد قول الفرزدق:

إن الفرزدق صخرة ململمة	طالت فليس تنالها الأوعال

قال: أراد طالت الأوعال. وقول جرير:

طاف الخيال وأين منك لمامًا	فارجع لزورك بالسلام سلامًا

قال: أراد طاف الخيال لمامًا وأين هو منك. وقول الآخر:

خير من القوم العصاة أميرهم	يا قوم فاستحيوا النساء الجلَّس

أراد خير من القوم العصاة النساء فاستحيوا من ذلك.

(2) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة:٦٧].

وبنحوه قال بعض المعاصرين من المفسرين.

قال وهبة الزحيلي في تفسيره(1): إنما أخره بالذكر عن ذكر موقفهم الاستهزائي العنادي اهتمامًا واستهجانًا وتقريعًا لموقف العناد وتشويقًا إلى معرفة سبب ذبح البقرة.

س: رجلٌ وُجد يتشحط في دمه وقال: فلان قتلني هل يؤخذ بقوله؟

ج: الصحيح أنه لا يؤخذ بقوله إلا بالقرائن المحتفة إن كان لها وجه قبول كإقرار القاتل مثلاً أو وجود شهود أو نحو ذلك فالقرائن قد تقضي بصحة ما قال وقد تقضي ببطلانه، وقد أخرج البخاري في «صحيحه»(2) من حديث أنس ة أن يهوديًّا رضَّ رأس جارية بين حجرين، فقيل لها: من فعل أفلان أو فلان؟ حتى سمي اليهودي فأتي به النبي ﷺ فلم يزل به حتى أقرَّ فُرضَّ رأسه بالحجارة.

س: هل في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة:٧٣] دليل على أن المقتول إذا قال: قتلني فلان أُخذ بقوله؟

ج: الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذه معجزة خاصة لا تتطرق إلى ما سواها لأنه لم يكن الرجل ليحييه الله ۵ بعد أن أماته ثم يكذب على الناس وفيهم نبي الله موسى ﷺ(3).

---

(1) «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج».

(2) حديث (6786)، وقد بوّب له البخاري خ بباب: سؤال القاتل حتى يقر والإقرار في الحدود.

وقال الحافظ ابن حجر $ (فتح الباري 802/21): وقال النووي ذهب مالك إلى ثبوت قتل المتهم بمجرد قول المجروح، واستدل بهذا الحديث، ولا دلالة فيه بل هو قول باطل لأن اليهودي اعترف كما وقع التصريح به في بعض الطرق ونازعه بعض المالكية فقال: لم يقل مالك ولا أحد من أهل مذهبه بثبوت القتل على المتهم بمجرد قول المجروح وإن قالوا: إن قول المحتضر عند موته فلان قتلني لوثٌ يوجب القسامة فيقسم اثنان فصاعدًا من عصبته بشرط الذكورية، وقد وافق بعض المالكية الجمهور.

(3) وبنحو ذلك قال بعض المفسرين، فقال ابن جُزي الكلبي خ في تفسيره: وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن =

س: ما معنى القسامة؟

ج: قال الحافظ ابن حجر $[1]: القسامة (بفتح القاف وتخفيف المهملة) اليمين، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي، وقيل: هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين.

وقال أيضًا[2] : وهي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم أو على المدعي عليهم الدم، وخصَّ القسم على الدم بلفظ القسامة.

۞ قال القرطبي $: لا يحلف في القسامة أقل من خمسين يمينًا لقول النبي ﷺ في حديث حويصة ومحيصة: «**يقسم خمسون منكم على رجل منهم**».

قلت: ولتوضيح معنى القسامة وبيانها نسوق بعض ما ورد فيها من أحاديث: أخرج البخاري خ في «صحيحه»[3] من حديث سهل ابن أبي حثمة ة أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها ووجدوا أحدهم قتيلاً، وقالوا للذي وجد\ فيهم: قد قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلاً، فقال: «**الكُبر الكُبر**». فقال لهم: «**تأتون بالبينة على من قتله؟**» قالوا: ما لنا بينة. قال: «**فيحلفون**». قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود، فكره رسول الله ﷺ أن يُطَلَّ دمه فوداه مائةً من إبل الصدقة.

وأخرج البخاري أيضًا (9986) من طريق أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يومًا للناس ثم أذن لهم فدخلوا، فقال: ما تقولون في القسامة؟ قالوا: نقول القسامة القود بها حق وقد أقادت بها الخلفاء. قال لي: ما تقول يا أبا قلابة؟ ونصبني للناس، فقلت: يا أمير المؤمنين، عندك رءوس

=يكذب المقتول، بخلاف غيره.

(1) «الفتح» (291/7).

(2) «الفتح» (042/21).

(3) حديث (8986).

الأجناد وأشراف العرب، أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى ولم يروه أكنت ترجمه؟ قال: لا. قلت: أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه؟ قال: لا. قلت: فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحدًا قط إلا في إحدى ثلاث خصال: رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام فقال القوم: أو ليس قد حدث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قطع في السرق وسمل الأعين ثم نبذهم في الشمس؟ فقلت: أنا أحدثكم حديث أنس، حدثني أنس أن نفرًا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ قال: **«أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟»** قالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأطردوا النَّعم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهم فأدركوا، فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا. قلت: وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء؟ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا فقال عنبسة بن سعيد: والله إن سمعت كاليوم قط، فقلت: أترد عليَّ حديثي يا عنبسة؟ قال:لا؛ ولكن جئت بالحديث على وجهه والله لا يزال هذا الجند بخير ما عاش هذا الشيخ بين أظهرهم. قلت: وقد كان في هذا سنة من رسول الله ﷺ: دخل عليه نفر من الأنصار فتحدثوا عنده، فخرج رجل منهم بين أيديهم فقتل، فخرجوا بعده فإذا هم بصاحبهم يتشحط في الدم، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، صاحبنا كان تحدث معنا فخرج بين أيدينا فإذا نحن به يتشحط في الدم، فخرج رسول الله ﷺ فقال: **«بمن تظنون - أو: ترون - قتله؟»** قالوا: نرى أن اليهود قتلته. فأرسل إلى اليهود فدعاهم فقال: **«أأنتم قتلتم هذا؟»** قالوا: لا. قال: **«أترضون نفل خمسين من اليهود ما قتلوه؟»** فقالوا: ما يبالون أن يقتلونا أجمعين ثم ينتفلون. قال: أفتستحقون الدية بأيمان خمسين منكم؟ قالوا:

ما كنا لنحلف. فوداه من عنده. قلت: وقد كانت هذيل خلعوا خليعًا لهم في الجاهلية، فطرق أهل بيت من اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم، فحذفه بالسيف فقتله، فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا: قتل صاحبنا. فقال: إنهم قد خلعوه. فقال: يقسم خمسون من هذيل: ما خلعوه قال: فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلاً، وقدم رجل من الشام فسألوه أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلاً آخر فدفعه إلى أخي المقتول فقرنت يده بيده، قالوا: فانطلقا والخمسون الذين أقسموا، حتى إذا كانوا بنخلة أخذتهم السماء، فدخلوا في غار في الجبل فانهدم الغار على الخمسين الذين أقسموا، فماتوا جميعًا وأفلت القرينان واتبعهما حجر. فكسر رجل أخي المقتول، فعاش حولاً ثم مات. قلت: وقد كان عبد الملك بن مروان أقاد رجلاً بالقسامة ثم ندم بعد ما صنع، فأمر بالخمسين الذين أقسموا فمحوا من الديوان وسيرهم إلى الشام.

وأخرج البخاري(1) من حديث ابن عباس ﭬ قال: (إن أول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم: كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى فانطلق معه في إبله، فمر به رجل من بني هاشم قد انقطعت عروة جوالقه فقال: أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي لا تنفر الإبل فأعطاه عقالاً فشد به عروة جوالقه. فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بعيرًا واحدًا، فقال الذي استأجره: ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل؟ قال: ليس له عقال. قال: فأين عقاله؟ قال: فحذفه بعصًا كان فيها أجله. فمر به رجل من أهل اليمن، فقال: أتشهد الموسم؟ قال: ما أشهد وربما شهدته. قال: هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر؟ قال: نعم. قال: فكتب إذا أنت شهدت الموسم فناد يا آل قريش، فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم، فإن أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبره أن فلانًا قتلني في عقال. ومات المستأجر. فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقال: ما

---

(1) حديث (5483).

فعل صاحبنا؟ قال: مرض فأحسنت القيام عليه، فوليت دفنه. قال: قد كان أهل ذاك منك. فمكث حينًا ثم إن الرجل الذي أوصي إليه أن يبلغ عنه وافى الموسم فقال: يا آل قريش، قالوا: هذه قريش. قال: يا بني هاشم، قالوا: هذه بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال: أمرني فلان أن أبلغك رسالة أن فلانًا قتله في عقال. فأتاه أبو طالب فقال له: اختر منا إحدى ثلاث: إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل فإنك قتلت صاحبنا، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله، وإن أبيت قتلناك به. فأتى قومه فقالوا: نحلف. فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت: يا أبا طالب أحب أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان، ففعل. فأتاه رجل منهم فقال: يا أبا طالب أردت خمسين رجلاً أن يحلفوا مكان مائة من الإبل، يصيب كل رجل بعيران، هذان بعيران فاقبلهما مني ولا تصبر يميني حيث تصبر الأيمان فقبلهما. وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا. قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية والأربعين عين تطرف).

س: هل يُعمل بالقسامة؟

ج: قال القرطبي $: اختلف العلماء في الحكم بالقسامة، فروي عن سالم وأبي قلابة وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عتيبة التوقف في الحكم بها، وإليه مال البخاري لأنه أتى بحديث القسامة في غير موضعه.

۞ **وقال الجمهور:** الحكم بالقسامة ثابت عن النبي ﷺ.

س: ما الموجب للقسامة؟

ج: الموجب للقسامة هو اللوث ولا بد منه، واللوث أمارة تغلب على الظن صدق مدعي القتل كشهادة العدل الواحد على رؤية القتل أو يرى المقتول يتشحط في دمه والمتهم نحوه أو قربه عليه آثار القتل (1) قاله القرطبي **$**.

---

(1) **وقال القرطبي عقب الكلام المذكور:** وقد اختلف في اللوث والعمل به فقال مالك: هو قول المقتول دمي =

س: قوله تعالى: ﴿ اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ [البقرة:٧٣] ما هو هذا البعض الذي أمر الله ۵ أن يُضرب به الميت؟

ج: ليس في الآية الكريمة شيء واضح يبين ما هو هذا البعض الذي أمر الله ۵ أن يُضرب به الميت، ولا نعلم شيئًا من سنة رسول الله ﷺ يوضح هذا البعض كذلك، ولم يُطبق المفسرون على شيء واحدٍ في هذا الباب أيضًا.

۞ وكما قال الطبري خ: ولا يضرُّ الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله.

۞ وقال الحافظ ابن كثير خ: هذا البعض أي شيءٍ كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معينًا في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله

=عند فلان، والشاهد العدل لوث، كذا في رواية ابن القاسم عنه وروى أشهب عن مالك أنه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة. وروى ابن وهب أن شهادة النساء لوث. وذكر محمد عن ابن القاسم أن شهادة المرأتين لوث دون شهادة المرأة الواحدة

قال القاضي أبو بكر بن العربي: اختلف في اللوث اختلافًا كثيرًا؛ مشهور المذهب أنه الشاهد العدل. وقال محمد: هو أحب إلي. قال: وأخذ به ابن القاسم وابن عبد الحكم. وروي عن عبد الملك بن مروان: أن المجروح أو المضروب إذا قال: دمي عند فلان ومات كانت القسامة. وبه قال مالك والليث بن سعد. واحتج مالك بقتيل بني إسرائيل أنه قال: قتلني فلان.

وقال الشافعيُّ: اللَّوْث الشاهد العدل، أو يأتي ببيّنة وإن لم يكونوا عدولاً.

وأوجب الثوريُّ والكوفيون القسامة بوجود القتيل فقط واستغنوا عن مراعاة قول المقتول وعن الشاهد، قالوا: إذا وجد قتيل في مَحلَّة قومٍ وبه أثرٌ حلف أهل ذلك الموضع أنهم لم يقتلوه ويكون عَقْلُه عليهم؛ وإذا لم يكن به أثر لم يكن على العاقلة شيء إلا أن تقوم البيّنة على واحد. وقال سفيان: وهذا مما أُجمع عليه عندنا.

وهو قول ضعيف خالفوا فيه أهل العلم، ولا سلف لهم فيه، وهو مخالف للقرآن والسُّنة؛ ولأن فيه إلزام العاقلة مالاً بغير بيّنة ثبتت عليهم ولا إقرار منهم. وذهب مالك والشافعيُّ إلى أن القتيل إذا وجد في مَحلّة قومٍ أنه هَدَر، لا يؤخذ به أقرب الناس دارًا؛ لأن القتيل قد يُقتل ثم يُلقى على باب قومٍ ليلطخوا به، فلا يؤاخذ بمثل ذلك حتى تكون الأسباب التي شرطوها في وجوب القسامة. وقد قال عمر بن عبد العزيز: هذا مما يؤخر فيه القضاء حتى يقضي الله فيه يوم القيامة.

تعالى لنا، ولكن أبهمه ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله تعالى.

قُلْتُ: والأمر كما قال العالمان الجليلان الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى، وعلى هذا المنوال نسير في مثل هذه المواطن التي سكت عنها ربنا سبحانه ولم يبينها نبينا ﷺ، فثمَّ خلافات لا طائل لها في مسائل ليس من وراء معرفتها كبير فائدة ولا صغيرها يضيع فيها كثيرٌ من المفسرين أوقاتًا ويسودون بها صفحات، ولا طائل من وراء هذا التضييع وذاك التسويد، ومن أمثلة هذا مثلاً أوقاتًا يضيعها بعض المفسرين في تسمية كلب أهل الكهف وتسمية حمار العزير، وتسمية امرأة العزيز، وتسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وعدد أصحاب الكهف وصفتهم، و.... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يُرجى من ورائها فائدة، إذ لو كان من وراء معرفتها فائدة لبينها لنا ربنا ع في كتابه الكريم الذي ما فرط فيه من شيء، ولأوضحها لنا نبينا ﷺ.

س: الأمر يفيد الوجوب عند كثير من أهل العلم، اذكر دليلاً من قصة موسى غ مع قومه لما أمرهم بذبح البقرة يفيد ذلك، ودليلاً آخر من غيرها من السور؟ ودليلاً من السنة؟

ج: أما الدليل الأول فهو قول موسى غ لقومه: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ [البقرة:68].

أما الدليل الآخر فهو قول الله ع: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63] وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:7].

ومن السُّنة قول النبي ﷺ: **«لو قلت نعم لوجبت»** (1)، والله تعالى أعلم.

(1) صحيح، انظر سنن الترمذي (حديث: 5503)، وتفسير الطبري (35/7).

س: بعض أهل العلم يستنبط من قصة قوم موسى في شأن البقرة أن حكم الله ٥ يكون على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن إلا أن يأتي دليل من الكتاب أو السنة يخصص هذا العموم وهذا الظاهر. وضح ذلك، واذكر قائله؟

ج: أما قائله فهو ابن جرير الطبري خ، قاله في تفسيره وهاك بيان قوله:

قال $: وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه ـ من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم، من قولهم: إنَّ بني إسرائيل لو كانوا أخذُوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدَّد الله عليهم ـ من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنَّ حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رَسُوله ﷺ، على العموم الظاهر، دون الخصوص الباطن، إلا أن يخص بعض ما عمَّه ظاهر التنزيل، كتابٌ من الله أو رسولُ الله؛ وأن التنزيل أو الرسول، إن خصَّ بعض ما عمَّه ظاهرُ التنزيل بحكم خلاف ما دلَّ عليه الظاهر، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التي عمَّت ذلك الجنس خاصة، وسائرُ حُكم الآية على العموم؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا «كتاب الرسالة» من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام ـ في قولنا في العموم والخصوص، وموافقةِ قولهم في ذلك قولَنا ومذهبهم مذهبَنا، وتَخطئتهم قولَ القائلين بالخصوص في الأحكام، وشهادَتهم على فساد قول من قالَ: حُكْم الآية الجائية مجيء العموم على العموم، ما لم يُختصَّ منها بعض ما عمَّته الآية. فإن خُص منها بعضٌ، فحكم الآية حينئذٍ على الخصوص فيما خُصَّ منها، وسائر ذلك على العموم.

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفًا ـ ممن عابَ على بني إسرائيل مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صِفة البقرة التي أمروا بذبحها وسِنِّها وحِليتها ـ رأوا أنهم كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ مُوسى ذلك مخطئين، وأنهم لو كانوا استعرضوا أدْنى بقرة من البقر ـ إذْ أُمِروا بذبحها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة:٦٧]، فذَبحوها ـ كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدّين، وللحق مُطيعين، إذ

لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع، وسنٍّ دون سنٍّ.

ورأوا مع ذلك أنَّهم ـ إذْ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها، وحَصرهم منها على سنٍّ دون سن ونوع دون نوع، وخصَّ من جميع أنواع البقر نوعًا منها ـ كانوا في مسألتهم إيَّاهُ في المسألة الثانية، بعد الذي خصَّ لهم من أنواع البقر، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إيَّاه المسألةَ الأولى.

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية، وأن اللازمَ كان لهم في الحالة الأولى، استعمالُ ظاهر الأمر، وَذبح أيّ بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة.

وكذلك رأوا أنَّ اللازم كان لهم في الحال الثانية، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أي بَهيمة شَاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عَوَان لا فارض ولا بكر، ولم يَروا أنَّ حكمهم ـ إذ خُصَّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية ـ انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص.

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك ـ مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم ـ دليلٌ واضح على صحَّة قولنا في العموم والخصوص، وأنَّ أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه ـ فيما أمر ونهى ـ على العموم، ما لم يَخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له. وأنه إذا خُصَّ منه شيء، فالمخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامَّة الظاهرِ، وسائر حُكم الآية على ظاهرها العام ـ ومؤيدٌ حقيقةَ ما قلنا في ذلك، وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه.

وقد زعم بعض من عظمت جهالته، واشتدت حيرتُه، أنَّ القوم إنما سألوا مُوسى ما سَألوا بَعد أمر الله إياهم بذبح بَقرة من البقر، لأنَّهم ظَنوا أنهم أُمِروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك، كما خُصَّت عصا موسى في معناها، فسألوه أن

يحلِّيها لهم ليعرفوها.

ولو كان الجاهل تدبَّر قوله هذا، لسهل عليه ما استصعب من القول. وذلك أنه استعظمَ من القوم مسألتهم نبيَّهم ما سألوه تشددًا منهم في دينهم، ثم أضافَ إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكرهُ أن يكون كان منهم. فزعم أنهم كانوا يَرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضًا، ويتعبدهم بعبادة، ثم لا يبيِّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به، حتى يسألوا بيانَ ذلك لهم! فأضاف إلى الله تعالى ذكره ما لا يجوز إضافته إليه، ونَسب القومَ من الجهل إلى ما لا يُنسَب المجانين إليه! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض، فنعوذ بالله من الحَيْرة، ونسأله التوفيق والهداية.

|

س: قاتل العمد هل يرث من المال شيئًا؟

ج: قال القرطبي ﷵ:

ولا خلاف بين العلماء أنه لا يرث قاتل العمد من الدِّية ولا من المال إلاَّ فرقة شذت عن الجمهور كلهم أهل بدع(1).

|

س: التعمق في سؤال الأنبياء والعلماء عن المسكوت عنه مذموم ومن شدد شدد الله ﻷ عليه، وضح ذلك؟

ج: إيضاح ذلك أن الله ﻷ أمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة:٦٧]، ولم يبين لهم ▌ شروطًا لها فلو ذبحوا أي بقرة أجزأتهم وكانوا قد امتثلوا أمر الله تعالى، فلما طلبوا بيانًا عن سنِّها بقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة:٦٨] كان هذا منهم تشديدًا على أنفسهم فشُدِّد عليهم

---

(1) قُلْتُ: إن كان استدلاله بقصة بقرة بني إسرائيل وما ورد فيها من آثار فهي آثار لا تقوم بها حجة على هذه المسألة، وقد قال ابن جُزي الكلبي في تفسيره: واستدلوا أيضًا بها على أن القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك.

هذا وتحتاج المسألة مني إلى تحرير أسأل الله أن ييسره، وإن شاء الله يأتي في بابه.

(22) أحمر
أسود

ثم تعنتوا تعنتًا آخر فقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البقرة:٦٩]... ثم تعنتًا ثالثًا بقولهم: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة:٧٠] فكل هذا منهم تشديدٌ على أنفسهم(1) .

---

(1) وقد قال عبيدة السلماني $: فلو لم يعترضوا البقرة لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فُشدِّد عليهم.

وتقدم الأثر عنه في ذلك وقال عكرمة $ (عند الطبري 9321 بإسناد صحيح): لو أخذ بنوإسرائيل بقرة لأجزأت عنهم، ولولا قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:٧٠] لما وجدوها.

۞ وصح عن ابن عباس كذلك (عند الطبري 5321) أنه قال: لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

وكذلك روي نحو هذا القول عن عددٍ كبير من أهل العلم.

۞ وقال الطبري خ (ص2/981): لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرةٍ من البقر ـ أي بقرة شاءُوا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوعٍ منها دون نوعٍ أو صنف دون صنف فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلّف ما قد وضع الله عنهم مئونته تعنتًا منهم لرسول الله ﷺ.. فذكر بأسانيده إلى السلف... ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[البقرة:٦٨] وقال (ص:891):

ومعنى ذلك: قال قومُ موسى لموسى:﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾[البقرة:٦٩]؟ أي: لون البقرة التي أمرتنا بذبحها. وهذا أيضًا تعنُّت آخر منهم بعد الأول، وتكلُّف طلب ما قد كُفُوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة. وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا في المرة الثانية ـ إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفُوه من المسألة عن صفتها، فحُصِروا على نوع دون سائر الأنواع ؛عقوبةً من الله لهم على مسألتهم التي سألوها نبيَّهم ﷺ، تعنُّتًا منهم له. ثم لم يحصُرهم على لون منها دون لون، فأبَوْا إلا تكلف ما كانوا عن تكلُّفه أغنياء، فقالوا ـ تعنتًا منهم لنبيهم ﷺ، كما ذكر ابن عباس ـ: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾[البقرة:٦٩]، فقيل لهم عقوبةً لهم: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[البقرة:٦٩]. فحُصروا على لون منها دون لون. ومعنى ذلك: أنَّ البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراءُ فاقعٌ لونها.

قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿قَالُواْ﴾ قال قوم مُوسى ـ الذين أمِروا بذبح البقرة ـ لموسى فترك ذكر مُوسى، وذكر عائد ذكره، اكتفاءً بما دل عليه ظاهرُ الكلام. وذلك أن معنى الكلام: قالوا له: ادعُ ربَك. فلم يذكر «له» لما وصفنا.

وقوله: ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾[البقرة:٦٨]، خبرٌ من الله عن القوم بجَهْلِة منهم ثالثة. وذلك أنهم لو كانوا إذْ أمروا بذبح البقرة، ذبحوا أيَّتهاتيسرت مما يقع عليه اسمُ بقرة، كانت عنهم مجزئة، ولم يكن عليهم غيرها، لأنهم لم يكونوا كلِّفوها بصفة دون صفة.

فلما سألوا بيانها بأيِّ صفة هي، بيَّن لهم أنها بسن من الأسنان دون سَنِّ سائر الأسنان، فقيل لهم: هي عوان بين الفارض والبكر والضرع. فكانوا ـ إذ بيّنت لهم سنُها ـ لو ذبحوا أدنى بقرة بالسنِّ التي بُيّنت لهم، كانت عنهم مُجزئة، لأنهم لم يكونوا كُلِّفوها بغير السن التي حُدثْ لهم، ولا كانوا حُصِروا على لون
=

۞ وقد قال النبي ﷺ لأصحابه: **«ذروني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»**(1).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ [المائدة:١٠١] وقال ♥: **«إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء فحرِّم من أجل مسألته..»**(2)

وقد قال النبي ﷺ: **«إن الله ٥ كره لكم كثرة السؤال...»** (3) والله تعالى أعلم.

س: ما معنى (أو) في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة:٧٤]؟

ج: ابتداءً فقد أجمع العلماء أن (أو) (4) في هذا الموطن ليست على الشك ثم التمسوا لها تأويلات:

۞ فمن العلماء من قال: إن (أو) هنا بمعنى (بل) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧]، فالمعنى - والله أعلم - بل يزيدون.

۞ ومن أهل العلم من قال: إن (أو) هنا بمعنى الواو كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان:٢٤] فالمعنى - والله أعلم - ولا تطع منهم آثمًا

=منها دون لون. فلما أبوا إلا أن تكون معرَّفة لهم بنعوتها، مبينةً بحدودها التي تفرّق بينها وبين سائر بهائم الأرض، فشدَّدوا على أنفسهم - فشَدَّد الله عليهم بكثرة سُؤالهم نبيَّهم واختلافِهم عليه.

ولذلك قال نبينا ﷺ لأمته: **«ذرُوني ما تركتُكم، فإنما أهلِك من كان قَبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوه، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم»**.

(1) أخرجه مسلم (7331) ص:(0381).

(2) أخرجه البخاري (حديث9827)، ومسلم (حديث 8532) من حديث سعد ٥ مرفوعًا.

(3) أخرج البخاري (حديث 2927)، ومسلم (395 ص1431) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب: (... كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال).

(4) نقل هذا الإجماع الحافظ ابن كثير خ.

وكفورًا، وكقوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات:٦] فالمعنى ـ والله أعلم ـ عذرًا ونذرًا وكما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ... أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:١٧-١٩] فمنهم ـ والله أعلم ـ من مثله كمثل الذي استوقد نارًا... ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق...، فالمعنى هنا على هذا التأويل أن منهم من قلبه في قسوته كالحجارة ومنهم من قلبه أشد قسوة من الحجارة(1). والله أعلم.

(1) وقد بسط الطبري خ القول في هذا في تفسيره فقال $:

فإن سأل سائل فقال: وما وجه قوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤]، و(أو) عند أهل العربية، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك، والله تعالى جل ذكره غيرُ جائز في خبره الشك؟

قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية، أنها ـ عند عباده الذين هُم أصحابها، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله ـ كالحجارة قَسوةً أو أشد من الحجارة، عندهم وعند من عرف شأنهم.

وقد قال جماعة من أهل العربية أقوالاً. فقال بعضهم: إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله:﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي بـ(أو) كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧]، وكقول الله جل ذكره: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] - [الإبهام على من خاطبه]، فهو عالمٌ أيُّ ذلك كان. قالوا: ونظير ذلك قول القائل: (أكلتُ بُسرة أو رُطَبَة)، وهو عالمٌ أيُّ ذلك أكل، ولكنه أبهم على المخاطب، كما قال أبو الأسْود الدُّؤلي:

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا ... وعَبَّاسًا وحمْزَةَ وَالوَصِيَّا
فَإن يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أُصِبْهُ ... ولَسْتُ بِمُخْطِئٍ إنْ كَانَ غَيًّا

قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكًّا في أن حُبَّ من سَمَّى ـ رَشدٌ، ولكنه أبهم على من خاطبه به.
وقد ذُكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت؟! فقال: كلا والله! ثم انتزع بقول الله ٥: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]، فقال: أو كان شاكًّا ـ من أخبر بهذا ـ في الهادي من الضلال.

وقال بعضهم: ذلك كقول القائل: (ما أطعمتك إلا حُلوًا أو حامضًا)، وقد أطعمه النوعين جميعًا. فقالوا: فقائل ذلك لم يكن شاكًّا أنه قد أطعم صاحبَه الحلوَ والحامضَ كليهما، ولكنه أراد الخبر عَمَّا أطْعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين.

قالوا: فكذلك قوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤] إنما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثالين، إما أن تكون مِثْلاً للحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشدَّ منها قسوة.
=

س: من العلماء من يقول إن الله ٥ أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فهي تعقل طاعة الله ٥ وتطيعه ما مدى صحة هذا القول؟

ج: هذا القول عندي صحيح، ومستند ذلك ما يلي.

◈ قـــول الله ع: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

◈ وقولـــه تعـــالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾

=ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضُها كالحجارة قسوةً، وبعضُها أشدُّ قسوة من الحجارة.

وقال بعضهم:(أو)في قوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[البقرة:٧٤]، وأشد قَسوة، كما قال ع: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [سورة الإنسان:٢٤] بمعنى: وَكفُورًا، وكما قال جرير بن عطية:

نَـالَ الخِلافَـةَ أوْ كانَـتْ لَـهُ قَـدرًا ... كمَـا أتَـى ربَّـهُ مُوسَـى علَـى قَـدَرِ

يعني: نال الخلافة، وكانت له قَدَرًا، وكما قال النابغة:

قالت:

ألا لَيْتَمـا هـذا الحَمَـامُ لَنَـا ... إلـى حَمامَتِنَـا، أوْ نِصْـفُهُ فَقَـدِ

يريد: ونصفُه.

* * *

وقال آخرون:(أو)في هذا الموضع بمعنى(بل)، فكأن تأويله عندهم: فهي كالحجارة بل أشد قسوة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧]، بمعنى: بل يزيدون.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك فهي كالحجارة، أو أشد قسوةً عندكم.

* * *

قال أبو جعفر: ولكلِّ مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهٌ ومخرج في كلام العرب. غيرَ أن أعجبَ الأقوال إليَّ في ذلك ما قلناهُ أوّلاً، ثم القولُ الذي ذكرناه عمن وجَّه ذلك إلى أنه بمعنى: فهي أوجُهٌ في القسوة: إما أن تكون كالحجارة، أو أشدَّ، على تأويل أن منها كالحجارة، ومنها أشدُّ قسوة. لأن (أو)، وإن استُعملت في أماكنَ من أماكن (الواو) حتى يلتبس معناها ومعنى (الواو)، لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن ـ فإنَّ أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين. فتوجيهها إلى أصلها ـ ما وَجدْنا إلى ذلك سبيلاً ـ أعجبُ إلي من إخراجها عن أصلها، ومعناها المعروف لها.

* * *

قال أبو جعفر: وأما الرفع في قوله:﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[البقرة:٧٤]، فمن وجهين:

أحدهما أن يكون عطفًا على معني (الكاف) في قوله: ﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾[البقرة:٧٤]، لأن معناها الرفع. وذلك أن معناها معنى (مثل)، **[فيكون تأويله]**: فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

(26) أحمر
أسود

[الإسراء:44].

۞ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ...﴾ [الحج:18].

۞ وقوله تعالى: ﴿... ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:11].

۞ وقوله جل ذكره: ﴿... وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف:143].

۞ وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72].

۞ وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:6].

۞ وقال تعالى: ﴿... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة:74] (1)

۞ وقال النبي ﷺ: **«إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ».**

۞ وقال ♥: **«أحدٌ جبل يحبنا ونحبه».**

۞ وقد حن الجذع لرسول الله ﷺ.

۞ وقد سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ.

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:74]، خبر عن الله ما هو المراد منه؟

ج: المراد - والله أعلم - من هذا الخبر التهديد والتحذير من مخالفة أمر الله

---

(1) صح عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في التفسير (767) أنه قال في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة:74] قال: إن الحجر ليقع إلى الأرض فلو اجتمع عليه فئام من الناس ما استطاعوا به، وإنه ليهبط من خشية الله.

وقد أعله المعلق على ابن أبي حاتم بأحد رجاله وهو (عبيد الله بن موسى) ولا يوافق المعلق على الإعلال في مثل هذا الموطن، فعبيد الله بن موسى من رجال الجماعة. والأمر فيه يحتاج إلى تفصيل أوسع مما ذكره المعلق حفظه الله، وهو يروي الحديث عن إسرائيل وقد قال الحافظ ابن حجر فيه: (هو أثبت في إسرائيل من أبي نعيم) وهذا التعليق يحتاج إلى إطالة ليس محلها هذا التفسير، وبالله التوفيق.

ﭬ(1)

أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ
يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ
عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦ أَوَ لَا
يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧ وَمِنۡهُمۡ
أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ
٧٨ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا
مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا
كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩

الكلمة	معناها
﴿يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾	يصدقوكم بما جاءكم به نبيكم ﷺ - يتابعوكم على دينكم وهي كقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ [يونس:٨٣] وقول اليهود لموسى: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥] وقول اليهود: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقول الكافرين لنوح: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، وقول موسى: ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ [الدخان:٢١].

(1) قال القاسمي في «محاسن التأويل»: وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤] فيه من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى، فإن الله ﻷ إذا كان عالمًا بما يعملونه مطلعًا عليه غير غافل عنه، كان لمجازاتهم بالمرصاد.

(28) أحمر

أسود

الكلمة	معناها
﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	قيل: هي التوراة، وقيل: هي كلام الله مع موسى ؑ لما خرج لميقات ربه ومعه السبعون رجلًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ ﴾ [الأعراف:١٥٥].
﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾	يغيرونه-يبدلون معناه ويؤولونه على غير وجهه والله أعلم.
﴿عَقَلُوهُ﴾	عرفوه ـ فهموه.
﴿فَتَحَ﴾	فتح تأتي بمعان منها: حكم، وقضى، ونصر، وفرَّق بين شيئين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩] أي: اقض، واحكم، والفتاح: القاضي وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦] ويأتي بمعنى النصر، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:٨٩] أي: يقولون سيخرج نبي فنتبعه وننتصر عليكم.
﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾	يخاصموكم ـ يعيِّروكم ـ يجادلوكم.
﴿أُمِّيُّونَ﴾	جمع أُمِّي (1) وهو: الذي لا يقرأ ولا يكتب، ومنه قول النبي ﷺ: **«إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»**.
﴿أَمَانِيَّ﴾	ظنونًا وأكاذيب باطلة وتوهمات وتمنيات لا أساس لها
﴿فَوَيۡلٞ﴾	الويل هو: العذاب والهلاك أو الدمار ـ وقيل: جبل في النار وقيل: واد في جهنم، والله تعالى أعلم.

(1) قال الطبري $: وأرى أنه قيل للأمي (أمي) نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمِّه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه.

قلت: وقال بعض أهل العلم: أن الأميين نسبة إلى الأمة، قال بعضهم: وما عليه العامة فمعنى الأمي: العامي الذي لا تمييز له.

وقال بعض أهل العلم في حديث رسول الله ﷺ: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**» أي: أن ديننا لا يحتاج إلى أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صلاتهم وصومهم بكتاب وحساب. وهذا الحمل وإن كان له وجه من ناحية إلا أنه إذا فهم منه أن رسول الله ﷺ كان يكتب أو يحسب فهذا خطأ، ويؤيده نفي الكتابة والحساب في الحديث: «إنا أمةٌ أمية لا نكتب ولا نحسب» وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨، ٤٩] والله تعالى أعلم.

س: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ [البقرة:٧٥] ما نوعه؟

ج: هو استفهام إنكاري الغرض منه الاستبعاد، والله أعلم.

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ [البقرة:٧٥]؟ وما المضمر في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة:٧٥]؟

ج: المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ [البقرة:٧٥] هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون، والمضمر في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة:٧٥] هم اليهود(1).

س: من هذا الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد فريق من علماء اليهود سواء المعاصرون لرسول الله ﷺ أو الذين تقدَّموه.

الثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى ؏ لميقات ربه ٥ كما قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف:١٥٥].

س: اذكر صور تحريف اليهود للتوراة؟

ج: من هذه الصور كتمان ما في التوراة من حق وإظهار ما عندهم من باطل فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث عبد الله ابن عمر ﭭ أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**» فقالوا: نَفْضَحُهُمْ ويجلدون، قال عبد الله بن سلام ﭬ: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ﭬ: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها

---

(1) وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (7231) قال: هم اليهود.

الحجارة(1).

۞ وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:91].

۞ ومنها ما أخرجه الطبري خ بإسناده (1331) إلى ابن زيد(2) في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:75] قال: التوراة التي أنزلها عليهم يُحرفونها يجعلون الحلال فيها حرامًا، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقًّا إذا جاءهم المحقّ برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، وإن جاء أحدٌ يسألهم شيئًا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:44].

س: ما فائدة التقييد بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:75]؟

ج: فائدته بيان عظم جرمهم، وهو أنهم لم يحرفوا المعنى بجهلٍ وخطأ وإنما حرَّفوه بعد ما علموه يقينًا وعلموا وجه الصواب فيه وتأكدوا ثم عمدوا إلى اللفظ فحرفوه أو إلى وجه الصواب فأوَّلُوه وصرفوه عن وجهه والله أعلم.

ومن أهل العلم من يقول: قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:75] أي: يعلمون عقوبة تحريفه، والله أعلم.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:75]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أفتطمعون يا أصحاب محمد أن يصدقكم هؤلاء

(1) أخرجه البخاري (حديث1486)، ومسلم (حديث9961).

(2) صحيح إلى ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولكن بقي النظر في ابن زيد نفسه فهو ضعيف.

اليهود ويتابعوكم على دينكم وقد كان أسلافهم يحرفون كلام الله ๕ عن عمدٍ وقصد وعلى علم منهم بأن هذا تحريف وأن فاعله معاقب.

۞ **وقال العلامة السعدي $ في تفسيره «تيسير الكريم المنان»:** هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم، وأخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه فيضعون له معاني ما أرادها الله ليوهموا الناس أنها من عند الله وما هي من عند الله فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدّون به الناس عن سبيل الله فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟ فهذا من أبعد الأشياء.

قلت: وثمَّ وجه آخر في تفسير الآية الكريمة، وهو أن الفريق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:٧٥] هم السبعون الذين اختارهم موسى غ كما قدمنا، وعلى هذا فالمعنى كيف تطمعون يا أصحاب محمد ﷺ في تصديق هؤلاء اليهود لكم واتباعهم سبيلكم وإذعانهم لنبيكم ولكتابكم، وقد كان أجدادهم ـ الذين خرجوا مع موسى غ ـ يسمعون كلام الله ๕ بلا واسطة(1) وهم مع نبيهم

(1) ولكن هل في كتاب الله ๕ ما يفيد أن الله جل ذكره كلَّم هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ [الأعراف:١٥٥]، أم أن الله ๕ اختص نبيهم موسى فقط بالتكليم ثم أخبرهم موسى غ بالذي أراده الله منهم؟ لأهل العلم هنا قولان: ففريق يرى أن ربهم ๕ كلمهم ثم حرفوا الكلام على ما ذكر، وفريق أنكر ذلك إنكارًا شديدًا.

قال ابن عطية $ في تفسيره «المحرر الوجيز» (762/1): وفي هذا القول ضعف ومن قال إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى غ واختصاصه بالتكليم.

ونقل ابن الجوزي في «زاد المسير» عن الحكيم الترمذي (صاحب النوادر) أنه أنكر تكليم الرب للسبعين إنكارًا شديدًا وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة، وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذابًا.

وقال القرطبي في تفسيره.. وإنما الكلام شيء خُصَّ به موسى من بين جميع ولد آدم فإن كان كلَّم قومه أيضًا حتى أسمعهم كلامه فما فَضْلُ موسى عليهم، وقد قال وقوله الحق: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا واضح.

قلت: قوله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، سيأتي الحديث عليه في بابه إن شاء الله، ولكن هل هذه الآية الكريمة: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، هل =

(32) أحمر
أسود

موسى ثم ما هي إلا مسافة طريق الرجوع من الطور إلى بلادهم حتى يحرفون الكلم الذي سمعوه عن مواضعه عامدين لذلك متعمدين لـه عـالمين بـه، فهؤلاء الموجودون بينكم أحرى وأجدر بهم أن يجحدوا الحق الذي جئتموه بـه كما جحد أسلافهم، فكذبهم على الله قديم وعداوتهم لرسل الله قديمة.

|

س: من المساعدات على الدعوة إلى الله ▌ أن يفهم الشخص شيئًا عن الذي يدعوه ويعرف أحواله وظروفه وملابسات أخلاقه وأفعاله... إلى غير ذلك وضح هذا؟

ج: نعم فإن هذا أقرب إلى سداد الداعي في كثير من الأحيان إذ يعرف كيف يشخص المرض وكيف يعالج ومن أين يـأتي إلـى المـدعو، وقـد قـال النبـي ﷺ لمعاذ ﭬ لما بعثه إلى اليمن: **«إنك سوف تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلـى أن يوحِّدوا الله ٥ فـإن هـم أطـاعوك فـأخبرهم أن الله ٥ افتـرض**

= تنفي أن الله ٥ كلم غير موسى ﻍ؟ هذا أيضًا سيأتي في بابه إن شاء الله لكننا نشير هنا إلى أن الله ٥ كلم آدم وحواء ﭑ بقوله: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف:١٩]، وقـال تعـالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ..﴾ [الأعراف: ٢٢].

۞ وكلَّم الله ٥ نبيه محمدًا ﷺ كما في ليلة المعراج التي فيها فُرضت الصلوات.

وكلَّم الله ٥ إبراهيم فقال سبحانه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٤، ١٠٥].

۞ ونادى ربنا ▌ نبيه أيوب لما أمره أن يضرب برجله فخرج الماء وقـال الله لـه: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، وأرسل إليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة فجعل أيوب ﻍ يحثو في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك؟ قال: بلى يا رب، ولكن وعزتك لا غنى لي عن بركتك(1). إلى غير ذلك والله أعلم.

أخرج ابن حبان بإسناد صحيح (موارد الظمآن) (1902) عن أنس بن مالك ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة...» الحديث وفيه وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان..» الحديث وفيه وكان له أبدران أبدر القمح وأبدر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أبدر (وفي رواية أندر) القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الورِق حتى فاضت.

(33) أحمر
أسود

عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» (1) الحديث.

فهنا لما علم الشخص من سيدعوهم بدأ بالأهم الذي يحتاجون إليه وقدمه على غيره وقد بيَّن الله أحوال بني إسرائيل من إعراضهم عن المرسلين، وليس إعراضًا منهم فقط بل كذبهم على الله ٥، وتحريفهم الكلم عليه سبحانه فقال ٥: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، فهذا يجعل الشخص متزنًا في دعوته إلى الله وخاصة إذا رأى من قومٍ عدم استجابة وكان أسلافهم كذلك فلا تذهب نفسه عليهم حسرات، والله أعلم.

س: من المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة:٧٦]؟

ج: المراد بهم في هذه الآية الكريمة طائفةٌ من اليهود، والله أعلم.

س: ما هو الذي فتحه الله عليهم؟

ج: فيه ثلاثة أقوال:

(1) العقوبات التي أنزلها الله ٥ على أسلافهم من المسخ إلى قردة وخنازير والتوبة بقتل بعضهم البعض ونحو ذلك.

(2) هو معرفتهم صفة محمد ﷺ في التوراة التي بين أيديهم، ومعرفتهم صدق ما جاء به.

(3) أوجه الإنعام التي أنعم الله بها على بني إسرائيل لما صدقوا موسى واتبعوه، وأوجه العقوبات التي حلَّت بهم لما خالفوه والله أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري (2737)، ومسلم (حديث 91) من حديث ابن عباس ﭭ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموال الناس»

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٧٦]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن بعض اليهود كانوا إذا التقوا بالمؤمنين قالوا لهم آمنا بما معكم وصدقنا أن هذا نبيٌّ لأن صفته في كتابنا وقد أُخذ علينا الميثاق أن نؤمن به، ثم إن هذا النبي يُخبرنا بالذي حكم الله علينا به من التصديق بنبيه إذا بعث، ويخبرنا هذا النبي أيضًا بما عاقب الله به أسلافنا من المسخ وجعل المعتدين منهم قردة وخنازير، ويخبرنا بالذي كان من أسلافنا من أمر عبادتهم للعجل وإلى غير ذلك ثم إذا انصرف هذا الفريق من اليهود إلى إخوانهم اليهود عاتبهم إخوانهم بقولهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٦]، أي: كيف تحدثون هؤلاء المسلمين بما قضى الله به عليكم ـ أي: على أجدادكم ـ من العقوبات وما ألزمكم الله به من الإيمان بنبيهم إذا بُعث، فإنكم بحديثكم هذا لهم تجعلونهم يحتجون عليكم به عند ربكم وتجعلونهم أكثر ثباتًا على الإيمان، والله أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة:٧٦] في قوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة:٧٦]؟

ج: قيل إن المراد الآخرة أي: إن المراد عند السؤال يوم القيامة فيكون ذلك من باب التوبيخ وإظهار الفضيحة.

وقيل ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة:٧٦] أي: في حكم ربكم وقضاء ربكم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النور:١٣]، وكما يقال: فلان عندي عالم، والله أعلم.

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [البقرة:٧٧] يرجع إلى من؟

ج: الضمير يرجع إلى اليهود الذين لاموا إخوانهم لما حدثوا المؤمنين بما

(35) أحمر
أسود

حكم الله به عليهم وقضى عليهم به، والله أعلم.

س: ما معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة:٧٧]؟

ج: الاستفهام معناه هنا التوبيخ والإنكار، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ [البقرة:٧٨] مِن مَنْ؟ وضح المعنى؟

ج: مِن اليهود، والمعنى أن من اليهود من هم أهل علمٍ لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه على علمٍ منهم بذلك التحريف وبعقوبته، ومنهم أهل نفاق ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا...﴾ [البقرة:٧٦] ومنهم أميون، والمراد بهم هنا العوام الجهلة.

س: ما الكتاب المراد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [البقرة:٧٨] وما معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾؟

ج: المراد بالكتاب التوراة، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أي: لا يعلمون عن الكتاب وعن ما فيه من أحكام وفرائض وحدود وحلال وحرام ومع ذلك يدعون أنهم مقرون بالكتاب وهم لا يدرون عما فيه، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالأماني في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ [البقرة:٧٨]؟

ج: لأهل العلم في المراد بالأماني أقوال منها:

1- أنها جمع أمنية، وهي أماني كاذبة يتمنونها ويغرون بها أنفسهم ويوهمونها بها كقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾(1) وقولهم: ﴿لَن

---

(1) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾ [البقرة:١١١] وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[النساء:١٢٣].

تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ [البقرة:٨٠].

وقولهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة:١٨].

فعلى ذلك فالأماني هنا هي الأوهام والأكاذيب التي يوهمون بها أنفسهم.

2- أن الأماني هي التخرصات والظنون الباطلة التي يعتقدونها.

3- أن الأماني هي القراءات أي: قراءات يقرءونها ولا يفهمون معناها، ومن ورود الأمنية بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحج:٥٢].

فتمنى في الآية الكريمة بمعنى (قرأ)، ومن ورود التمني بمعنى القراءة قول الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ آخِرَ لَيْلِهِ ... تَمَنِّيَ دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رُسُلِ

وقوله:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أوَّلَ لَيلِهِ ... وآخِرَه لاقى حِمامَ المقادِرِ

فعلى ذلك، فمعنى الآية على هذا التأويل: ومنهم أميون لا يعلمون شيئًا عن حقيقة الكتاب، والمراد به، اللهم إلا قراءات يقرءونها ولا يحفظون معناها ويرددونها كالببغاوات.

ولكن هذا التأويل هنا ضعيف، أعني تأويل الأماني بالقراءة في هذا الموطن، وذلك لأن الله ﷻ وصفهم بأنهم أميون، والأمي لا يقرأ ولا يكتب.

والوجه الأول عندي أصح، وعليه فمعنى الآية، ومن اليهود قوم أميون (لا يقرءون ولا يكتبون) ولكن يظنون بأنفسهم ظنونًا باطلة ويختلقون إفكًا وزورًا، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى (إن) في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة:٧٨]؟

ج: (إن) هنا بمعنى (ما النافية) والمراد: وما هم إلا يظنون.

وهذا كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم:١١]

أي: ما نحن إلا بشر مثلكم.

۞ وكقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك:٢٠]، أي: ما الكافرون إلا في غرور.

س: ما معنى (إلا) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] وما نوع الاستثناء في الآية الكريمة؟

ج: (إلا) في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] معناها لكن، أي: لكن أماني.

أما الاستثناء في هذا الموطن فهو استثناء منقطع(1)، وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كأن تقول حضر القوم إلا الباخرة لم تحضر، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء:١٥٧]، فاتباع الظن ليس من جنس العلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:١٩، ٢٠].

س: من المعلوم أن الكتابة لا تكون إلا بالأيدي فما وجه قوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٧٩]؟

ج: وجه ذلك تأكيد كتابتهم للكتاب فقد يأمر الشخص غيره بالكتابة فيكتب ويسمى الآمر كاتبًا، أي أنهم لم يأمروا غيرهم بكتابته بل باشروا الكتابة بأنفسهم وزوّروها بأيديهم فهو بيان لجرمهم وإثبات لتحريفهم وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨] ومن المعلوم أن الطيران يكون بالجناح، وكقوله

(1) قال الطبري خ في تفسيره (462/2) ما حاصله: أن الاستثناء المنقطع يكون في كل موضعٍ حَسُن أن يوضع فيه مكان (إلا) «لكن» فيعلم حينئذٍ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول، ألا ترى إنك إذا قلت: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، ثم أردت وضع (لكن) مكان (إلا) وحذف (إلا) وجدت الكلام صحيحًا معناه صحته وفيه (إلا) وذلك إذا قلت: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أماني يعني لكنهم يتمنون، وكذلك قوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء:١٥٧] لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن، وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا والله أعلم.

تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران:١٦٧] والقول لا يكون إلا بالأفواه، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:٧٩]؟

ج: المعنى يغيرون ما في الكتاب ويحرفونه ويبدلونه وأيضًا كتبوا كتابًا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله افتراء وكذبًا كما قال ابن عباس ﭬ: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تقرءونه غضًّا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيَّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم.

س: قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٧٩]، هل إذا اشتروا به ثمنًا كثيرًا جاز؟

ج: لا يجوز تحريف الكتاب من أجل الثمن القليل ولا من أجل الثمن الكثير، والمراد بقوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:٧٩] أي: عرضًا من أعراض الدنيا سواء كان قليلاً أو كثيرًا، فكل متاع الدنيا قليل كما قال سبحانه: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨] والله تعالى أعلم.

س: لماذا كرر الويل في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]؟

ج: كرر الويل للتوبيخ والتقريع وتقبيح الجريمة، جريمة التحريف والافتراء، والله أعلم.

وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ
عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢

الكلمة	معناها
﴿مَّعۡدُودَةًۚ﴾	أي: يعدها العاد، والمراد: أيامًا قليلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي: دراهم قليلة وكما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤] أي: قليلة، على رأي لبعض العلماء، والله أعلم.

س: ما الأيام المعدودة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]؟

ج: قيل إنها بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، فقيل هي سبعة أيام وقيل أربعون يومًا وقيل غير ذلك، فالله أعلم.

س: ما المراد بالسيئة في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]؟

ج: السيئة في قول أكثر أهل العلم ـ في هذا الموطن المراد بها الشرك (1) والله أعلم.

س: اصطلاح السيئة قد يأتي في الكتاب العزيز ويُراد به الشرك، وقد يأتي أحيانًا ويُراد به الكبيرة، وقد يأتي أحيانًا أخرى ويُراد به الصغيرة دلِّل على ذلك .

---

(1) وقد أخرج الطبري (1241) بإسناد حسن عن أبي وائل أنه قال في تفسير السيئة في هذا الموطن إنها الشرك.

وكذلك روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنها الشرك أيضًا (أثر 4241)، وعن غيرهم كذلك أنها الشرك.

قال الطبري خ (282/2): وإنما قلنا إن (السيئة) التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع إنما عني الله بها بعض السيئات دون بعض، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامًّا لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **[البقرة:٨١]**، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **[البقرة: ٨٢]**، فكان معلومًا بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (771/2): تنبيه: ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخلود في النار إنما هو للكفار المشركين لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود، والله أعلم.

ج: إيضاح ذلك أن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها في الكتاب العزيز، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه، ومن هذا كلمة السيئة:

۞ فتأتي أحيانًا بمعنى الشرك كما في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:81]، وذلك لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك ومن على شاكلته من الملاحدة ومنافقي نفاق الاعتقاد.

ومن هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل:90]

۞ وتأتي السيئة أحيانًا بمعنى الكبيرة كما قال تعالى في شأن قوم لوط: ﴿... وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:78].

وتأتي أحيانًا بمعنى الصغيرة كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:31] .والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:81]؟

ج: قال كثير من أهل العلم: إن معناها (ومات على الكفر).

۞ وبعضهم قال: غلبت سيئاته حسناته فأذهبتها ومحقتها، فالمحيط بالشيء، يكون أعظم من الشيء المُحاط به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف:29]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:49].

۞ وبعض العلماء يقول: اجتمعت عليه سيئاته حتى أهلكته كقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف:66] أي: تهلكوا .والله تعالى أعلم.

۞ ومن العلماء من يقول إن الخطيئة هنا هي الكبيرة، والله تعالى أعلم.

س: هل مرتكب الكبيرة لا بد أن يُعذب وإن تاب منها وكيف يكون حاله إذا لم يتب منها؟

ج: أما قول القائل: (لا بد أن يُعذب إن تاب أو لم يتب) فخطأ ظاهر.

۞ فإن الله ۵ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

۞ وقال النبي ﷺ بعد أن ذكر جملة من الكبائر: **«فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»**(1).

۞ وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

۞ وقال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ [العنكبوت:٢١].

۞ وقال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف:١٥٦] إلى غير ذلك من الأدلة.

فمرتكب الكبيرة لا يُستطاع القطع في حقه بأنه سيعذب سواء تاب منها أم لم يتب منها، لكنه إن تاب منها فتوبته أرجى لكشف العذاب عنه.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤].

۞ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان:٦٨ - ٧٠].

۞ وقال نوح لقومه: ﴿... ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [نوح:١٠، ١١].

---

(1) أخرج البخاري (حديث81)، من حديث عبادة بن الصامت ڤ - وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك.

۞ وحديث قاتل التسعة والتسعين الذي أتمهم وقتل العابد فأكمل به المائة لما توجه بقلبه إلى الله تعالى تائبًا تلقته ملائكة الرحمة (1).

۞ وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم...**» (2).

|

س: صاحب الكبيرة إن قدر الله عليه العذاب هل يُخلد في النار؟

ج: لا يُخلد في النار، بل يأخذ ما قدره الله ه عليه من العذاب ثم يكون مآله إلى الجنة فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ففي «الصحيحين» من حديث أبي ذر ف قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «**ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: «**وإن زنى وإن سرق**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**» (3).

۞ وفي «الصحيح» (4) أن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودُّوا فيلقون في نهر الحيا ـ أو الحياة** ـ شك مالك (أحد رواة الحديث) **فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**».

|

(1) أخرجه البخاري (حديث0743)، ومسلم (حديث6672)، من حديث أبي سعيد الخدري ف مرفوعًا.

(2) أخرجه مسلم $ (حديث7752)، من حديث أبي ذر ف مرفوعًا إلى رسول الله فيما روى عن الله ع أنه قال: (...فذكره).

(3) أخرجه البخاري (7285)، ومسلم في الإيمان (351، 451)، وفي الزكاة (23، 33)، وفي رواية: «أتاني آت من ربي فأخبرني ـ أو قال: بشرني ـ أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق».

(4) أخرجه البخاري (حديث22)، ومسلم (حديث 481)، من حديث أبي سعيد الخدري ف مرفوعًا.

س: اذكر آية كريمة وحديثًا نبويًّا شريفًا في معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]؟

ج: أما الآية الكريمة فهي في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

۞ أما الحديث النبوي فقد أخرجه البخاري[(1)] من حديث أبي هريرة ف قال: لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود فجُمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه**» فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: «**من أبوكم؟**» قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم بل أبوكم فلان**»، قالوا: صدقت، قال: «**فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألت عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم: «**مَن أهل النار؟**» قالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها. فقال النبي ﷺ: «**اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا**» ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» قالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟**» قالوا: نعم. قال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًّا لم يضرك.

|

س: ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الأيام) لا يضاف إلا إلى العشرة فما دونها فيقال مثلاً عشرة أيام، تسعة أيام... ثلاثة أيام ولا يقال إحدى عشر أيام بل يقال أحد عشر يومًا وهذا واضح، ومن ثمَّ بنى بعض الأحناف على هذا رأيًا فقهيًّا حاصله أن أقل مدة للحيض ثلاثة أيام وأكثر مدة للحيض عشرة أيام

---

(1) حديث (9613).

مستدلين بحديث رسول الله ﷺ للمرأة لما حاضت: «دعي الصلاة أيام أقرائك» فهل يسلم لهم هذا الاستدلال؟

ج: لا يسلم لهم هذا الاستدلال، وذلك لأن الأيام أحيانًا قد يوصف بها ما فوق العشرة كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:١٨٣، ١٨٤].

والأيام المعدودات هي شهر رمضان بتمامه، وهو فوق العشرة بلا شك.

وأيضًا فإن سلم لهم الاستدلال من جانب فهو محمول على الأغلب، بمعنى أن أغلب النساء حيضتهن تتراوح مدتها ما بين الثلاثة أيام إلى العشرة أيام، والقلة منهن اللواتي يزدن في مدة حيضهن عن العشرة أيام، وقليل منهن من تنقص مدة حيضتها عن ثلاث، والحكم يكون للأغلب، والله تعالى أعلم.

س: لماذا قيل في هذه الآية الكريمة: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وقيل في سورة آل عمران: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ والموصوف شيء واحد وهو الأيام؟

ج: أجاب على ذلك الرازي في «تفسيره» بقوله (1): إن الاسم إذا كان مذكرًا فالأصل في صفة جمعه التاء، يقال كوز وكيزان مكسورة، وثياب مقطوعة، وإن كان مؤنثًا كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يُقال جرة وجرار مكسورات وخابية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نادرًا نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبطرات، وعلى هذا ورد قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، و﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨] فالله سبحانه تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وفي آل عمران بما هو الفرع.والله تعالى أعلم.

---

(1) التفسير الكبير (031/3).

(46) أحمر
أسود

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣

الكلمة	معناها
اليتيم	هو: من مات أبوه وهو: صغير لم يحتلم.
المسكين	هو: المتذلل المتخشع من الفاقة والحاجة ـ الذي أسكنه الفقر وأسكنته الحاجة، وهو ـ أيضًا ـ: العاجز عن الكسب، أو: الذي يكتسب ولكن يكتسب ما لا يكفيه.
﴿حُسۡنٗا﴾	قولًا معروفًا لينًا حَسنًا طيبًا جميلًا، ومن القول الحسن: بذل السلام للناس، وتعليم جاهلهم، وإرشاد ضالهم، والبشاشة في وجوههم، والابتعاد عن الفحش من القول والبذاءة والشتم والسباب.

(47) أحمر
أسود

س: ما هذا الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ...﴾ [البقرة:٨٣]؟

ج: قال كثير من العلماء: هذا ميثاق مأخوذ عليهم في التوراة، والله أعلم.

بعض الوارد في الحث على بر الوالدين

س: اذكر بعض الآيات الواردة في الأمر بالإحسان إلى الوالدين والحث على ذلك وكذلك بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد مع بيان بعض صور الإحسان إليهما؟

ج: أما الآيات الواردة في هذا الباب فكثيرة، وقد قرن الله الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعبادته التي هي توحيده، والبراءة من الشرك اهتمامًا به وتعظيمًا له، فمن الآيات في هذا الباب ما يلي:

۞ قول الله ع: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣].

۞ وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦]

۞ وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١].

۞ وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤].

۞ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨].

۞ وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ

أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ...﴾ [لقمان:١٣-١٥].

۞ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف:١٥-١٦].

۞ وأثنى الله ۵ على نبيه يحيى ؛ فقال: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم:١٤].

۞ وقال عيسى ﷺ وهو في المهد يتكلم: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم:٣٢].

۞ أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها:

۞ ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود ﭬ قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: **«الصلاة على وقتها»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«برُّ الوالدين»**، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»** (1).

۞ وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﭬ قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: **«هل لك من والديك أحد حيٌّ؟»** قال: نعم بل كلاهما، قال: **«فتبتغي الأجر من الله تعالى؟»** قال: نعم، قال: **«فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»**، واللفظ لمسلم.

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو ﭬ أيضًا قال: جاء

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح004/01)، ومسلم(58)، والنسائي (292/1)، والترمذي (371) وقال: حديث حسن صحيح.

رجل فاستأذنه في الجهاد قال: **«أحيٌّ والداك؟»** قال: نعم، قال: **«ففيهما فجاهد»** (1) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رَغِمَ أنف ثُم رَغِمَ أنف ثُم رَغِمَ أنف»** قيل: من يا رسول الله؟ قال: **«من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»** (2).

۞ وسئل النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله، قال: **«أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«ثم أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«ثم أمك»** قال: ثم من؟ قال: **«ثم أبوك»** (3).

۞ وفي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة وأغلقت عليهم الغار، فتوسل أحدهم ببره لوالديه ففرج الله ۵ عنهم (4).

۞ وفي الباب كذلك حديث أويس القرني الذي عدَّه رسول الله ﷺ خير التابعين لبره بأمه (5).

۞ وفي الباب أيضًا استجابة دعوة أم جريج على ولدها لما قالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المياميس لما أقبل على صلاته ولم يلتفت لأمه (6).

ومن صور الإحسان إلى الوالدين برُّهما والعطف عليهما والنزول عند رأيهما فيما لا معصية فيه، ودعوتهما إلى الله ۵ (7)، والحج عنهما إذا لم

---

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح6/041)، ومسلم (114/5)، وأبو داود (9252)، والنسائي (01/6)، والترمذي (1761) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(2) أخرجه مسلم (مع النووي 614/5) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.

(3) أخرجه البخاري (مع الفتح 104/01)، ومسلم (مع النووي 014/5) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.

(4) أخرجه البخاري (مع الفتح 404/01)، ومسلم (حديث 3472) من حديث ابن عمر ﭭ مرفوعًا.

(5) حديث أويس أخرجه مسلم (مع النووي 304/5) وقصته هناك بتفصيل.

(6) قصة جريج في البخاري (مع الفتح 674/6)، ومسلم (414/5) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وأوله: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...».

(7) كما كان إبراهيم الخليل يفعل فيقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٢-٤٥].

يكونا قد حجا وكذلك الاعتمار، وكذلك الوفاء بنذورهما، والصدقة عنهما، والاستغفار لهما بعد موتهما وصلة أهل وُدهما، وإلانة القول لهما وخفض الجناح إليهما والتزام الأدب الوارد عن رسول الله ﷺ في التعامل معهما مُسلمين كانا أو كافرين.

|

س : اذكر بعض صور الإحسان لذي القربى؟

ج: من صور الإحسان لذي القربى معرفة حقهم وقرابتهم ووصل الرحم لهم كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول: **«إن آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء إنما وليَّ الله وصالح المؤمنين»**[(1)]. زاد عنبسة بن عبد الواحد (كما عند البخاري) عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ: **«ولكن لهم رحم أبلها ببلالها»** يعني: أصلها بصلتها.

|

س: ما هو حد اليتيم؟

ج: حد اليتيم[(2)] هو البلوغ (أي: الاحتلام) عند كثير من العلماء ومنهم من حدَّه بالإنبات (إنبات شعرٍ حول العانة) لما حدث يوم بني قريظة من أن الصحابة كانوا ينظرون فمن نبت له شعر حول العانة قُتل وإلا تُرك[(3)].

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 0995)، ومسلم (حديث 512) والزيادة عند البخاري، وهي معلقة كما ترى وقد ذكر الحافظ ابن حجر في« الفتح» (224/01)من وصلها.

(2) قال ابن عطية $: واليتيم في بني آدم من فقد الأب، وفي البهائم من فقد الأم.

(3) صحيح فقد أخرج أحمد في «المسند» (013/4، 383)، وأبو داود في «سننه» (حديث 4044)، والترمذي (4851) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (551/6)، (29/8)، وابن ماجه (حديث 1452)، والحاكم (321/2) وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال: عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قُتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فَخُلِّي سبيلي.

۞ وقد توبع عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي كما عند الحاكم (321/2)، والحميدي (988)، والنسائي في الكبرى (9168) تابعه مجاهد بن جبر عن عطية القرظي.

=

۞ ومنهم من حدَّه بخمس عشرة سنة لما روي عن ابن عمر ﭫ أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أُحد (وهو ابن أربع عشرة سنة) فرده النبي ﷺ ثم عُرض عليه وهو يوم الخندق (وهو ابن خمس عشرة سنة) فأجازه النبي ﷺ(1) والأول أصح، والله تعالى أعلم.

|

س: اذكر حديثًا في فضل كافل اليتيم، وحديثًا في فضل الساعي على الأرملة والمسكين؟

ج: أما الحديث الوارد في فضل كافل اليتيم فقد أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث سهل بن سعد ﭫ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»**، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئًا(2).

۞ أما الحديث الوارد في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ففي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي هريرة ﭫ قال: قال النبي ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»**(3).

|

س: ما مدى صحة استدلال من استدل بقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة:٨٣] على أننا نبدأ اليهود والنصارى بالسلام؟

ج: هذا استدلال غير جيد؛ لأن النبي ﷺ قال: **«لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام...»**(4)، ثم إن القول الحسن لا يستلزم الابتداء بالسلام.والله تعالى

= ۞ وتابعه أيضًا كثير بن السائب قال: حدثني ابنا قريظة أنهم عرضوا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فمن كان محتلمًا أو نبتت له عانته قتل ومن لم يكن محتلمًا أو لم تنبت عانته تُرك.

وبالجملة فالحديث يثبت بهذه الطرق، والله أعلم.

(1) صحيح أخرجه البخاري (حديث 7904)، ومسلم حديث (8681).

(2) أخرجه البخاري (حديث 4035)، ومسلم في «الزهد» (حديث 3892).

(3) أخرجه البخاري (حديث 3535)، ومسلم في «الزهد» (2892).

(4) أخرجه مسلم (مع النووي 841/41)، من حديث أبي هريرة ﭫ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».

أعلم.

|

س: القول الحسن هل هو مطلوب مع المؤمنين فقط أم مع عموم الناس؟

ج: القول الحسن مطلوب مع عموم الناس ولا يُخرج عنه إلى غيره إلا إذا بدر ممن تتعامل معه سوء فحينئذ يجوز لك نوع من الانتصار بقدر المظلمة.

أما الأدلة على أن القول الحسن عام فمنها ما يلي:

- عموم قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة:٨٣].
- قول الله ٥ لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٤].
- قول الله ٥: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].
- قول الله ع: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:٤٦].
- قوله تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].
- قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان:٧٢].
- وقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].
- وقوله تعالي: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:٣٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام:١٠٨].
- قول النبي ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».**

وفي رواية: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على**

العنف، وما لا يعطي على ما سواه»(1).

وفي رواية: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»(2).

۞ وعن جرير بن عبد الله ف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»(3).

۞ أما الشدة فتجوز أحيانًا إن احتيج إليها كما قال سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩] فحيث لا ينفع معهم إلا الغلظة استعملت الغلظة معهم.

۞ وقال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨].

۞ وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠].

۞ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠] فحيثما دعت الحاجة إلى اللين ألان الشخص القول وأحسن الوعظ وهو الأصل وإذا دعت الحاجة إلى الشدة اشتد الشخص يبتغي بذلك وجه الله فالرفق في موطن يحتاج إلى شدة نوع من الضعف والخور، والشدة في موطن يحتاج إلى لين طيش وجهل وسفه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا والله أعلم.

س: من القليل المذكورون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٨٣]؟

ج: هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ

---

(1) أخرجه مسلم (3952)، واللفظ له والبخاري (4206)، (6296)، من حديث عائشة ڤ مرفوعًا.

(2) أخرجه مسلم (حديث 4952)، من حديث عائشة ڤ مرفوعًا.

(3) أخرجه مسلم (2952) من حديث جرير بن عبد الله ف مرفوعًا.

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥]، أي: أنهم القائمون بأمر الله ‌ۚ الحافظون لحدوده.

۞ وهم أيضًا الذين لم يحرفوا ولم يُبدلوا، وهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ لما بُعث.

س: قوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، معرضون عن ماذا؟

ج: معرضون عن الميثاق الذي أخذ عليكم، وقيل: معرضون عن كتاب الله ‌ۚ، والله تعالى أعلم.

س: فسر بعض العلماء التولي بأنه الإعراض فما فائدة التكرار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣]؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة، منها:

۞ أن ذلك لتأكيد الإعراض والتولي كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

۞ ومنهم من قال إن التولي يكون بالجسم والإعراض يكون بالقلب والمعنى أن هناك من يتولى وفي نيته الرجوع، ومنهم من يتولى وليس في نيته الرجوع، فهؤلاء قد تولوا وليس لهم نية ولا رغبة في الرجوع.

۞ ومنهم من قال: إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم﴾[البقرة:٨٣] خطاب لهم والمراد أسلافهم من آبائهم وأجدادهم الذين تولوا، وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣] انتقل الخطاب إلى المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود، فالمعنى على ذلك ثم تولى آباؤكم، وأنتم كذلك معرضون والله تعالى أعلم.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣]؟

ج: أجمل الطبري خ القول فقال[1] : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ويصلوا الأرحام ويتعطفوا على الأيتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره في ذلك كله وتولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه.

|

---

(1)(892/2).

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا
تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ
تَشۡهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ
وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ
عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ
تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ
بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن
يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦

الكلمة	معناها
﴿أَقْرَرْتُمْ﴾	اعترفتم.
﴿تَظَٰهَرُونَ﴾	تتعاونون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].
﴿بِٱلْإِثْمِ﴾	المعصية والذنب، وهو -أيضًا-: الفعل الذي يستحق فاعله الذم.
﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾	الظلم والاعتداء وتجاوز الحد.
﴿أُسَٰرَىٰ﴾	جمع أسير.
﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾	تدفعون المال عن أسرهم لتخلصوهم من يده وتردوهم إليكم.
﴿خِزْيٌ﴾	ذلة وصغار، ويتمثل ذلك في: فرض الجزية عليهم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] ويتمثل في: قتل مقاتلتهم كما فعل ببني قريظة، وكذلك: سبي نسائهم، وكذلك في: إخراج بني النضير من ديارهم لأول الحشر، كما ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم، ويطلق الخزي -أيضًا- على: الفضيحة والعار، والله أعلم.

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ ...﴾ [البقرة:٨٤]، الآية؟

ج: المخاطبون هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ، والمراد بالميثاق، الميثاق المأخوذ على آبائهم، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ﴾ [البقرة:٨٤] أقررتم بماذا؟

ج: أقررتم أنتم يا معشر اليهود من ساكني مدينة رسول الله ﷺ والمحيطين بها أن هذا الميثاق قد أُخذ فعلاً على آبائكم وأسلافكم والتزمتموه أنتم كذلك ولم تنكروه، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ [البقرة:٨٤]، تشهدون ماذا أو على ماذا؟

ج: قيل: تشهدون بقلوبكم على هذا، وقيل: تشهدون على أننا أخذنا الميثاق على أوائلكم، وقيل: إن قوله تشهدون توكيد للإقرار، وقيل: تشهدون أي: تحضرون سفك الدماء والإخراج من البيوت، والله تعالى أعلم.

س: هل كان القوم يقتلون أنفسهم ويُخرجونها من الديار حتى قيل لهم: ﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ...﴾ [البقرة:٨٤]؟

ج: ليس الأمر كذلك، ولكن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة.

۞ كما قال النبي ﷺ في شأن أمته: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»** (1).

۞ وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] أي: لا يلمز بعضكم بعضًا.

۞ وكما قال سبحانه: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور:٦١]، أي: على إخوانكم.

۞ وكما قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾

---

(1) أخرجه البخاري (1106)، ومسلم (6852) من حديث النعمان بن بشير ﭬ مرفوعًا.

[النور:٦١] أي بإخوانهم ونحو ذلك(1) ، هذا قول وهو أقوى الأقوال في هذا الباب، وثم أقوال أُخر منها ما ذكره الطبري خ حيث قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾ [البقرة:٨٤]، أي: لا يقتل الرجلُ منكم الرجل منكم فيقاد به قصاصًا فيكون بذلك قاتلاً نفسه؛ لأنه كان الذي سبَّب لنفسه ما استحقت به القتل، فأضيف بذلك إليه، قتلُ ولي المقتول إياه قصاصًا بوليِّه كما يُقال للرجل يرتكب فعلاً من الأفعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة (أنت جنيت هذا على نفسك).

۞ وذكر نحوه القرطبي $ فقال: وقيل المراد القصاص، أي: لا يقتل أحد فيُقتل قصاصًا فكأنه سفك دمه، وكذلك لا يزني ولا يرتد، فإن ذلك يبيح الدم، ولا يُفسد فيُنفى فيكون قد أخرج نفسه من دياره، وهذا تأويل فيه بُعد وإن كان المعنى صحيحًا.

۞ ونقل القرطبي قولاً ثالثًا عن ابن خُويز مِنداد ـ ونحوه ذكره الرازي في تفسيره ـ قال: وقد يجوز أن يُراد به الظاهر، لا يقتل الإنسان نفسه ولا يخرج من داره سفهًا كما تقتل الهند أنفسها، أو يقتل الإنسان نفسه من جهدٍ وبلاءٍ يصيبه، أو يَهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت جهلاً في ديانته وسفهًا في حِلمه فهو عموم في جميع ذلك. والله تعالى أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٨٥]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ ثم أنتم يا هؤلاء المعاصرون لنبينا محمد ﷺ من بني إسرائيل تقتلون إخوانكم.. فهؤلاء ـ على هذا ـ منادى حذفت أداة ندائه كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ...﴾ [يوسف:٢٩] أي: يا يوسف أعرض عن هذا.

---

(1) أخرج الطبري (4641) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾ [البقرة:٨٤]، قال: أي لا يقتل بعضكم بعضًا، ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ [البقرة:٨٤]، ونفسك يا بن آدم أهل ملتك.

۞ وقال بعض العلماء: إن المعنى... ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم، واعتُرض بين (ثمَّ) و(أنتم) بكلمة هؤلاء كما يقال: أنا ذا أقوم، وأنا ذا أجلس، والله أعلم.

|

س: ما الشيء الذي آمنت به بنو إسرائيل وما هو الشيء الذي كفروا به حتى وبَّخهم الله [redacted] بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]؟

ج: أمرت بنو إسرائيل بأشياء ونهوا عن أشياء:

فنهوا عن قتل بعضهم البعض، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٨٤].

۞ ونهوا عن إخراج إخوانهم من ديارهم كما قال تعالى: ﴿...وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ [البقرة:٨٤].

وأُمروا بفداء الأسرى منهم، فإذا أُسر أحدهم وجب عليهم أن يفادوه فآمنوا ببعض(1) (وهو فداء الأسارى) وكفروا بالبعض الآخر فكانوا يقتلون إخوانهم ويخرجونهم من ديارهم ويتعاونون مع عدوهم عليهم.

فكان اليهود ثلاث طوائف: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، فكان بنو قينُقاع حلفاء الخزرج، وكان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حروب اقتتلوا كل طائفة من اليهود تقاتل في صف حليفها فيقتل القينقاعي أخاه القرظي والنضيري، والعكس بالعكس فإذا وضعت الحرب أوزارها سعى النضيري في فداء أخيه الأسير القينقاعي والعكس بالعكس، ويقولون: حرام علينا أن نتركهم أسارى بدون فداء، فوبخهم الله ٥ على سوء صنيعهم، فكما أنه حرام عليكم أن تتركوهم بدون فداء فحرام عليكم كذلك أن تقاتلوهم وتخرجوهم من ديارهم بل إن قتالهم وإخراجهم من ديارهم أشد حرمة من تركهم بدون فداء فمن ثَمَّ قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ

---

(1) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (5741) قال: والله إن فداءهم لإيمان وإن إخراجهم لكفر، فكانوا يخرجونهم من ديارهم، وإذا رأوهم أُسارى في أيدي عدوهم افتكُّوهم.

وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة:85] وعلى هذا جمهور المفسرين، وقد جاء فيه أثر عن ابن عباس ﭬ وفيه كلام(1) إلا أن سياق الآية الكريمة يقتضي تصحيح ما ذُكر، وإن كان قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة:85]، يتنزل على أشياء فعلها الإسرائيليون أكثر مما ذكر كإيمانهم ببعض التوراة وكفرهم بصفة محمد ﷺ التي فيها، والله تعالى أعلم.

س: ما حكم فداء الأسرى في الإسلام؟

ج: قال عدد من أهل العلم: إنه واجب.

۞ قال القرطبي ﬗ: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد.

۞ قال ابن خويز منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأسرى وبذلك وردت الآثار عن النبي ﷺ(2) أنه فك الأسرى وأمر بفكِّهم وجرى بذلك عمل

---

(1) أخرج الطبري (1741) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﭬ قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [البقرة:85] إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم قال: أنَّبهم الله على ذلك من فعلهم وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الأوس،، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يُظاهر كل من الفريقين حلفاؤه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامة ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالاً، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلُّون(*) ما أصابوا من الدماء وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم مظاهرةً لأهل الشرك عليهم، يقول الله تعالى ذكره حين أنَّبهم بذلك: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة:85]، أي: تُفادونه بحكم التوراة وتقتلونه، وفي حكم التوراة ألا يقتل ولا يُخرج من داره ولا يُظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عَرَضٍ من عَرَضِ الدنيا.

۞ قلت: وفي الإسناد محمد بن أبي محمد وهو مجهول وفيه محمد بن حميد وهو الرازي ضعيف لكن في الغالب أنه متابع، والله أعلم.

(2) من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (6403) من حديث أبي موسى الأشعري ﭬ قال: قال رسول الله =

المسلمين وانعقد به الإجماع، ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين.

۞ **وقال الحافظ ابن حجر خ (فتح الباري 391/6):** قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور.

س: ما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كأن يقول الدين يقتصر على العبادات (من صلاة وصيام وزكاة وحج) ولا دخل للدين في الحياة من أمور الاقتصاد والحكم والحدود والمعاملات والأخلاق ونحو ذلك؟

ج: جزاؤه كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥].

۞ **قال الشيخ أحمد شاكر خ (عمدة التفسير 571/1):** ومما يملأ النفس ألمًا وحزنًا أن صار أكثر الأمم التي تنتسب للإسلام إلى هذا الوصف المكروه ووقعوا في مثل هذا العمل الذي ذمَّ الله اليهود من أجله وجعل جزاء من يفعله خزيًا في الحياة الدنيا وردًّا في الآخرة إلى أشد العذاب، فنرى أكثر الأمم المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن ويشهدون بذلك ويعرفونه ويزعمون القيام بأمره ثم هم يخالفونه في التشريع في شئونهم المالية والجنائية والخلقية ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه وتشريع رسول الله ﷺ في سنته لا يوافق هذا العصر، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاءوا، وافق الكتاب والسنة أم

= ﷺ: «فكُّوا العاني ـ يعني: الأسير ـ وأطعموا الجائع وعودوا المريض».

وأخرج البخاري (حديث 7403) من حديث أبي جحيفة ف قال: قلت لعلي ف هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر.

(*) أطل دمه: أهدره وأبطله، ومنه قول الأعرابي. في حديث المرأة التي رمت الأخرى بحجر في بطنها فأسقطت الجنين فقضى النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة ـ كيف أودي من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يُطل.

خالفه، ويصطنعون قوانين أوربا الوثنية الملحدة ويشربونها في قلوبهم يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أُنزل إليهم من ربهم ولا يتعظون بما أنذرهم به من المثل بالأمم قبلهم.

س: قال في الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [البقرة:٨٥]، وقال سبحانه في شأن قوم فرعون: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، وقال تعالى في شأن أصحاب المائدة: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥]، وقال النبي ﷺ في المصورين: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون». فكيف تجمع بين هذا كله؟

ج: إن كل المذكورين يكونون في أشد العذاب، والله تعالى أعلم(1).

(1) وثَمَّ إجابة أوسع ستأتي في بابها إن شاء الله.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ
بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ
ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ
رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ
فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧

الكلمة	معناها
﴿وَقَفَّيۡنَا﴾	أردفنا ـ أتْبعنا.
﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ﴾	قوَّيناه(1) ـ أعنَّاه.
﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾	جبريل ﻏ.
﴿تَهۡوَىٰٓ﴾	تُحب.

(1)أخرج ابن أبي حاتم (أثر 888) بإسناده إلى ابن عباس قال: أيدناه قويناه.

س: ما الكتاب الذي آتاه الله ۵ موسى غ؟

ج: هذا الكتاب هو التوراة.

س: من الرسل المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة:٨٧]؟

ج: هم الأنبياء الذين جاءوا إلى بني إسرائيل بعد موسى ﷺ على منهاجه وشريعته يحثون الناس عى التوراة والعمل بما فيها إلى أن جاء عيسى غ، فعلى ذلك هم الذين أرسلوا في الفترة ما بين موسى إلى عيسى ﷺ(1) ، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة:٤٤]، والله أعلم.

س: ما البينات التي آتاها الله ۵ نبيه عيسى ابن مريم غ؟

ج: هذه البينات تتمثل في الآيات التي أيد الله ۵ بها عيسى ابن مريم غ وأجراها على يديه، ومنها إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، وإخباره قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله، والمائدة التي أنزلها الله ۵ عليه، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله والنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، والإنجيل الذي آتاه الله ۵ إياه إلى غير ذلك، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بروح القدس وما معنى هذا الاسم؟

ج: لأهل العلم في روح القدس أقوال:

۞أصحها وأشهرها أن المراد بروح القدس جبريل(2) ♥ ويؤيده قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٣، ١٩٤]

---

(1) ويؤيده قول النبي ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم كلما مات نبي خلفه آخر...» الحديث.

(2) وأخرج ابن أبي حاتم (098) عن ابن مسعود أنه قال: روح القدس هو جبريل غ.

(66) أحمر
أسود

۞ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ...﴾ [النحل:١٠٢].

۞ وقول النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين: **«اهجهم وجبريل معك»**(1)، وفي رواية: **«اللهم أيده بروح القدس»**(2).

۞ من العلماء من قال: إن روح القدس هو الإنجيل، واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] فسمى الله ﻷ كتابه روحًا، وكذلك الإنجيل فليكن.

وهذا القول ضعيف، وذلك لأن الله قال: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ [المائدة:١١٠] فذكر الله في الآية الكريمة الإنجيل بعد أن ذكر روح القدس فدل على أنه غيره.

۞ ومن العلماء من قال: إن روح القدس هو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى ﻍ يذكره عند إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص ولا دليل على هذا القول، والله تعالى أعلم.

أما القدس فقال بعض العلماء: إنه القدوس، وهو اسم من أسماء الله تعالى.

۞ **قال الطبري $:** وإنما سمى الله تعالى جبريل (روحًا) وأضافه إلى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك «رُوحًا» وأضافه إلى (القدس) والقدس هو الطهر كما سمي عيسى ابن مريم روحًا، من أجل تكوينه له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى (التقديس) التطهير، و(القدس) الطهر من ذلك، وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه... ثم نقل عن العلماء قولهم الذي يدور على تفسير القدس بالبركة،

---

(1) أخرجه البخاري (3214)، ومسلم (6842) من حديث البراء ﻑ مرفوعًا.

(2) أخرجه البخاري (2123)، ومسلم (5842) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

وتفسيره بأن المراد فيه الرب ▌.

۞ هذا وقد قال بعض أهل العلم إن معنى روح القدس أي: الروح المقدسة أي:المطهرة كما تقول رجل صدق والله تعالى أعلم.

س: ما نوع الإضافة في قوله تعالى: ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٧٨]؟

ج: الإضافة: إضافة تشريف، كما قال الله ▌ في شأن الناقة: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣] فكل النوق لله ▌، ولكن قوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ في شأن ناقة صالح غ للتشريف وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، مع أن الأرض ومن عليها كلها لله (1)، ولكن قيل: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، للتشريف وكما قال تعالى في شأن عيسى غ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١] (2)، والله تعالى أعلم.

س: لماذا أُطلق على جبريل روح؟ ولماذا أُطلق على عيسى غ روح؟

ج: قال بعض أهل العلم: لأنه ينزل بالوحي الذي هو بمنزلة الروح للأبدان. وقيل: لأنه خلق من غير ولادة، أما عيسى ؛ فكذلك سمي روحًا؛ لأنه يحيي الموتى بإذن الله وقيل: لأنه ولد من غير أب، كما قال تعالى في شأن مريم ڑ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢].

س: جبريل نزل على الأنبياء ۏ بالوحي فلماذا اختص عيسى غ بقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧]؟

---

(1) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

(2) فالبشر كلهم تُنفخ فيهم الروح كما في حديث ابن مسعود ؈ عن النبي ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة.. ثم يأتي الملك فينفخ فيه الروح..**» الحديث والله تعالى أعلم.

ج: قال بعض أهل العلم: لأنه نفخ في أمه كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقيل: إن عيسى تكلم بالوحي في صغره حيث قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم:٣٠]، وقيل: لأن الله أيده به لما رفعه الله إليه، ولا أعلم مستندًا صحيحًا لذلك والله تعالى أعلم.

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ...﴾ [البقرة:٨٧] لمن؟

ج: الخطاب في الآية الكريمة لليهود من بني إسرائيل.

س: لماذا قيل في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:٨٧]، بصيغة المضارع في: ﴿تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧] ولم يقل وفريقًا قتلتم؟

ج: لأن قوله تعالى: ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧] يفيد استمرارهم في قتل النبيين ومن ذلك وضعهم السمَّ في الشاة وتقديمها إلى رسول الله ﷺ(1) وقد قال النبي ﷺ: **«ما زلت أجد ألم السم الذي وضع في الشاة فهذا أوان انقطاع أبهري».**

---

(1) أخرج البخاري (7775) من حديث أبي هريرة ﭬ قال: لما فتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «أجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود»، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتم بل أبوكم فلان» فقالوا: صدقت وبررت، فقال: «هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله: «اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا» ثم قال لهم: «هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟» فقالوا: نعم، فقال: «ما حملكم على ذلك؟» فقالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك وإن كنت نبيًّا لم يضرك.

وأخرج البخاري معلقًا حديث (8244) وفيه: قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة ﭭ كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت يوم خيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السُّم»، وذكر الحافظ ابن حجر ﭫ في فتح الباري (737/7) من وصله، ولم يسعفني الوقت للبحث فيه (أي: في هذا المعلق).

والله أعلم.

س: كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء والصالحين أسوأ معاملة وأبشع معاملة دلّل على ما تقول ووضح سبب هذه المعاملة السيئة؟

ج: أما سبب هذه المعاملة السيئة فهو أن الأنبياء ؈ وأتباعهم كانوا يأتون بني إسرائيل بوحي الله ۵ ويبلغونهم رسالاته التي تخالف أهواءهم وأمزجتهم الشريرة الفاسدة فلا يرضون من الأنبياء بذلك فيقتلون فريقًا ويُكذبون الآخر كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾.

[البقرة:٨٧]

۞ وسبب هذه المعاملات السيئة أيضًا الاعتقادات الفاسدة التي اعتقدوها كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٣، ٢٤] فالاعتقاد الفاسد أدى إلى فساد العمل، فكانوا يعرضون عن كتاب الله وينقضون المواثيق كما ذكر الله في كتابه الكريم والله تعالى أعلم.

س: قال تعالى: ﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، اذكر بعض من كذبوه وبعض من قتلوه؟

ج: ممن قتلوه ـ كما قال جمهور العلماء ـ زكريا ويحيى ‡، وممن كذَّبوه عيسى ومحمد ‡ ، والله تعالى أعلم.

س: ما وجه قول بني إسرائيل ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ [البقرة:٨٨]؟

ج: يعتذرون بقولهم قلوبنا غلف عن الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبما يدعوهم إليه، فيقولون: قلوبنا غلف، أي: عليها أغلفة فلا تستطيع أن تفهم الذي تدعوها إليه ولا ما تريده منها، والله أعلم.

(70) أحمر
أسود

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ
فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ
ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ
عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ
بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ
بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن
يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ
مُّهِينٞ ٩٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ
وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ
أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١

الكلمة	معناها
﴿غُلْفٌۚ﴾	جمع أغلف؛ وهو: الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختتن: أغلف، وقولهم: قلوبنا غُلف؛ أي: في أكنة وغطاء، وهو: نحو قول الكافرين: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت:5] وقيل: معنى غُلف: لا تفقه. وبعضهم يقول: غُلُف جمع غلاف كحُجُب جمع حجاب؛ أي: قلوبنا أوعية للعلم والذكر، أي: مملوءة علمًا لا تحتاج لمحمد ﷺ.
﴿لَّعَنَهُمُ﴾	اللعن هو: الطرد والإبعاد، ولعنهم: طردهم وأبعدهم.
﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾	يستنصرون أي: يطلبون النصر.
﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	خزي الله، وإبعاده الجاحدين على ما قد عرفوا من الحق، وطرده لهم.
﴿بِئۡسَمَا﴾	بئس أصلها من: البؤس، ثم استعملت للذم والتوبيخ.
﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾	باعوا به أنفسهم، قال الطبري $: شريت بمعنى: بعت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ [يوسف:20]، واشتريت بمعنى (ابتعت) ولكن قد تستعمل اشتريت بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت أحيانًا، والأصل ما قدمنا.
﴿بَغۡيًا﴾	حسدًا.
﴿فَبَآءُو﴾	رجعوا ـ استحقوا لغضب من الله.
﴿مُّهِينٞ﴾	المهين المُذل لصاحبه.
﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾	بما بعده(1)، وقيل: بما سواه، ودليله قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون:7] وقوله

(1) أخرجه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (6551).

(73) أحمر
أسود

تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢٤].

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨]؟

ج: لأهل العلم في تأويلها قولان مشهوران:

۞ **أحدهما:** أن المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ قلة(1).

۞ **الثاني:** أن القدر الذي آمنوا به قليل والذي كذبوا به كثير، وهذا الوجه اختاره الطبري ﵀، وقال: ولعل قائلاً أن يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلاً ما يؤمنون من الإيمان قليل أو كثير فيقال فيهم: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨]؟

قيل: إن معنى (الإيمان) هو التصديق، وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدِّق بوحدانية الله، وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد ﷺ ونبوته، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمان به، لأنه في كتبهم ومما جاءهم به موسى، فصدقوا ببعض وذلك هو القليل من إيمانهم ـ وكذَّبوا ببعض فذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به.

وقد قال بعضهم: إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء(2)، وإنما قيل: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨] وهم بالجميع كافرون، كما تقول العرب: (قلما رأيت مثل هذا قط) وقد روي عنها سماعًا منها (مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكرَّاث والبصل) يعني: ما تنبت غير الكراثِ والبصل، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ (القلة) والمعنى فيه نفي جميعه، والله أعلم.

---

(1) وهذا واضح فمن تتبع عدد المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ يجدهم قلة قليلة بينما من آمن من أهل الشرك عددهم كبير، والله تعالى أعلم.

وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (4151) قال قوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير.

(2) قلت: وهذا الوجه عندي ضعيف، فقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥] فأثبت الله ۵ لهم الإيمان ببعض، وكان منه كما تقدم فداء أسراهم من أيدي عدوهم، والله تعالى أعلم.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:88]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ هو ما ذكره الطبري حيث قال: وقالت اليهود: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد، فقال الله تعالى ذكره: ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلاً ما يؤمنون. والله أعلم.

|

س: ما الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:89]؟ وما الذي معهم؟

ج: أما الكتاب المذكور فهو القرآن الكريم(1)، والذي معهم هو التوراة، والله تعالى أعلم.

|

س: قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:89]، من الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا ؟ ومن المراد بالذين كفروا هنا، وما معنى هذا الاستفتاح؟

ج: الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا هم اليهود.

والمراد بالذين كفروا في الآية الكريمة: مشركو العرب وهذا الاستفتاح حاصله أن اليهود كانوا يستنصرون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ويقولون للذين كفروا سيخرج نبي صفته كذا وكذا نتبعه ونقتلكم(2) ، والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرج الطبري (7151) بإسناد حسن عن قتادة «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» وهو القرآن الذي أُنزل على محمد مصدقٌ لما معهم من التوراة والإنجيل.

(2) أخرج الطبري (5251) بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:89] كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل، وقالوا: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدهُ في التوراة يُعذبهم ويقتلهم! فلما بعث الله محمدًا ﷺ فرأوا أنه بُعث من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة:89]. المراد بالاستفتاح هنا: الاستنصار أي: طلب النصر.

س: ما جواب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ ...﴾ [البقرة:٨٩]؟

ج: بعض العلماء يقولون: حذف الجواب لدلالة السياق عليه، وهذا وارد في كتاب الله ۵، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ ...﴾ [الرعد:٣١] أي: لسيرت بهذا القرآن وحذف الجواب لدلالة السياق عليه.

۞ ومن أهل العلم من يقول: إن جواب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ [البقرة:٨٩]، هو قوله تعالى: ﴿كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [البقرة:٨٩]، والله تعالى أعلم.

|

س: اذكر بعض ما يكون به الاستفتاح(1) في أمة محمد ﷺ؟

ج: يكون الاستفتاح بدعاء الصالحين، وكذلك بالضعفاء، أما الضعفاء فلقول النبي ﷺ لسعد: **«هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»**.

أما الصالحون فلما أخرجه البخاري(2) من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي على الناس زمان فيغزو فئام(3) من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيُفتح لهم»**، والله تعالى أعلم.

|

(1) المراد بالاستفتاح هنا: الاستنصار أي: طلب النصر.

(2) أخرجه البخاري (حديث 9463)، ومسلم (2352)، وأحمد (7/3) من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ مرفوعًا.

(3) الفئام: الجماعة.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة:٩٠]؟

ج: قال الطبري ~~خ~~: معنى الآية بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى ـ من نبوة محمد ﷺ والأمر بتصديقه واتباعه ـ من أجل أن أنزل الله من فضله ـ وفضله حكمته وآياته ونبوته ـ على من يشاء من عباده ـ يعني به على محمد ﷺ ـ بغيًا وحسدًا لمحمد ﷺ من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل، والله أعلم.

س: اذكر آية في معنى الآية الكريمة: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة:٩٠]، تدل على حسد اليهود للنبي ﷺ؟

ج: هذه الآية ضمن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥١ : ٥٥] والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالفضل في قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؟

ج: فضل الله هنا المراد به ـ والله أعلم ـ القرآن، والحكمة والرسالة، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠]، ما سبب الغضب الأول عليهم وما سبب الغضب الثاني؟

ج: أما الغضب الثاني فسببه كفرهم بمحمد ﷺ بعد أن عرفوا صفته وتيقنوا من لغته وأنه النبي المبعوث ﷺ.

۞ أما الغضب الأول فسببه كفرهم بعيسى ﷺ قبل النبي محمد ♥ ويدخل في أسباب الغضب الأول عليهم أيضًا عبادتهم العجل، وتضييعهم التوراة، وقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة، وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء... إلى غير ذلك من أنواع الكفر التي ارتكبوها، والله تعالى أعلم(1).

|

س: ما المراد بالكافرين في قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة:٩٠]؟

ج: الكافرون في الآية الكريمة: هم الجاحدون لنبوة محمد ﷺ والقرآن الذي نزل عليه، والله أعلم.

|

س: هل كان بنو إسرائيل صادقين فعلاً في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١]؟

ج: لم يكونوا صادقين في ذلك، فإن الله ۵ أخذ عليهم فيما أنزل عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

۞ ومما يدل على كذبهم في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١] أيضًا قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١] فلم ينزل

---

(1) أخرج الطبري (7451، 8451، 9451) من طريق سفيان الثوري عن أبي بكير عن عكرمة قال: (فباءوا بغضب على غضب) قال كفر بعيسى، وكفرٌ بمحمد ﷺ.

۞ وأخرج بإسناد حسن عن قتادة (1551) قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠]، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ.

عليهم في كتبهم أن يقتلوا أنبياء الله ﻭ.

۞ ومما يدل على كذبهم كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء:١٥٠، ١٥١] والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١]، مؤمنين بماذا؟

ج: مؤمنين بما أُنزل على موسى ﷺ في التوراة أي: إن كنتم حقًّا مؤمنين بالتوراة فلم تقتلون أنبياء الله من قبل وليس في التوراة الأمر بقتلهم، والله تعالى أعلم.

س: لماذا عوتب بنو إسرائيل الموجودون على عهد رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١]، وهم لم يباشروا قتل نبي؟ ولماذا عُبر بقوله تعالى: ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة:٩١] ولم يقل قتلتم؟

ج: لأنهم أقروا قتل الأنبياء وتولوا من قتلهم ولم يستنكروا أفعالهم قال الله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٨٠، ٨١].

۞ وقد قال تعالى عن قوم ثمود: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤] مع أن الذي عقرها شخص واحد منهم.

۞ وأيضًا لأن هؤلاء الموجودين على عهد رسول الله ﷺ حاولوا قتل رسول الله ﷺ كما قدمناه، والله أعلم.

(80) أحمر
أسود

۞ أما لماذا عبر بـ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٩١] ولم يُعبر بـ (قتلتم) فلما ذُكر من قبل أنهم حاولوا قتل رسول الله ﷺ، وقال بعض أهل العلم: إنه يجوز سوق الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي، قال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه … أن الوليد أحق بالعذر

وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٩٢ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا
فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ
قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣
قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ وَلَن
يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا
هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ٩٦

الكلمة	معناها
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	الآيات الواضحات الجليات.
﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾	سمعنا قولك وعصينا أمرك.
﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾	دخل حب العجل قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها.
﴿خَالِصَةً﴾	خاصة.
﴿بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾	بمبعده ـ بمنحيه.
﴿بَصِيرٌۢ﴾	قال بعض أهل العلم: إن أصل البصير المبصر، يعني: ذو إبصار، قال ابن القيم: **وهو البصير يرى دبيب النملة تحت الصخر والصوان** **ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عُروق بياضها بعيان** **ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان** * وبعض العلماء يستعمل البصير أحيانًا بمعنى العالم، فيقول: بصير بالطب، وبصير بالفقه، وبصير بملاقاة الرجال، وأورد القرطبي قول الشاعر: **فإن يسألوني بالنساء فإنني بَصيرٌ بأدواء النساء طبيب** * وقال الطبري: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:] والله ذو إبصار بما يعملون لايخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو: بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر. والله أعلم.

س: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:٩٢] عدة تساؤلات هي:

۞ بينات على ماذا؟
۞ ما هي هذه البينات؟
۞ لماذا أطلق عليها بينات؟

ج: هي بينات على صدقه وصحة نبوته.

۞ وهي التي ذكرها الله في كتابه حيث قال:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء:١٠١].

۞ وهي العصا التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبين وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا وضرب بها الحجر لما طار بثوبه وإن بالحجر لندبًا.

۞ ويده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين من غير سوء.

۞ والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، تلك الآيات المفصلات التي أرسلها الله على قوم فرعون كي يؤمنوا بموسى غ ويرجعوا عن كفرهم.

۞ وكذلك: أخذ الله ٥ آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون وهذا تأييد لموسى غ كذلك.

۞ وتظليل الغمام على بني إسرائيل، وإنزال المن والسلوى عليهم وفوق ذلك كله الألواح وما كُتب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، والله تعالى أعلم.

۞ أما لماذا أطلق عليها بينات، لأنها واضحات ظاهرات جليات، والله أعلم.

س: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٩٢] مقدر محذوف فما هو؟

ج: هذا المقدر المحذوف هو (إلهًا) أي: ثم اتخذتم العجل إلهًا.

وأيضًا عقب قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:٩٢] أي: ظالمون لأنفسكم، على قول، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة:٩٢] من بعد من؟

ج: من بعد موسى ﷺ، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم موسى ﷺ ماضيًا إلى ميقات ربه ٥.

۞ ومن العلماء من يقول: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة:٩٢] أي: من بعد مجيء موسى ﻉ إليكم بالبينات. والأول أظهر، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:٩٢] ظالمون لمن، وظالمون في ماذا؟

ج: ظالمون لأنفسهم لكونهم أشركوا بالله ٥ ما لم يُنزل به سلطانًا وعبدوا العجل واتخذوه إلهًا وهذا أفحش الظلم وأعظمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

س: ما المراد بالسمع في قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:٩٣]؟

ج: هو السمع المضمن معنى الإجابة فالمعنى اسمعوا وأطيعوا، وهذا قول الجمهور.

ومن العلماء من قال: إنه أمر بمجرد السمع لأنه قد تقدمه قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٩٣].

۞ **وقال الشنقيطي** ﺥ(1): قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:٩٣] قال بعض العلماء: هو من السمع بمعنى الإجابة ومنه قولهم سمعًا وطاعة أي إجابة وطاعة، ومنه سمع الله لمن حمده في الصلاة، أي أجاب

(1) أضواء البيان (18/1).

دعاء من حمده(1) ، ويشهد لهذا المعنى قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١] وهذا قول الجمهور، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ [البقرة:٩٣] أي: بآذانكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع.

ويدل لهذا الوجه أن بعض الكفار ربما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء كما في قوله تعالى عن نوحٍ مع قومه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٧].

وقوله عن قوم نبينا محمد ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الحج:٧٢]، وقوله: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣] لأن السمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالآذان دون السمع بمعنى الإجابة، والله تعالى أعلم.

س: ما نوع الباء في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٩٣]؟

ج: الباء هنا سببية، والمعنى أنهم بسبب كفرهم سُقُوا حب العجل كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:١٥٥].

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ [البقرة:٩٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم - بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم إن كنتم مصدقين إذا كان هذا التصديق يأمركم بعبادة العجل واتخاذه إلهًا، ويأمركم بالعصيان وقول: سمعنا وعصينا، وقتل النبيين بغير حق وتكذيب الأنبياء، ونقض العهود والمواثيق فبئس هذه الأفعال والأوامر التي تصدر عن هذا

---

(1) هذا على قولٍ من الأقوال.

الإيمان المزعوم، والله تعالى أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ [البقرة:٩٣]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أنهم أشربوا حب العجل حتى خلص إلى قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها(1)، فحذف المضاف وهو (حبُّ) وأقيم المضاف إليه وهو (العجل) مقامه، وهذا وارد في كتاب الله ﻷ في مواطن منها:

- قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة:١٩٧] أي: وقت الحج أشهر معلومات.
- وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ [التوبة:١٩] أي: صاحب سقاية الحاج.
- وقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أي: أصحاب القرية.
- وقوله تعالى: ﴿إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء:٧٥] أي: ضعف عذاب الحياة.
- وقوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ﴾ [الحج:٤٠] أي: بيوت صلوات(2).
- وقوله تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣] أي: مكركم في الليل والنهار.
- وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق:١٧] أي: فليدع أهل ناديه.

---

(1) كما قال الشاعر، وقد عتب على زوجته (عثمة) في بعض الشئون وطلقها وازداد بها ولهًا:

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانًا يطير

(2) على ما ذكره بعض أهل العلم.

۞ وقول الشاعر:

وشـــر المنايـــا ميـــت بـــين أهلـــه

أي: شر المنايا منية ميت بين أهله.

على ما ذكره بعض أهل العلم، والله تعالى أعلم.

۞ هذا ومن العلماء من سلك في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٩٣] مسلكًا آخر فقال: «إن موسى أبرد العجل بالمبرد ثم ذرَّاه» (أي: طرحه في اليم على هيئة التذرية) وأمرهم بالشرب منه فمن بقي فيه شيء من حب العجل ظهرت سحابة الذهب على شاربه.

وهذا القول يحتاج إلى دليل، والذي في كتاب الله ۵ أن الله قال: ﴿...وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧] أما كونهم شربوا من اليم بعد تذرية العجل فيه فليس هناك دليل على ذلك، بل ويرده قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾[البقرة:٩٣]، والله تعالى أعلم.

س: صوَّر الله ۵ الخُلُق الذي تخلَّق به الإسرائيليون أجلى تصوير وأوضحه أوضح بيان حيث ذكر مقالتهم الشنيعة: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾(1) [البقرة:٩٣] يقولونها لربهم ۵ ولنبيهم ﷺ، هل من آية في نفس المعنى وكذلك حديث؟

ج: أما الآية فقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦].

وقد تقدم من السُّنة أنهم لما قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] دخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة؛ عنادًا واستكبارًا والعياذ بالله.

(1) ومعنى قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك، والله أعلم.

س: لماذا عُبِّر بالشرب دون الأكل في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة:93]؟

ج: قال صديق حسن خان $ (فتح البيان 522/1): وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ [البقرة:93] بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:10]، والله أعلم.

س: هل كان اليهود يدَّعون أن الدار الآخرة لهم؟

ج: نعم كانوا يدَّعون ذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:111].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:18].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (1) [البقرة:80].

س: ما المراد بالدار الآخرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً...﴾ [البقرة:94] ومعنى خالصة؟

ج: المراد بالدار الآخرة في هذه الآية (الجنة) ومعنى خالصة أي: خاصة، فالمعنى إن كنتم تزعمون أن الجنة لكم ولن يشرككم فيها أحد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، والله تعالى أعلم.

س: لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:95] دون سائر الجوارح؟

---

(1) أخرج الطبري (2751) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ [البقرة:94] وذلك أنهم قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:111]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:18] فقيل لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:94].

ج: لأن أكثر الجنايات التي يرتكبها الإنسان تكون بيده فأضيفت سائر أعمال الجوارح إلى اليد تغليبًا، والله تعالى أعلم.

|

س: لماذا امتنع اليهود عن تمني الموت؟

ج: امتنعوا لما قدمته أيديهم واقترفوه من ذنوب وكبائر وجرائم عظام من تكذيب رسل الله وجحد آياته وكتمان الحق والبغي والحسد فكيف يواجهون ربهم ۵ في الآخرة، وقد حملوا هذه الأوزار وخاصة وأنهم يؤمنون بالبعث والجنة والنار والحساب، والله أعلم.

|

س: ما وجه محاجة اليهود بقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤]؟

ج: في هذه الآية حجة عظيمة للمسلمين على اليهود تدفع باطلهم وتُزهقه ووجه هذه المحاجة أن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من البقاء في هذه الحياة الدنيا لما يصير إليه من نعيم في الآخرة ولما يتركه من كدر الحياة الدنيا وأذاها فلو كنتم صادقين يا معشر اليهود بأن الدار الآخرة خالصة لكم والجنة خاصة بكم دون سواكم فتمنوا الموت، فأحجموا عن ذلك التمني فرقًا من عذاب الله وخوفًا من سوء العاقبة لقبح أعمالهم وسوء صنيعهم، فظهر بامتناعهم بطلان قيلهم من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، والله أعلم.

|

س: ما صورة تمني الموت التي أمر الله بها بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤]؟

ج: لأهل العلم قولان:

أحدهما: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة:٩٤] أي اطلبوه من ربكم ۵ واسألوه إياه.

الثاني: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب (أي: على الكاذب من

الفريقين منا نحن المسلمين، ومنكم معشر اليهود) وذلك على نحوٍ من المباهلة.

النهي عن تمني الموت
ومتى يشرع هذا التمني

س: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تمني الموت فكيف يأمرهم بأمرٍ وقد نهي عنه في شريعته؟

ج: على رأي من قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾[البقرة:٩٤] هو ادعوا على أي الفريقين أكذب كما في المباهلة فلا إشكال في الآية الكريمة ويكون معناها كالمعنى الموجود في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ [مريم:٧٥] أي: من كان ضالاً فزاده الله ضلالاً.

۞ أما على قول من قال: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ [البقرة:٩٤]أي: اطلبوه واسألوه فهذا على سبيل المحاجة وإقامة البرهان على بطلان دعواهم، ثم إن نهي النبي ﷺ عن تمني الموت ليس على إطلاقه، فنهيه ﷺ العبد عن تمني الموت كما قال: **«إما محسنًا فيزداد أو مسيئًا فيستعتب»**(1)، وقال ﷺ: **«خيركم من طال عمره وحسن عمله»**(2) أما من خشي على نفسه أن يفتن في دينه فحينئذ يُشرع له تمني الموت كما قال النبي ﷺ: **«وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون»**(3).

---

(1) أخرج البخاري (حديث 3765)، والنسائي (3/4) من حديث أبي هريرة ﭬ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يدخل أحدًا عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمةٍ فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب».

(2) «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**»، صحيح أخرجه أحمد (188/4-190) من حديث عبد الله بن بسر ﭬ قال: جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «**من طال عمره وحسن عمله**».

(3) أخرجه الترمذي (حديث 5323) من حديث معاذ بن جبل ﭬ مرفوعًا بإسناد صحيح ولمزيد من البحث حوله انظر كتابي الصحيح المسند من الأحاديث القدسية.

(91) أحمر
أسود

وكما قال ♥: **«اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرًا لي»**(1).

۞ وأيضًا فقد قال النبي ﷺ في مرض موته: **«اللهم الرفيق الأعلى»**(2).

وكذلك لم يرد لنا أن اليهود نُهوا في شريعتهم عن تمني الموت، والله أعلم(3).

---

(1) أخرجه النسائي (45/3)، وأحمد (462/4) من حديث عمار بن ياسر ﭬ مرفوعًا.

(2) صحيح أخرجه البخاري (4765)، ومسلم (1912) من حديث عائشة ﭪ مرفوعًا.

(3) هذا وقد قال الحافظ ابن كثير ﺧ (971/1، 081): ثم هذا الذي فسر به ابن عباس(*) الآية، هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجمعة:٦-٨] فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كانوا يهودًا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين، لما نكلوا عن ذلك، علم كل أحد إنهم ظالمون، لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا، عُلم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة، فقال: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] فلما رأوا ذلك، قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف، فعند ذلك جنحوا للسلم، وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فضربها عليهم، وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أمينًا، ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ [مريم:٧٥] أي: من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه، كما سيأتي تقريره في موضعه، إن شاء الله تعالى.

أما من فسر الآية على معنى ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤] أي: في دعواكم، فتمنوا الآن الموت، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة، كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول، فإنه قال: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٩٤] الآية، فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى إذ خالفوه في عيسى ابن مريم ﻍ، وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة، فقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن =

س: قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة:٩٦] الضمير فيها لمن؟ وما موقع اللام هنا، وكذلك النون؟

ج: أما الضمير فلليهود (أي: لتجدن اليهود)، واللام بعض أهل العلم يقولون: إنها لام القسم، والمعنى والله لتجدنهم، والنون للتوكيد، والله أعلم.

=ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطيكم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم، فإنما تصيرون إلى الراحة من

(*) هو مروي من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون، من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم، فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها، أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى إذ دعوا للمباهلة من المباهلة.

فهذا الكلام منه أوله حسن، وآخره فيه نظر، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل، إذ يقال: إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم، أنهم يتمنون الموت، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت، بل يود أن يعمر ليزداد خيرًا وترتفع درجته في الجنة، كما جاء في الحديث: «خيركم من طال عمره، وحسن عمله» ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا: فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس: فلا يلزم عليه شيء من ذلك، بل قيل لهم كلام نَصَف: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار، فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وسميت هذه المباهلة تمنيًا، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ﴾ أي: على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء، وعاقبتهم عند الله الخاسرة، لأن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم، وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام .

س: هل للتنكير في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] فائدة؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن هذا يدل على حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة، فهم أي اليهود أحرص الناس على حياة طويلة، والله تعالى أعلم.

س: من المراد بالذين أشركوا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقرة:٩٦]؟

ج: المراد بالذين أشركوا فيه للعلماء ثلاثة أقوال:

- منها أنهم الأعاجم، لأنهم الحريصون على طول الحياة كما قدمنا أن تحيتهم عش ألف سنة أو عشرة آلاف سنة.
- وقيل إنهم مشركو العرب الذين لا يُقرون بالبعث، بل يقولون: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

ويقول شاعرهم:

تمتع من الدنيا فإنك فانٍ ... من النشوات(1) والنساء الحسان

- وقيل: إن المراد بالذين أشركوا عموم المشركين الذين لا يُقرون بالبعث، والله تعالى أعلم.

س: في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] عطف لخاص على عام، وضحه وبيّن فائدته؟

ج: أما الخاص فهو: ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] والعام هو ﴿ٱلنَّاسِ﴾ فالمشركون داخلون في عموم الناس فلما أُعيد ذكرهم بالتنصيص عليهم كان من عطف الخاص على الناس، وفائدته هنا زيادة توبيخ لليهود فالمعنى أن اليهود أحرص الناس على الحياة، حتى إنهم أحرص من الذين أشركوا الذين لا يقرون بالبعث ففائدة هذا العطف زيادة توبيخ لليهود، والله تعالى أعلم.

---

(1) النشوات (جمع نشوة) وهي السُكر وعزا بعض العلماء البيت إلى امرئ القيس.

س: قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦] يرجع إلى من؟

ج: كثير من أهل العلم يرى أنه يرجع إلى المشركين(1) وصح عن ابن عباس ﭭ في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦] قال: هو قول الأعاجم: (سال زه نوروز مهرجان حر)(2).

وفي رواية(3) عنه هو كقول الفارسي: زه هزار سال، يقول: عشرة آلاف سنة فمن شدة حب الأعاجم للدنيا أنهم جعلوا تحيتهم فيما بينهم (عشرة آلاف سنة) أي: عش عشرة آلاف سنة، وعش ألف سنة.

س: لماذا خصَّ الألف بالذكر في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦]؟

ج: خص الألف بالذكر لأن العرب كانت تُعبر به عند إرادة المبالغة، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ [البقرة:٩٦] يرجع إلى من؟

ج: قيل: يرجع إلى طول البقاء والتعمير أي: وما تعميره وطول حياته بمزحزحه من العذاب وقيل: يرجع إلى الشخص المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقرة:٩٦] أي: وما الشخص منهم بمزحزحه أن يُعمَّر ألف سنة، والمعنى قريب، والله أعلم.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٩٦]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ لتجدن أشد الناس حرصًا على طول الحياة

---

(1) وذكر بعضهم أنه يرجع إلى اليهود، والأول أصح وعليه الأكثر، والله أعلم.

(2) أخرجه الطبري (1951).

(3) أخرجها ابن أبي حاتم في «التفسير» (359).

وطول العمر والبقاء اليهود فهم أشد الناس حرصًا عليها حتى إنهم أشد حرصًا عليها من الذين أشركوا المنكرين للبعث الذين يطمع أحدهم أن يعيش ألف سنة، وما هذا التعمير وطول البقاء بمزحزح صاحبه عن العذاب ومنحيه عنه. انتهى.

وزيادة في التوضيح فالمشركون لا يقرون ببعث ولا بجنة ولا بنار ولا بحساب ومن ثم كان مطمعهم في الحياة الدنيا ورغبتهم في طول البقاء فيها شديدة فغلبهم اليهود في الحرص على الحياة الدنيا رغم أن اليهود يقرون بالبعث وبالجنة وبالنار، وما حملهم على هذا الحرص في طول الحياة إلا سوء أعمالهم التي يخشون من جرائها النار، وعظيم كبائرها التي يتوقعون لها سوء القرار وتكذيب الأنبياء الذي لا يجدون من جزائه فرارًا، والله تعالى أعلم.

(96) أحمر
أسود

قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ
قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى
وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ
عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ
وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩ أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ
عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ
١٠٠

الكلمة	معناها
﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	بأمر الله.
﴿وَهُدٗى﴾	دليلٌ وبرهان.
﴿نَّبَذَهُۥ﴾	طرحه - نقضه(1).

(1) أخرج الطبري (5461) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة:101] يقول: نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: أن القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا.

وأخرجه مختصرًا ابن أبي حاتم في« التفسير» (أثر 689).

س: ما أشهر القراءات في (جبريل)؟ وما معناها؟

ج: في جبريل عدة قراءات بلغ بها بعض العلماء إلى ثلاث عشرة، أشهرها.

۞ (جِبْرِيل) بكسر الجيم والراء وبالتخفيف و(جَبْرَئِيل) بفتح الجيم والراء والهمزة (1).

۞ أما معنى (جبر) فمعناها ـ على ما ذكره بعض أهل العلم(2) ـ (عبد)، وأما (إيل) فهو (الله) فمعنى جبريل: عبد الله و(ميك) معناها (عبيد)، و(إيل) هو (الله) فميكائيل هو عُبيد الله.

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة:٩٧] الآية؟

ج: سبب نزولها أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ مَنْ وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك قال: **«فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه»**، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليُّك سواه من الملائكة تابعناك

---

(1) أخرج مسلم في صحيحه (حديث 077) من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفُ فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

لكن هذا الحديث أعله الهروي $ في كتاب« علل الأحاديث» من أجل أنه من رواية عكرمة عن يحيى، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها، والله تعالى أعلم.

وأنشد بعضهم شعر جرير وفيه:

عبدوا الصليب وكذّبوا بمحمدٍ ... وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

(2) ذكره الطبري خ في تفسيره، ونقله عن بعض أهل العلم، والله أعلم.

قال الطبري $ (773/1): أجمع أهل العلم جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم.

(98) أحمر
أسود

وصدَّقناك. قال: «**فما يمنعكم أن تصدقوه؟**» قالوا: إنه عدونا فـأنزل الله ٥: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧] إلـى قولـه: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١].

|

س: اذكر دليلاً آخر على عداوة اليهود لجبريل ﻍ؟

ج: أخرج البخاري(1) من حديث أنس ﻓ قال: سمع عبد الله ابن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفًا**». قال: جبريل؟ قال: «**نعم**» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماءُ الرجل ماء المرأة نزع الولدُ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت**»، قال: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: «**أي رجل عبد الله فيكم؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟**» فقالوا: أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

|

س: لماذا كره اليهودُ جبريلَ ﻍ؟

ج: كره اليهود جبريل ﻍ لنزوله بالوحي على رسول الله ﷺ ويُشعر بذلك سياق الآية الكريمة وهي: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧].

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 0844).

س: في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ [البقرة:٩٧] الهاء الأولى ترجع إلى من والثانية ترجع إلى من؟

ج: أما الهاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ فترجع إلى جبريل ؏ والهاء في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾[البقرة:٩٧] ترجع إلى القرآن، وإنما حُذف القرآن لدلالة السياق عليه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥] فحذفت الأرض لدلالة السياق عليها، والله تعالى أعلم.

س: ما جزاء الشرط في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ [البقرة:٩٧]؟

ج: فيه وجوه:

الوجه الأول: أن من عادى جبريل فينبغي ألا يعاديه إذ لا وجه لعداوته؛ لأنه إنما أنزل الكتاب بإذن الله ولم يتصرف من عند نفسه ثم ينبغي أيضًا ألا يعاديه لأنه نزل بالقرآن الذي هو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة فينبغي أن يُشكر ويُحب.

الوجه الثاني: أن من عادى جبريل فهو مبطل، وحق للمبطل أن يعادي جبريل لأن جبريل ؑ نزل بالكتاب برهانًا على نبوتك يا محمد ومصداقًا لصدقك، وهم يكرهون ذلك فكيف لا يبغضون جبريل وقد نزل بما يفضحهم ويكشف أكاذيبهم.

الوجه الثالث: أن الجواب محذوف وهو (فليمت) أي: من عادى جبريل فليمت بغيظه، والله أعلم.

س: هل كان القرآن ينزل على قلب رسول الله ﷺ دون أن يقرأه ويسمعه، أم كان يسمعه ويقرأه أولاً؟

ج: ورد في بعض الآيات ما يُفيد أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧] وكما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣، ١٩٤].

۞ ولكن بُيّن في مواطن أُخر أن معنى ذلك أن الملك كان يقرؤه عليه حتى يسمعه منه فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه كما قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٩]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه:١١٤]، والله تعالى أعلم.

|

س: الناس في شأن الملائكة على أقسام وضح هذه الأقسام؟

ج: من الناس من ينكر وجود الملائكة أصلاً وهم قوم من أهل الكفر والإلحاد.

۞ ومن الناس من يسبُّون بعض الملائكة كاليهود وطائفة من الروافض، فاليهود قالوا عن جبريل ؑ إنه عدو اليهود من الملائكة، وطائفة من الروافض وصفوه بالخيانة وأنه نزل بالرسالة على محمد ﷺ وكان الأحق بها عليًّا بزعمهم.

۞ وطائفة من أهل الشرك عبدوهم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠، ٤١].

۞ وطائفة وهم أهل الحق توسطوا في شأن الملائكة فاعتقدوا أنهم عباد لله مكرمون كما قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨] كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن

يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢] وكما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

س: ما فائدة قول الله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٩٧] عقب قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ [البقرة:٩٧]؟

ج: فائدتها بيان أن جبريل لم ينزل من عند نفسه بل نزل بإذن الله فما لعداوتكم يا معشر اليهود لجبريل ؏ وجه يُذكر، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة:٩٧] وما هو الذي بين يديه؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن معانيه توافق معانيها في الأمر بالتوحيد واتباع محمد ﷺ.

والذي بين يديه هو التوراة والإنجيل على قول لبعض أهل العلم[1].

۞ وبعض أهل العلم يقولون: ما قبله أن من كتب الأنبياء الذين تقدموه على وجه العموم ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب، والله تعالى أعلم.

س: هل يجوز التسمي بأسماء الملائكة؟

ج: لا أعلم مانعًا من ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧] فمالك هو خازن النار، وهو ملك من الملائكة بلا شك، وقد أقرَّ النبي ﷺ اسم مالك في أصحابه ولم ينكره فكان من الصحابة مالك بن صعصعة رضي الله عنه، وأنس بن مالك كذلك وغيرهم من التابعين مالك بن أوس ابن الحدثان وغيرهم.

---

(1) رواه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (1361).

۞ ومن السلف من تسمى بجبريل أيضًا ولم نعلم أن أحدًا أنكر عليه، والله تعالى أعلم.

س: من عادى ملكًا من الملائكة فقد عادى الله ۵ والملائكة جميعًا ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل جميعًا دلل على هذا القول بأدلة؟

ج: أما الأدلة على هذا فمنها ما يلي:

۞ قول الله ع: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] فالواو هنا بمعنى (أو) والمعنى من كان عدوًّا لله أو ملائكته أو رسله أو جبريل أو ميكال فإن الله عدو للكافرين.

۞ وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

[النساء:١٥٠، ١٥١]

۞ وقول الله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [الفرقان:٣٧] وإنما أُرسل إليهم نوح فقط.

۞ وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣] وأرسل إليهم هود فقط.

۞ وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١] وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٦٠]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر:٣٣] فمن كفر برسول وكذَّبه فقد كفر بالرسل جميعًا وكذبهم، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله، لأن جبريل لا يَنزل إلاَّ بأمر الله قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة:٩٧].

س: لماذا خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨]؟

ج: خُصا بالذكر تشريفًا لهما وبيانًا لفضلهما، فهو عطف للخاص على العام لبيان شرفهما وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر وعلي ؓ يوم بدر: **«مع أحدكما جبريل ومع الآُخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال».**

۞ وقيل خُصَّا بالذكر، لأن اليهود ذكروهما، وفرقوا بينهما في المحبة فقالوا: جبريل عدو اليهود من الملائكة، وميكال هو وليهم، والله أعلم.

س: هل جبريل أفضل أم ميكائيل ؟

ج: رأى عدد من أهل العلم أن جبريل أفضل واستدل له الرازي بوجوه منها:

۞ **الأول:** أن الله تعالى قدم جبريل ؑ في الذكر، وتقديم المفضول على الفاضل في الذكر مستقبح عُرفًا فوجب أن يكون مستقبحًا شرعًا.

۞ **وثانيها:** أن جبريل ؑ ينزل بالقرآن والوحي والعلم وهو مادة بقاء الأرواح وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل.

۞ **وثالثها:** قوله تعالى في صفة جبريل: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١] ذكره بوصف المطاع على الإطلاق، وظاهره يقتضي كونه مطاعًا بالنسبة إلى ميكائيل فوجب أن يكون أفضل منه والله تعالى أعلم.

س: ما هو موقع الواو في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا...﴾ [البقرة:١٠٠]؟

ج: الواو هي واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾

(104) أحمر
أسود

[يونس:٤٢] وكما في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي ﴾ [الكهف:٥٠] وكما تدخل على ثمَّ كما في قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس:٥١]، والله تعالى أعلم.

|

س: ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ وما هو العهد الأخير الذي نقضوه؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه وتوبيخهم على هذا الصنيع.

أما العهد الأخير الذي نقضوه في قوله تعالى ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة:١٠٠] فهو ما كانوا يقولونه قبل مبعث رسول الله ﷺ لئن خرج نبي اتبعناه.

|

س: هل كل اليهود نابذون للعهود أو أكثرهم أو أقلهم؟

ج: ليسوا كلهم لقوله تعالى: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة:١٠٠] ولكن أكثرهم نابذون للعهود والمواثيق كما قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:١٠٠].

۞ ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المائدة:١٣].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:١١٠] والله تعالى أعلم.

|

س: يجب الحذر غاية الحذر من اليهود فإن من دأبهم الغدر ومن شيمهم نقض العهود والمواثيق، دلل على هذا؟

ج: أخبرنا الله ٥ عن حال اليهود فقال سبحانه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾ [المائدة:١٣] وقال ٥: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ

خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ ﴾ [المائدة:١٣].

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ
فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ
كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ
مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ
هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا
نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ
بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ
لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا
شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ
ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ١٠٣

الكلمة	معناها
﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾	اتبعوا الشيء ساروا وراءه وفضَّلُوه.
﴿تَتۡلُواْ﴾	تحدث وتروي ـ تقرأ ـ تتقول.
﴿عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ﴾	في عهد مُلك سليمان ـ (عن ملك سليمان) أي: ما تفتريه عن ملك سليمان.
﴿فِتۡنَةٞ﴾	ابتلاء واختبار.
﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾	بقضاء الله.
﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾	لمن اختار السحر.
﴿خَلَٰقٖۚ﴾	نصيب.
﴿شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ﴾	باعوها.
﴿لَمَثُوبَةٞ﴾	من الثواب أي: الثواب خير لهم، فالمثوبة: الثواب والجزاء والأجر، ومعنى لمثوبة أي: لأثيبوا مثوبة؛ أي: لنالوا أجرًا.
﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾	لو كانوا ينتفعون بالعلم.

س: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١] من هو الرسول، وما هو كتاب الله الذي نبذوه؟

ج: الرسول هو محمد ﷺ والكتاب الذي نبذوه هو التوراة، والمعنى لما جاءهم رسول الله ﷺ موافقًا للتوراة وأوصافه موافقة للأوصاف التي فيها وأفعاله وأقواله كذلك نبذوا التوراة لذلك، والله تعالى أعلم.

س: من ترك الحق ابتلي باتباع الباطل اذكر دليلاً على ذلك؟

ج: أما الدليل فهو أن بني إسرائيل لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان كما أخبر بذلك الله ٥ فقال سبحانه: ﴿

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ...﴾ [البقرة:١٠١، ١٠٢].

س: من هم الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان؟

ج: هم فريق اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ...﴾ [البقرة:١٠١، ١٠٢].

۞ **قال ابن جرير الطبري $:** يعني بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ﴾ [البقرة:١٠٢] الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم تجاهلاً منهم وكفرًا بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزلٌ من عنده على نبيه ﷺ ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين.

۞ **وقال القرطبي $:** هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضًا وهم اليهود.

س: هل اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان أم أسلافهم؟

ج: الجواب أن الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان سواء كانوا من اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أم من أسلافهم الذين تقدموهم.

۞ فاليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ حاجوه بالتوراة وخاصموه بها فلما رأوا أن التوراة موافقة للقرآن وفيها صفة رسول الله ﷺ وصفة مبعثه وصفة ما جاء به نبذوا التوراة وراء ظهورهم وذهبوا يتحاكون افتراءات افترتها الشياطين على ملك سليمان وأكاذيب اختلقتها الشياطين عليه.

۞ وأسلافهم من اليهود كذلك فشا فيهم السحر اتباعًا منهم لما تلته الشياطين على ملك سليمان وتركًا للتوراة وللعمل بها.

وهذا القول بالعموم هو الذي اختاره الطبري خ فقال: والصواب من القول في تأويل قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ﴾ [البقرة:١٠٢] أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ فجحدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى فأغنى عن إعادته في هذا الموضع، وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾[البقرة:١٠٢]. بعضًا منهم دون بعض إذ كان جائزًا فصيحًا في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ البقرة:102]. إلى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا، والله أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ﴾ [البقرة:١٠٢]؟

ج: المعنى باختصار أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان وقيل: إن المعنى واتبعوا ما تلته الشياطين(1) في عهد ملك سليمان فقال هذا الفريق: إن (على) تأتي بمعنى (في)، و(في) تأتي بمعنى (على) أحيانًا كما في قول فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١] أي: على جذوع النخل.

س: ما الذي تلته الشياطين على ملك سليمان ؑ؟ اذكر بعض الآثار في ذلك؟

ج: تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذي تلته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ونسبوها إلى سليمان ؑ، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهاتٍ لهم، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائليها:

۞ أثر ابن عباس ؓ:

أخرجه الطبري(2) من طريق أبي السائب السوائي قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ قال: كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جَرادَة، وكانت من أكرم نسائه عليه، قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا، قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئًا من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يومٍ خاتمه فجاء الشيطان في صورة

---

(1) أي: الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان ؑ فالحاصل أن من العلماء قال: إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان ؑ ومن العلماء من قال: إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان ؑ وقالوا: هذه الشعوذات وصنوف السحر هي التي كان يحكم بها سليمان ويسخر بها الجن.

(2) هو عند الطبري (0661)، وأبو السائب السوائي هو سلم بن جنادة.

سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأخذه فلبسه، فلما لبسه دانت لـه الشياطين والجن والإنس، قال: فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي! فقالت: كذبت لست بسليمان! قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرءوها على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب! قال: فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدًا ﷺ فأنزل جل ثناؤه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:١٠٢] فأنزل الله ٥ عذره، وهذا إسناد حسن إلى ابن عباس ﭬ.

۞ ومن طريق(1) أبي أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضًا قال: كان(2) آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها، قال: فأكفره جهال الناس وسبُّوه، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل الله على محمد: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾ [البقرة:١٠٢].

۞ أثر قتادة $:

أخرج الطبري بإسناد حسن(3) عن قتادة قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ من الكهانة والسحر، وذكر لنا ـ والله أعلم ـ أن الشياطين ابتدعت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيم ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه.

۞ أثر أبي مجلز $:

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (889).
(2) في الأصل (قال) والصواب ما أثبتناه.
(3) الطبري (2561).

أخرج الطبري بإسناد صحيح[1] إلى أبي مجلز $ قال: أخذ سليمان من كل دابة عهدًا فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلِّي عنه فرأى الناس السَّجع والسحر، وقالوا: هذا كان يعمل به سليمان، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائليها لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب، والله أعلم.

|

س: ما وجه نفي الكفر عن سليمان غ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢]؟

ج: ذلك لأن اليهود ـ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ـ وصفوا سليمان غ بأنه ساحر واتهموه بالسحر، ونسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه، ومن ثم كفَّروه، فبرأه الله ٥ من ذلك ونفى عنه هذا الكفر الذي قذفوه به، والله تعالى أعلم.

|

س: هل كان هناك سحر قبل عهد سليمان غ؟ ولماذا خصَّ سليمان غ بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؟

ج: نعم كان هناك سحر قبل سليمان ؛، فقد كان السحر متفشيًا على عهد موسى ﷺ قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء:٣٨-٤٠]، وقبل قوم فرعون أيضًا كان السحر موجودًا فقد وصف الكفار من قوم نوح نوحًا ؛ بأنه ساحر.

۞ أما لماذا خصَّ سليمان غ بالذكر، فهذا لأن اليهود نسبوا السحر إليه

(1) أخرجه الطبري (1661) بإسناد صحيح عنه.

فأراد الله ۵ تبرئته وإظهار أنهم اتبعوا السحر المختلق في عصره والمنسوب إليه كذبًا وزورًا، والله تعالى أعلم.

|

مبحث في السحر

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف السحر؟

ج: السحر عند كثير من أهل العلم عبارة عن التمويه والتخييل والخداع لإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه بأمور يفعلها الساحر وحركات يصطنعها، وها هي بعض الأقوال لأهل العلم في تعريفه.

قال الطبري خ(1) **:** واختلف في معنى «السحر». فقال بعضهم: هو خُدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر، حتى يُخيَّل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته. وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته: يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته، كالذي:

حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع، قالا: حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي ﷺ لما سُحر، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله.

حدثنا ابن وكيع(2) قال: حدثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: سَحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله.

---

(1) تفسير الطبري (634/2).

(2) ابن وكيع (وهو سفيان بن وكيع) متكلم فيه لوراق السوء الذي كان عنده، لكن الحديث ثابت صحيح وسيفرد له سؤال مستقل إن شاء الله.

حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يُحدِّثان: أن يهود بني زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله ﷺ، فجعلوها في بئر حزم، حتى كان رسول الله ﷺ ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا فأرسل رسول الله ﷺ إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها. فكان رسول الله ﷺ يقول: **«سحرتني يهود بني زريق»** (1)

.

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته، واستسخار شيء من خلق الله ـ إلاَّ نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم ـ أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخداع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا. وقالوا: لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات، لم يكن بين الحق والباطل فصل، ولجاز أن يكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها. قالوا: وفي وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] وفي خبر عائشة عن رسول الله ﷺ أنه كان إذ سُحر يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين ـ أن الساحر ينشئ أعيان الأشياء بسحره، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بني آدم، كالموات والجماد والحيوان ـ وصحة ما قلنا.

وقال آخرون: قد يقدر الساحر بسحره أن يحوّل الإنسان حمارًا، وأن يسحر الإنسان والحمار، وينشئ أعيانًا وأجسامًا، واعتلوا في ذلك بما:

حدثنا به الربيع بن سليمان قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا بن أبي الزناد قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته

---

(1) هذا مرسل وسيأتي خبر سحر رسول الله ﷺ عن قريب إن شاء الله .

حداثة ذلك(1) ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. قالت عائشة لعروة: يابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها!(2) كانت تبكي حتى إنِّي لأرحمها! وتقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت! كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليَّ عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به، فأجعله يأتيك! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل(3) فإذا برجلين معلَّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلَّمُ السحر! فقالا: إنما نحن فتنةٌ، فلا تكفري وارجعي، فأبيت وقلت: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه(4) فذهبت ففزعت فلم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ قلت: نعم، فقالا: فهل رأيت شيئًا؟ قلت: لم أر شيئًا! فقالا لي: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأرببتُ وأبيتُ(5) ، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه فذهبت فاقشعرَرْت، ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت. فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئًا. فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرك(6) فأرببتُ وأبيتُ، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت إليه

---

(1) يقال: «كان ذلك في حدثان كذا وكذا» (بكسر فسكون)، و«في حداثته»: أي على قرب عهد به.

(2) يشفيها: أي يجيبها بما يبلغ بها سكينة القلب فتبرأ من حيرتها. ومنه: «شفاء العي السؤال» والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس.

(3) في ابن كثير (062/1): «فلم يكن شيء»، والصواب ما هنا وفي «الدر المنثور» (101/1) وقولها: «فلم يكن كشيء» عبارة جيدة، بمعنى: لم يكن ما مضى كشيء بعد، بل أقل من القليل والعرب تقول: تأخرت عنك شيئًا، أي: قليلاً. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة.

وَقَالَتْ لَهُنَّ: ارْبَعْنَ شَيْئًا، لعلَّنِي وَإِنْ لاَمَنِي فِيمَا ارتَأَيْتُ مُلِيم

أي: قفن قليلاً، ويقولون في مثل ذلك أيضًا: «لم يكن إلا كلا ولا»، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة.

(4) في المطبوعة: «فقالا، اذهبي...»، وأثبت ما في «الدرالمنثور» وابن كثير، فهي أجود.

(5) في المطبوعة: «فأبيت» بحذف «فأرببت»، وأرب بالمكان لزمه ولم يبرحه والزيادة من ابن كثير في الموضعين. قاله الشيخ أحمد شاكر $.

(6) يقال: أنت على رأس أمرك، وعلى رئاس أمرك: أي في أوله وعلى شرف منه. وزعم الجوهري أن =

فبلت فيه، فرأيت فارسًا مُتقنعًا بحديد خرج مني حتى ذَهب في السماء، وغاب عني حتى ما أراه. فجئتهما فقلت: قد فعلت! فقالا: ما رأيت؟ فقلت: فارسًا متقنعًا خرجَ منِّي فذهب في السماء حتى ما أراه(1) . فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئًا! وما قالا لي شيئًا فقالت: بلى، لن تريدي شيئًا إلا كان! خذي هذا القمح فابذري فبذرت، وقلت: أطلعي! فأطلعت، وقلت: أحقلي! فأحقلت، ثم قلت: أفركي! فأفركت، ثم قلت: أيبسي! فأيبست، ثم قلت: أطحني! فأطحنت، ثم قلت: أخبزي، فأخبزت(2) . فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان، سُقط في يدي وندمتُ والله يا أم المؤمنين! والله ما فعلتُ شيئًا قط ولا أفعله أبدًا(3) .

= قولهم: «على رأس أمرك» من كلام العامة، وهذا الخبر ينقض ما قال.

(1) في تفسير ابن كثير والدر المنثور: «فرأيت فارسًا»، وما هنا صواب جيد.

(2) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة، سأذكرها في مدرج شرحها. «أطلعي فأطلعت» أي أخرجي شطأك، من قولهم: أطلع الزرع، إذا بدا أول نباته من الأرض. «أحقلي فأحقلت». أي أخرجي حقلك. والحقل: الزرع إذا استجمع خروج نباته.

أحقل الزرع: تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه. «أفركي فأفركت» أي كوني فريكًا. وهو حب السنبلة إذا اشتد وصلح أن يفرك. أفرك السنبل: صار فريكًا، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل. و «أيبس فأيبست» أي كوني حبًّا يابسًا، أيبس البقل: يبس وجف. «أطحني فأطحنت». أي كوني طحينًا. ولم يرد في كتب اللغة: «أطحن»، ولكنها أتبعت هذا الحرف ما مضى من أخواته، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع «أخبزي فأخبزت»، أي كوني خبزًا يؤكل، وهذه أيضًا لم ترد في كتب اللغة، ولكنها عريقة كأختها السالفة. وقد قال ابن كثير: إن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة، وإن الحاكم صححه، فإن كان ذلك كما قالا، فلا شك في عربية هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضًا.

(3) الخبر: 1695 - مضت قطعة منه، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد: 1691 .

وهذا الخبر نقله ابن كثير(1: 260، 261)، بطوله، عن الطبري. وقدم له بكلمة، قال: «وقد ورد في ذلك أثر غريب، وسياق عجيب في ذلك. أحببنا أن ننبه عليه». ثم قال بعد نقله:

«فهذا إسناد جيد إلى عائشة ف». وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان، بأطول منه.

وذكره السيوطي (1:101)، ونسبه أيضًا للحاكم وصححه. والبيهقي في سننه.

وهي قصة عجيبة، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها. والإسناد إلى عائشة جيد، بل صحيح.

=

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا، واعتلوا بما ذكرنا، وقالوا: لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله، ما قَدر أن يُفرِّق بين المرء وزوجه قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يَتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه، وذلك لو كان على غير الحقيقة، وكان على وجه التخييل والحُسبان، لم يكن تفريقًا على صحة، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة.

وقال آخرون: بل (السحر) أخذٌ بالعين.

وقال البغوي خ[1]: قيل معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف:٤٩] أي العالم.

والصحيح: أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر...

ثم قال $: وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة حمار ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخييل، قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحمى ويغضب،

=الربيع بن سليمان: هو المرادي المصري المؤذن، صاحب الشافعي وراوية كتبه، وهو ثقة. مترجم في«التهذيب»، وابن أبي حاتم (1 / 2 / 464). ابن أبي الزناد: هو «عبدالرحمن بن أبي الزناد عبدالله بن ذكوان»، وهو ثقة، تكلم فيه بعض الأئمة، في روايته عن أبيه، وفي رواية البغداديين عنه. والحق أنه ثقة، وخاصة في حديث هشام بن عروة. فقد قال ابن معين ـ فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره ـ «أثبت الناس في هشام بن عروة: عبدالرحمن بن أبي الزناد». وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه، بل قال في السنن (3: 59)، في حديث له صححه، وفيه حرف لم يروه غيره، فقال: «وإنما ذكره عبدالرحمن بن أبي الزناد، وهو ثقة حافظ».

قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى.

قلت: وإطلاق القول بتوثيق ابن أبي الزناد فيه نظر، ولكن من صحح روايته عن هشام بن عروة فله سلفٌ قوي كما أشار إليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(1) تفسير البغوي (1 / 128).

وربما يُحم منه، وقد مات قوم سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان.

وقال القرطبي $:

الثالثة ـ السحر، قيل: السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيُخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيُخيّل إليه أنه ماء، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه. وقيل: هو مشتق من سَحرتُ الصبيَّ إذا خدعته، وكذلك إذا علّلته. والتسحير مثله؛ قال لَبيد:

فَـإنْ تَسْـأَلِينَا فِـيمَ نَحْـنُ فَإِنَّنَـا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَـامِ الْمُسَحَّرِ

آخر:

أَرَانَـا مَوْضِـعَيْنِ لِأَمْـرِ غَيْـبٍ ... وَنُسْـحَرُ بِالطَّعَـامِ وَبِالشَّـرَابِ

عَصَـافِيرٌ وذِبَّـانٌ ودُودٌ ... وأجْـرأ مِـنْ مُجَلّحَـةِ الـذئابِ

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء:١٨٥] يقال المسحر الذي خُلق ذا سحر، ويُقال من المعلّلين أي: ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب.

وقيل أصله الخفاء، فإن الساحر يفعله في خفية، وقيل أصله الصَّرف، يقال ما سحرك عن كذا أي: ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته، وقيل: أصله الاستمالة، وكلُّ من استمالك فقد سحرك، وقيل في قوله تعالى: ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ [الحجر:١٥] أي: سُحرنا فأُزلنا بالتخييل عن معرفتنا.

وقال الجوهري: السحر: الأُخذة، وكلُّ ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر، وقد سحره يسحره سحرًا، والساحر العالم، وسحره أيضًا بمعنى خدعه، وقد ذكرناه، وقال ابن مسعود: كنا نسمي السحر في الجاهلية العِضَه، والعِضَةُ عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب، وقال الشاعر:

أَعُـوذُ بِرَبِّـي مِـنَ النَّافِثَـاتِ ... فِـي عُقَـدِ الْعَاضِـهِ الْمُعْضِـهِ

وقال القاسمي $ (محاسن التأويل ص312/2):

واعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله، قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١١٦] يعني موَّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى، وقد يستعمل مقيدًا فيما يُمدح ويُحمد كما قال رسول الله ﷺ لعمرو بن أهتم: **«إن من البيان لسحرًا»** لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته، وبالجملة فالسحر المطلق إنما هو تخييل بشعوذة صارفة للأبصار أو تمتمة مزخرفة عائقة للأسماع فلا يغير حقائق الأشياء ولا ينقل الصور.

وقال الجزائري في تفسيره:

السحر هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم.

وقال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان):

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير، وهو مشتق من سحرت الصبيَّ إذا خدعته، وقيل أصله الخفاء فإن الساحر يفعله خفية، وقيل: أصله الصرف، لأن السحر مصروف عن جهته، وقيل: أصله الاستمالة لأن من سحرك استمالك، وقال الجوهري: السحر: الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والساحر العالم.

وقال الغزالي: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين،

وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور انتهى، وقد ذكر أبو السعود أنواعًا من السحر فليرجع إليه.

۞ وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره:

والسحر في اللغة العربية يطلق على كل شيء لَطُف مأخذه ودقَّ، ويطلق كذلك على الصَّرف والتحويل عن الجهة المعتادة والتمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء فيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به في الواقع كالذي يرى السراب من بعيد فيخيَّل إليه أنه ماء، وكالذي يركب مركبًا شديد السرعة (كالقطار) إذا كان طريقه بين أشجار أو منازل أو غيرها من الأشياء الثابتة فَيُخَيَّلُ إلى راكبه أنه واقف وأن الأشجار أو المنازل أو الجبال هي التي تجري، كما يطلق السحر على الخداع من قولهم: سحرت الصبيَّ: إذا كان قد خدعه ومنه قول لبيد:

كما يطلق السحر على الاستمالة بقوة البيان ومنه قول رسول الله ﷺ: **«إن من البيان لسحرًا»**(1) الذي رواه البخاري، كما كان يطلق على الساحر اسم العالم حيث كانت مدارس تعليمه في مصر أيام فرعون موسى قد بلغت حدًّا لم يعرف في التاريخ أنه بلغه أحد بعدهم أو قبلهم، كما كانت مدارسه في جزيرة العرب قبل الإسلام، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث صهيب ﵁ في قصة أصحاب الأخدود والراهب والساحر. وقد يكون السحر برقى شيطانية وطلاسم ونفث في عقد، وهو سحر أهل بابل من عهد إبراهيم ؑ وكانوا يعبدون الكواكب، وقد يكون السحر بخفة اليد كالشعوذة، ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة للتأثر ولذلك نهى الأطباء المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، كما نُهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللَّمعان والدَّوران. كما أن بعض السحرة قد يستعين بالمغناطيس ونحوه، وأخطر أنواع

---

(1) أخرجه البخاري (5767) من حديث ابن عمر ﵁ مرفوعًا وكذلك أخرجه مسلم (869) من حديث عمار بن ياسر ﵁ مرفوعًا.

السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله.

|

س: اذكر بعض أنواع السحر؟

ج: ذكر الرازي ~ بحثًا طويلاً في أنواع السحر، وحصرها في ثمانية أنواع وها هي باختصار.

۞ **الأول:** سحر الكلدانيين والكسدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم غ مُبطلاً لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذاهبهم.

قلت: ولم يتضح لي وجه هذا السحر ولا كيفيته.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام، ومثَّل له الرازي برجل يمر على جذعٍ وهذا الجذع له حالان، الحال الأول أنه موضوع على الأرض فالرجل يمرُّ عليه بسهولة ويسر، والثاني أن الجذع موضوع كالجسر وتحته هاوية فحينئذ يتخيل المار أنه سيسقط في الهاوية فيتعذر عليه المرور من فوق الجسر.

وقال الرازي أيضًا: اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف[(1)] عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام فحاصل هذا النوع أن الساحر يخدع أصحاب النفوس الضعيفة والأوهام.

الثالث من أنواع السحر: الاستعانة بالجن لوصول الساحر إلى مراده[(2)] .

الرابع : التخيلات والأخذ بالعيون كمن يركب شيئًا سريعًا كقطار أو طائرة

---

(1) هو المصاب بالرعاف.

(2) قال الرازي: ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد فهذا النوع من السحر المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن.

أو سيارة مثلاً ويظن أن الأشجار تجري من حوله، وهو الذي يجري في الحقيقة ونورد هذا النوع والأنواع التي بعده بتمامها كما قال الرازي $، فقد قال :

النوع الرابع من السحر : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهذا الأخذ مبني على مقدمات: إحداها: أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركًا. وذلك يدل على أن الساكن يرى متحركًا والمتحرك يرى ساكنًا، والقطرة النازلة ترى خطًّا مستقيمًا، والذبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة والعنبة ترى في الماء كبيرة كالإجاصة، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيمًا، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيمًا فإذا فارقته وارتفعت عنه صغرت، وأما رؤية العظيم من البعيد صغيرًا فظاهر، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة، وثانيها: أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفًا تامًّا إذا أدركت المحسوس في زمانٍ له مقدار ما، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدًّا ثم أدركت بعده محسوسًا آخر وهكذا فإنه يختلط البعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض وذلك فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطًا كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت فإن الحس يرى لونًا واحدًا كأنه مركب من كل تلك الألوان، وثالثها: أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه، لما أن قلبه مشغول بشيء آخر، وكذا الناظر في المرآة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكبر منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرآة، وربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئًا مما في المرآة، إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر، وذلك لأن المشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل

بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئًا آخر عملاً بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيًّا لتفاوت الشيئين، أحدهما: اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدًّا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعلمه ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المراد من قولهم: إن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًّا، فإن الضوء يفيد البصر كلالاً واختلالاً، وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالاً واختلالاً، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها، فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى: مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكة وباكية، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وبين ضحك الخجل وضحك الشامت، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقيلاً عظيمًا بآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر، لأن لها أسبابًا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرًا شديدًا لا يصل إليه إلا الفرد بعد

الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر، ومن هذا الباب عمل «أرجعيانوس» الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مختارًا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخًا من فراخ البراصل، والبراصل هو طائر عطوف وكان يصفر صفيرًا حزينًا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربًا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ، لأنها تظن أن هناك فرخًا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها «أسطرخس» الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلئ تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع.

النوع السادس من السحر: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته. واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق (1) .

(1) قال الشيخ أحمد شاكر خ: «عمدة التفسير» (ص203): يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر =

النوع السابع من السحر: تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثرًا عظيمًا في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار(1).

النوع الثامن من السحر: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس، فهذا جُملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه(2)، والله أعلم.

س: ما منزلة السحر بين الذنوب؟ وما حكم الساحر؟ وما حدُّه؟

ج: السحر من كبائر الذنوب، وذلك لأن النبي ﷺ ثناه بالشرك ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **«الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**(3).

۞ **ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر** لقول الله ع: ﴿وَمَا كَفَرَ

=ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مُدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات.

(1) **قال الشيخ أحمد شاكر $:** هذا النمطُ يقال له: (التنبلة) وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم - وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

(2) **قلت:** ويلحق به البيان الحسن (الأسلوب الحسن) فقد قال النبي ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا**».

(3) أخرجه البخاري (2766)، ومسلم (حديث 89).

سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾.

[البقرة:١٠٢]

۞ **وكذلك حكم الساحر** فمن العلماء من ذهب إلى أنه مرتكب لكبيرة ومنهم من ذهب إلى أنه كافر، ومن العلماء من فصَّل في ذلك.

۞ **قال النووي $:** إن كان في السحر قول أو فعل يقتضي الكفر كفر الساحر وتُقبل توبته إذا تاب عندنا، وإن لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزِّر واستتيب.

۞ **وقال القرطبي $:** وقال بعض العلماء: إن قال أهل الصناعة: إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان فالسحر إذًا دالٌّ على الكفر على هذا التقدير، والله أعلم.

۞ **وقال صديق حسن خان في (فتح البيان في مقاصد القرآن):** وفي قولهما: ﴿فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي: أن هذا ذنب يكون من فعله كافرًا فلا تكفر، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد، وبين من تعلَّمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه، وبه قال أحمد.

۞ **قال الحافظ ابن حجر خ (فتح الباري532/01):** وقد استدل بهذه الآية(1) على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلَّمه أصلاً قال النووي: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر

---

(1) يعني قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ...﴾ [البقرة: 102].

فهو كفر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه حرام، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر، وعن مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق، قال عياض وبقول مالك قال أحمد وعياض وجماعة من الصحابة والتابعين. اهـ.

وفي المسألة اختلاف كثير وتفاصيل ليس هذا موضع بسطها، وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره، وإما لإزالته عمن وقع فيه، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإن سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعلٍ بخلاف تعاطيه والعمل به، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور.

أما حدُّ الساحر: فقد رأى فريق من أهل العلم أن الساحر يقتل لحديث: **«حد الساحر ضربة بالسيف»** لكن هذا الحديث ضعيف ولا يثبت عن رسول الله ﷺ.

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] قالوا: فدل ذلك على أن السحر كفر ومن ثم يقتل فاعله.

واستدلوا أيضًا بأنه روي عن عدد من الصحابة ث قتل الساحر.

۞ ومن العلماء من فصَّل في حد الساحر فنظر في تفصيله إلى طريقة السحر التي سحر بها وإلى النتيجة من وراء هذا السحر، فإن سحر بنفسه بكلام يكون كفرًا فيُقتل حينئذٍ ولا يستتاب ولا تقبل توبته(1).

۞ **قال القرطبي $:** واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذِّمي فذهب

---

(1) المراد بعدم قبول التوبة هنا قبولها في الظاهر أي لا يُدرًا عنه الحد لقوله إني تبت، وذلك، لأن باب التوبة مفتوح لكل من أرادها لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: 53].

مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلامٍ يكون كفرًا يُقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته، لأنه أمرٌ يستسر به كالزنديق والزاني، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرًا بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] وهو قول أحمد ابن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين...

ثم قال $: قال ابن المنذر: وإذا أقرَّ الرجل أنه سحر بكلامٍ يكون كفرًا وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلامًا يكون كفرًا، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفرٍ لم يجز قتله. انتهى المراد.

قلت: ومن العلماء من فرَّق بين ساحر أهل الكتاب والساحر المسلم، فذهب إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره، لكنه يعاقب على قدر ما أحدث وألحق الضرر.

قلت: ويشهد لهم قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠].

قال الحافظ ابن حجر خ (فتح الباري 742/01):

لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهري إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعن مالك إن أدخل بسحره ضررًا على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله، وإنما لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه،ولأنه خشي إذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين سواء كان لبيد يهوديًّا أو منافقًا على ما مضى من الاختلاف فيه... انتهى المراد.

س: هل ثبت أن الرسول ﷺ سُحر؟

ج: نعم وقد ثبت ذلك في «الصحيحين»(1) ففي البخاري ومسلم من

(1) أخرجه البخاري (حديث 5765، 5766)، ومسلم (حديث 2189).

(129) أحمر
أسود

حديث عائشة ف قالت: سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليُخيلُ إليه أنه يفعل الشيء[(1)] وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: **«أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟»** قلت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: **«جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليَّ ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب[(2)] قال:ومن طبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: في ماذا؟ قال: في مُشط ومشاطة[(3)] وجُف طلعةٍ ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان[(4)]»** قال: فذهب النبي ﷺ في أُناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال: **«والله لكأن ماءها نُقاعة[(5)] الحِناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين»**، قلت: يا رسول الله أفأخرجته[(6)]؟ قال: **«لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وكرهت أن**

---

(1) في رواية للبخاري: حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.

(2) مطبوب أي :مسحور.

(3) المشاطة هي: الشعر الذي يسقط من الرأس أو الحية عند تسريحهما وتمشيطهما.

(4) في رواية في بئر (ذروان).

(5) نقاعة الحناء هي الماء الذي تُنقع فيه الحناء، والحناء معلومة وهي التي تستعمل في الخضاب.

(6) في هذه الرواية (أفأخرجته) وفي رواية أخرى في البخاري أيضًا (5765) قالت: (فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أُريتها، وكأن ماءها نُقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين» قال فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا ـ أي تنشَّرت ؟ فقال «**أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شرًّا**».

* وفي رواية ثالثة للبخاري (5763): قلت يا رسول الله:(أفلا استخرجته) قال: «**قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًّا**» فأمر بها فدُفنت.

* وفي رواية مسلم (قالت :فقلت يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: «**لا أمَّا أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أُثير على الناس شرًّا فأمرتُ بها فدفنت**» وفي رواية أخرى لمسلم: وقالت: قلت يا رسول الله فأخرجه.

* ورجَّح الحافظ ابن حجر خ رواية سفيان بن عيينة (التي هي فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: «**هذه البئر التي أُريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رءوس الشياطين**» قال: فاستخرج قالت فقلت: أفلا ـ أي تنشَّرت ـ؟ فقال: «**أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على الناس شرًّا**».

* وأورد الحافظ ابن حجر $ وجهًا آخر عن بعض العلماء حاصله أن الاستخراج المنفي غير الاستخراج المثبت، فالمثبت هو استخراج الجف، والمنفي استخراج ماحواه، قال: وكأن السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر.

=

أثوِّر على الناس منه شرًّا» وأَمَر بها فدفنت.

أجوبة أهل العلم على الطاعنين في حديث سحر النبي

س: اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على حديث السحر وكيف تم دفعها؟

ج: أوجز الحافظ ابن حجر **$** هذه الردود فقال في فتح الباري (732/01، 832):

قوله: (حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله).

قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء.

قال المازري: وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض؛ فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قلت: وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا

=* هذا وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله: (أفلا أحرقته) يرجع الضمير فيه إلى لبيد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

ولفظه: **«حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»**، وفي رواية الحميدي: **«أنه يأتي أهله ولا يأتيهم»**، قال الداودي: «يرى» بضم أوله أي: يظن، وقال ابن التين: ضبطت «يرى» بفتح أوله.

قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن، وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق: «سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره»، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب: «حتى كاد ينكر بصره»، قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده.

قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: **«فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيًّا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله»**، قلت: فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح، وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة، وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: **«حتى كاد ينكر بصره»** أي: صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أن شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: **«أما أنا فقد شفاني الله»**، وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في «الدلائل»: «فكان يدور ولا يدري ما وجعه»، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد: «مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان» الحديث.

س: ما معنى النُشرة، وهل هي مشروعة أم لا؟ وهل يُسئل الساحر حل السحر عن المسحور؟

ج: النشرة هي نوع من العلاج يُعالج به من يُظن أن به سحرًا أو مسًّا من الجن.

أما هل هي مشروعة أم غير مشروعة، فالذي يظهر لي بعد مراجعة ما ورد فيها أنها على أقسام.

۞ نشرة مشروعة وتكون بالرقى والأذكار والأدعية الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذه مشروعة بلا شك ويلتحق بها نشرة لم يرد نصُّها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولكنها أدعية وأذكار مفهومة معروفة فهذه أيضًا مشروعة لقول النبي ﷺ: **«لا بأس بالرقى ما لم يكن شركًا»**.

۞ نشرة غير مشروعة وهي بالتعاويذ الشركيةوالبدعية.

۞ نشرة بطلاسم وأذكار غير مفهومة فهذه تترك أيضًا خشية أن يكون بها شرك والشخص لا يشعر، والله تعالى أعلم.

۞ أما هل يُسأل الساحر حل السحر عن المسحور؟ فقال القرطبي ﵀: أجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري(1)، وإليه مال المُزني وكرهه

---

(1) ذكر البخاري في صحيحه في كتاب «الطب» (مع الفتح 10 / 243) باب هل يستخرج السحر، قال: وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب ـ أو يؤخذ عن امرأته، أيحلُّ عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنْه عنه.

كذا ذكره البخاري معلقًا، وقال الحافظ ابن حجر $: وصله أبو بكر الأثرم في كتاب «السنن» من =

(133) أحمر
أسود

الحسن البصري، وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة، قال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله قلت: وهذا غير وارد عن رسول الله ﷺ، ولا تتضح فيه صورة شرك فإن جُرِّب ونفع الله به فهو ذاك، وإلا فالحجة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والله تعالى أعلم.

|

س: اذكر بعض الفروق بين المعجزة والسحر؟

ج: من هذه الفروق أن السحر يوجد من الساحر ومن غيره أما المعجزة فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثلها ومن هذه الفروق أن المعجزة يُستدل بها على توحيد الله ٥ أما السحر فليس كذلك.

|

قصة هاروت وماروت

س: ما معنى (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة:١٠٢] وهل الملكان هما هاروت وماروت؟ وإذا لم يكونا هاروت وماروت فمن هما ومن هما هاروت وماروت؟

ج: أما (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ ...﴾ [البقرة:١٠٢] فلأهل

=طريق أبان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه؟ فقال: «إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع» وأخرجه الطبري في «التهذيب» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحرٌ أن يمشي إلى من يطلق عنه فقال: هو صلاح، قال قتادة:وكان الحسن يكره ذلك يقول :لا يعلم ذلك إلا ساحر، قال :فقال سعيد بن المسيب: إنما نهي عما يضر ولم ينه عما ينفع.

* هذا وقد قال الحافظ ابن حجر $ (فتح الباري 10 / 246): قال ابن القيم $: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يُخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له.

العلم فيها أقوال أشهرها ما يلي:

الأول: أن (ما) بمعنى (لم) أي: أن (ما) هي (ما) النافية.

الثاني: أن (ما) بمعنى (الذي).

الثالث: أن (ما) بمعنى (الذي) لكن المراد به (التفريق بين المرء وزوجه)(1).

الرابع: أن (ما) يجوز في هذا الموطن أن تكون بمعنى الذي ويجوز أن تكون بمعنى (لم)(2).

۞ أما هاروت وماروت فمن العلماء من قال: إنهما الملكان المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة:١٠٢] وهما ملكان من الملائكة ابتلاهما الله ٥ وابتلى بهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

۞ **ومن العلماء من قال:** إن هاروت وماروت رجلان مفسدان يعلمون الناس التفريق بين المرء وزوجه وصنوفًا أخرى من السحر، وعلى هذا القول فالملكان هما جبريل وميكائيل.

|

س: ما تأويل قول الله ٥: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة:١٠٢]؟

ج: تأويل هذا مبني على تفسير (ما) وعلى بيان المراد بالملكين وبيان من هما هاروت وماروت فلينظر إلى السؤال السابق مع جوابه، وعليه فنقول:

۞ **بناء على أن (ما) بمعنى لم:** قال ابن جرير الطبري $ تعالى في تأويل

---

(1) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر 1674) قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: 102]، فالسحر سحران سحرٌ تعلِّمه الشياطين، وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت.

قلت: وحمل بعض العلماء السحر الذي يُعلِّمه هاروت وماروت على التفريق بين المرء وزوجه.

(2) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد رحمه الله - (1678) وسأله رجل عن قول الله عز وجل: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: 102] فقال الرجل: يعلِّمان الناس ما أنزل عليهما؟ أم يُعلِّمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ قال القاسم: ما أُبالي أيتهما كانت.

القدر المذكور من الآية: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة:١٠٢] فيكون حينئذٍ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾[البقرة:١٠٢] من المؤخر الذي معناه التقديم، فإن قال قائل ـ وكيف وجه تقديم ذلك؟

قيل: وجه تقديمه أن يُقال: واتبعوا من تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيًّا بـ (الملكين) جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود فيما ذُكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر عمل الشياطين وأنها تعلِّم الناس ذلك ببابل وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة:١٠٢] على هذا التأويل ترجمةً على الناس وردًّا عليهم.

قلت: وهذا التأويل لا يخلو من تكلف وترد عليه إشكالات منها:

۞ أنه لا يوجد في الآية الكريمة ذكر لجبريل وميكائيل.

۞ **والثاني:** أنه إذا كان هاروت وماروت على ما ذُكر لكان من حقهما الرفع هاروتُ وماروتُ.

۞ **والثالث:** أن التقديم والتأخير على النحو المذكور فيه شيء من التعسف والتكلف.

۞ **الرابع:** أن قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] جمع وهاروت وماروت مثنى، فهذا وجه النظر عندي في هذا التأويل، قاله: (مصطفى)

وإن قلنا إن (ما) بمعنى (الذي): فقد قال ابن جرير ﭬ في تأويل الآية على هذا الوجه:

واتبعت اليهودُ الذي تلت الشياطين في ملك سليمان، والذي أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة الله ٥.

وانتصر ابن جرير الطبري $ لهذا الوجه فقال (424/2): والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجَّه (ما) التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة:١٠٢] إلى معنى (الذي) دون معنى (ما) التي هي بمعنى الجحد، وإنما اخترت ذلك من أجل أن (ما) إن وجِّهت إلى معنى الجحد تنفي عن (الملكين) أن يكونا منزلاً إليهما، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني (هاروت وماروت) من أن يكونا بدلاً منهما وترجمة عنهما أو بدلاً من (الناس) في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة:١٠٢] وترجمة عنهما.

فإن جُعلا بدلاً من (الملكين) وترجمة عنهما بطل معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢] ، لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفرّق به بين المرء وزوجه فما الذي يَتعلَّم منهما من يفرق بين المرء وزوجه؟ وبعد(1) فإن (ما) التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة:١٠٢] إن كانت في معنى الجحد عطفًا على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[البقرة:١٠٢] فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢] عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فإن كان الذي نفي عن الملكين من ذلك نظير الذي نفي عن سليمان منه، وهاروت وماروت هما الملكان ـ فمن المتعلِّم منه إذًا ما يفرَّق به بين المرء وزوجه؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢]؟ إن خطأ هذا القول لواضحٌ بينٌ وإن كان قوله: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ﴾ ترجمة عن (الناس) الذين في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] فقد وجب أن تكون الشياطين

(1) قوله هنا (وبعد) بمعنى أيضًا، فقد تقدم أن لها معاني كما في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: 13] أي: عتل مع ذلك.

هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من (هاروت وماروت) عن تعليم الشياطين إياهما، فإن يكن ذلك كذلك فلن يخلو (هاروت وماروت) ـ عند قائل هذه المقالة ـ من أحد أمرين:

إما أن يكونا ملكين، فإن كان عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلِّمانه الناس وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذُكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب، وفي خبر الله ۵ عنهما أنهما لا يعلمان أحدًا ما يتعلم منهما حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢] ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول.

۞ أو أن يكونا رجلين من بني آدم فإن يكن ذلك كذلك فقد كان يجب أن يكون بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل من بني آدم، لأنه إذا كان علمُ ذلك من قِبَلِهما يُؤخذ ومنهما يُتعلَّم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدمُ السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما، وفي وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول، وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم لم يُعدَما من الأرض منذ خلقت ولا يُعدمان بعد ما وجد السحر في الناس فيدَّعي ما لا يخفى بُطولُه(1) فإن فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها فبين أن معنى (ما) التي في قوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ [البقرة:١٠٢] بمعنى (الذي) وأن (هاروت وماروت) مترجمٌ بهما عن الملكين، ولذلك فُتحت أواخر أسمائهما، لأنهما في موضع خفض على الردِّ على (الملكين) ولكنهما لما كانا لا يُجرَّان فتحت أواخر أسمائهما، فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال، وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلِّم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يُضاف إلى الله ع إنزال ذلك على الملائكة؟ قيل له:

(1)أي بطلانه.

إن الله جل ثناؤه عرَّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عنه عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علَّمه الملكين اللذَين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلُّم منهما ويُخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في تعليمهما من علَّما ذلك لله مطيعين إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علَّماه يعلمان، وقد عُبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائرًا إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناهٍ، فكذلك الملكان غير ضائرهما سُحر من سَحر ممن تعلَّم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] إذ كان قد أدَّيا ما أمرا به بقيلهما ذلك، والله أعلم.

أما القرطبي خ (05/2): قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] (ما) نفي والواو للعطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢]، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، التقدير وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة:١٠٢] هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه، كذا قال القرطبي $.

قال ابن العربي $ (أحكام القرآن82/1):

اختلف الناس في حرف (ما) فمنهم من قال إنه نفي، ومنهم من قال: إنه مفعول وهو الصحيح، ولا وجه لقول من يقول: إنه نفي لا في نظام الكلام ولا في صحة المعنى ولا يتعلق من كونه مفعولاً سياق الكلام بمحالٍ عقلاً ولا يمتنع شرعًا وتقريره: واتبع اليهود ما تلته الشياطين من السحر على ملك سليمان أي: نسبته إليه وأخبرت به كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:52] أي: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ما لم يُلقه النبي يحاكيه ويلبس على السامعين به حسبما بيناه.

وما كفر سليمان قط ولا سحر، ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلِّمون الناس، ومعتقد الكفر كافر، وقائله كافر، ومعلِّمه كافر، ويعلِّمون الناس ما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما كان الملكان يُعلمان أحدًا حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ [البقرة:102].

س: هل يجوز أن يُنزل الله ۵ السحر أو هل يجوز أن تعلمه الملائكة للناس؟

ج: أجاب على هذا ابن جرير الطبري خ بقوله: إن الله ۵ قد أنزل(1) الخير والشر كلَّه وبيَّن جميع ذلك لعباده فأوحاه إلى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحلُّ لهم مما يحرم عليهم، وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفوها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها وليس في العلم بالسحر إثم كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطَّنابير والملاعب، وإنما الإثم في عمله وتسويته، وكذلك لا إثم في العلم(2) بالسحر وإنما الإثم في العمل به وأن يضرَّ به من لا

(1) وقد قال النبي ﷺ ذات ليلة: «سبحان الله ماذا أنزل من الفتن...» الحديث.

(2) أما قوله لا إثم في السحر ففيه نظر، فإن الله عز وجل قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ [البقرة: 102] ولو كان في تعليم السحر خيرٌ لتعلمه رسول الله ﷺ وعلَّمه أصحابه أو حثهم =

يحل ضرُّه به، فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علَّماه من الناس إثم إذ كان تعليمهما من علَّماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجًا كما لم يكونا حَرِجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما.

وقال ابن العربي خ (أحكام القرآن 82/1):

فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟ قلنا: كُلُّ خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزلٌ من عند الله تعالى قال النبي ﷺ كما في الصحيح: **«ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحُجر ربَّ كاسية في الدنيا عارّية يوم القيامة»**(1)، فأخبر غ عن نزول الفتن على الخلق.

س: إذا قلنا إن (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ﴾ [البقرة:١٠٢] بمعنى الذي فما الذي أنزل على الملكين ببابل؟

ج: لأهل العلم فيه قولان: أحدهما أنه السحر أيضًا.

وقول آخر ـ أنه التفريق بين المرء وزوجه لقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [البقرة:١٠٢].

س: ما الحاصل في تأويل قوله تعالى: ﴿جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ

=على تعلمه، والله تعالى أعلم.

(1) أخرج البخاري (حديث 7069) من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: **«سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات** - يريد أزواجه - **لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».**

١٠١ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة:١٠١، ٢٠١]؟

ج: يبين الله ۵ حال اليهود وما هم عليه من العناد والشقاق لأنبياء الله وللكتب المنزلة من عند الله وأنهم كان عندهم في التوراة صفة رسول الله ﷺ ونعته فلما جاء رسول الله ﷺ موافقًا في صفته ونعته وما عندهم في التوراة ويأمر بالتوحيد والإيمان برسل الله وملائكته...إلى غير ذلك رفض هؤلاء اليهود التوراة ونبذوها وراء ظهورهم نبذ رجلٍ جاهل، وهم في الحقيقة يعلمون ما فيها فتركوها لما وجدوها توافق رسولَ الله ﷺ وتُصدقه ويوافقها ويصدق الثابت فيها واتجهوا بعد نبذها ـ كما اتجه كل نابذ للحق ـ إلى الأكاذيب والأباطيل وأنواع السحر والشعوذة التي افترتها الشياطين ونسبتها إلى سليمان ؛ كذبًا وزورًا، وما سحر سليمان ؛، ولا أمر بالسحر ولا أَقَرَّه بحالٍ من الأحوال ♥ وما كفر سليمان ؛، ولكن الشياطين كفروا، وكفروا باختلاقهم السحر وتعليمه للناس، وكفروا أيضًا بتعليمهم الناسَ الذي أُنزل على المَلَكين ببابل هاروت وماروت من التفريق بين المرء وزوجه وهاروتُ وماروتُ ملكان ببابل تتعلم الشياطين وأتباعها منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه، وما يعلمان من أحد حتى يحذرانه ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر.

هذا هو الذي يقتضيه السياق، والله تعالى أعلم.

۞ وترد على هذا التأويل تساؤلات منها:

۞ هل أُنزل السحر أو (تعلمه) على الملكين؟ فالإجابة بنعم فإن الله أخبر بذلك وقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ [البقرة:١٠٢] و(ما) هنا بمعنى الذي ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٠١] ففيه دليل على أن التفريق بين المرء وزوجه يُتعلم من الملكين .

فإن قال قائل: وهل ينزل الشر؟

فالإجابة بنعم فإن النبي ﷺ قد قال ذات ليلة: «**سبحان الله ماذا أُنزل الليلة**

من الفتن...» الحديث.

فإن قال قائل: كيف ينزل السحر على الملكين ويعلمانه للناس، والله يقول في شأن الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في فضل الملائكة وطاعتها لربها ٥؟!

فالإجابة على ذلك من وجوه:

۞ **أحدها:** أن هذا من العام المخصوص بمعنى أن عموم الملائكة صالحون مطيعون لله ٥ فيما أمر مجتنبين ما نهى عنه الله وزجر إلا أنه قد يكون فيهم من عصى ولا يعكر عصيانه على عموم الصالحين، قد قدمنا أن رأي الجمهور أن إبليس كان ملكًا (1) ومع ذلك فقد عصى، وأيضًا قال الله ٥: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] فنفى الله الإيمان عن الأعراب في هذه الآية الكريمة، وأثبت الله ٥ الإيمان لبعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩].

۞ **الثاني:** أنه ليس في الآية الكريمة ما يُفيد صراحة أن الملكين عصاة إنما غاية ما في الآية الكريمة أن الشياطين أو (الناس) يتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه، هذا غاية ما في الآية الكريمة بشأن الملكين، فقد يكونا قد أُمرا بذلك من الله ٥ وحينئذ لا يكونا عاصيين، ويؤيد قولهما لمن تعلم منهما: ﴿

(1) وقد حررنا القول في ذلك وهل هو ملك أم جني من قبل فانظره إن شئت.

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

۞ **الوجه الثالث:** ما ذكره بعض العلماء حيث قال: إن السحر أُنزل ليُتعلم على جهة التحذير وممن قال بهذا القول ابن عطية خ(1)، وقال عبد القادر بن شيبة الحمد ـ غفر الله له ـ في تفسيره (232/1): وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله، ولما كثر شرّ هذا النوع من السحر أنزل الله الملكين هاروت وماروت ببابل من أرض العراق يعلمان الناس فك سحر المسحورين ويحذرانهم من إيذاء الناس بالسحر، ويقولان لكل من يعلمانه إنما نحن فتنة فلا تكفر أي: فلا تستغل فرصة معرفتك لفك سحر المسحورين بسحر الناس، وفي ذلك يقول الله ع: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وذلك أن تعليمهما كان ذا وجهين، يمكن استخدامه في وجوه من الشر ويمكن استخدامه في وجوه الخير، وهو فك المسحور، وكما قال ٥: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] وقد تكون معرفة طرق الشر ضرورية للقضاء عليها وفي ذلك يقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس

انتهى المراد من كلامه حفظه الله(2).

۞ أما ما قصة هاروت وماروت وما شأنهما فسيأتي ذلك في سؤال لاحق إن شاء الله. وبالله التوفيق.

س: ما مدى صحة ما ذكر عن هاروت وماروت وفيه أن الملائكة في السماء قالت: أي رب هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر

---

(1) في تفسيره (1 / 307) محرر.

(2) **قلت:** وهذا الوجه الذي ذكره الشيخ عبدالقادر فيه نظر عندي وذلك لأن الله قال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: 102] ولعل الشيخ عفا الله عنه فرَّ من وصف الملكين بالعصيان،وقدمنا في الوجه الثاني ما يصرف العصيان عنهما وبالله التوفيق والله تعالى أعلم.

وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل لهم اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وجُعلت فيهما شهوات بني آدم وأُمرا أن يعبدا الله ولا يشركا به شيئًا... إلى آخر ما ورد في هذا الخبر ونحوه وفي آخره أنهما عصيا ربهما وشربا الخمر وقتلا النفس وزنيا... وفي آخر أمرهما أنهما اختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان إلى يوم القيامة وكذلك المرأة التي أغوتهما طارت فكانت كوكب الزهرة ونحو هذا...؟

ج: الأخبار الواردة في هذا الصدد لا نعلم شيئًا منها ثابتًا عن رسول الله ﷺ، وإنما ذكرها بعض السلف والغالب أنهم تلقوها من الإسرائيليات التي يرويها أهل الكتاب، والعلم عند الله تعالى.

س: ما المراد بالتفريق بين المرء وزوجه في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] وكيف يُفرّق الشيطان بين المرء وزوجه؟

ج: المراد بالتفريق بين المرء وزوجه إما الطلاق، وإما المنع من الوطء، وإما بث الكراهية بين الزوجين.

أما كيفية التفريق بين المرء وزوجه:

فقال الطبري خ (1) :

فإن قال قائل: وكيف يفرِّق بين المرء وزوجه؟

قيل: قد دللنا فيما مضى على أن معنى (السحر) تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفِّق لفهمه فإذا كان ذلك صحيحًا بالذي استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحدٍ منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حُسنٍ وجمال

(1) تفسير الطبري (2 / 446).

(145) أحمر
أسود

حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويُعرض عنه حتى يُحدث الزوج لامرأته فراقًا فيكون الساحر مفرقًا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فُرْقة ما بينهما ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: وتفريقهما أن يُؤخذ كلٌّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغَّض كل واحد منهما إلى صاحبه.

س: هل تفريق السحرة بين الزوجين مؤكد؟

ج: لا بل غير مؤكد إلا أن يشاء الله وإنما فعل السحرة من باب الأسباب والمسببات، وقد يأخذ الشخص بالأسباب ولا يوفق لنيل مراده فقد يسعى الإنسان للكسب مثلاً ويتاجر من أجل ذلك ويجد ويجتهد ولكنه يخسر فضلاً عن أن يحرم الكسب، وقد يتداوى الشخص ولكن لا ينجح فيه الدواء فكذلك الساحر قد يسحر ويُجري شعوذاته ولا يستطيع أن يصل بضرره إلى الشخص، والله ٥ يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢] ويقول سبحانه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

[الأنعام:١٧]

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٦، ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٦- ٣٨].

وقال النبي ﷺ: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»** (1).

---

(1) صحيح، أخرجه أحمد في «المسند» (1 / 293)، والترمذي (حديث 2516) وقال: هذا حديث حسن =

س: قولــه تعــالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ [البقرة:١٠٢] من هم الذين علموا؟

ج: هـم اليهـود النابـذون لكتـاب الله وراء ظهـورهم، وقـد نقـل الطبـري ﭬ الإجماع علـى أن قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ [البقرة:١٠٢] معنيٌّ به اليهود دون الشياطين.

س: قولـه تعـالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ﴾ [البقرة:١٠٣] خيرٌ من ماذا؟

ج: خيرٌ من اتباعهم الكفر الذي تلته الشياطين على ملك سليمان، وخيرٌ مـن الإثم الذي سيلحقهم من جراء هذا الاتباع، والله تعالى أعلم .

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٣]؟

ج: قال الطبري $: يعني جل ثناؤه بقولـه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ [البقرة:١٠٣] لو أن الذين يتعلَّمون من الملكين ما يفرّقون بـه بـين المـرء وزوجـه ﴿ءَامَنُواْ﴾ فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ربهم فخافوه فخـافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله إياهم وثوابـه لهـم على إيمانهم به وتقواهم إياه خيرًا لهم من السحر ومـا اكتسبوا بـه ﴿لَّوۡ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٣] أن ثـواب الله إيـاهم علـى ذلـك خيـرٌ لهـم مـن السحر وممـا اكتسـبوا بـه، وإنمـا نفـى بقولـه: ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٣] العلم عـنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته.

=صحيح، والحاكم (3 / 541 - 542)، وابن أبـي عاصم في السنة (حديث 316 معلقًا)، وغيرهم من حديث ابن عباس ﭭ مرفوعًا.

(147) أحمر
أسود

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرۡنَا
وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤ مَّا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ
يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥

الكلمة	معناها
﴿رَٰعِنَا﴾	أمهلنا ـ فرّغ لنا سمعك ـ اهتم بنا وأرشدنا لطرق الخير.
﴿أَلِيمٞ﴾	مؤلم موجع.
﴿مَّا يَوَدُّ﴾	ما يحب ـ ما يتمنى.
﴿بِرَحۡمَتِهِۦ﴾	نبوته ـ الإسلام ـ عموم الرحمة.

س: ما المراد بقول المؤمنين لرسول الله ﷺ: ﴿رَٰعِنَا﴾ وما المراد بقول اليهود له ♥: ﴿رَٰعِنَا﴾؟

ج: للعلماء في بيان المؤمنين بقولهم لرسول الله ﷺ: ﴿رَٰعِنَا﴾ أقوال منها:

- أمهلنا وأنظرنا حتى نفهم ما تقول ونَعيَهُ.
- فرِّغ سمعك لنا يا رسول الله.
- انظر إلينا واهتم بنا وأرشدنا لمقصد الخير وطرق الثواب.
- **أما مراد اليهود:** فيقصدون بها الرعونة وهي الجهل المفرط والحماقة.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ في قوله ٥: ﴿... وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ [البقرة:١٠٤]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ اسمعوا قولي وامتثلوا أمري.

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة:١٠٤] دليل على سد الذرائع وضحه، وبيِّن معنى الذريعة، واذكر بعض الأدلة عليها؟

ج: إيضاحه أن اليهود لما كانوا يشاركون المسلمين في قولهم (راعنا) إلا أنهم يلوون ألسنتهم بها ويحرفونها إلى ما يريدونه من وصف رسول الله ﷺ بالجهالة والحمق، نُهي المؤمنون عن قول (راعنا) وأُمروا باستعمال لفظٍ آخر غير مشتبه ولا يمكن معه الوصول إلى سب رسول الله ﷺ.

فسد هذا الذريعة التي يتوصل بها اليهود إلى النيل من رسول الله ﷺ حيث إنه لن يقول (راعنا) بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة:١٠٤] إلا من في قلبه سوء فحينئذ سينكف عن قولها خشية أن يظهر أمره وتظهر مخالفته، والله تعالى أعلم.

أما معنى الذريعة: فقال القرطبي $: والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع.

أما الأدلة على سد الذرائع فمنها:

۞ قول الله ع: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام:108].

۞ ومنها نهى النبي ﷺ عن شتم الرجل أبا الرجل حتى لا يُسب الشاتم قال رسول الله ﷺ: **«من الكبائر شتم الرجل والديه»** قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **«نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»**(1).

۞ ومنها قول النبي ﷺ: **«الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه...»**(2) الحديث فمنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات.

۞ ومنها النهي عن تصوير ذوات الأرواح وتصوير الصالحين حتى لا يؤدي ذلك إلى الشرك والغلو فيهم فقد ذكرت أم حبيبة وأم سلمة ؓ لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة ورأين بها تصاوير فقال رسول الله ﷺ: **«إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»**(3).

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تثبت أن اليهود كانوا يلوون ألسنتهم بالكلام لصرفه عن ظاهره وتحويله إلى وجهة سيئة يريدونها هم؟

ج: من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[النساء:46]

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث 90) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ؓ، والبخاري (مع الفتح 10/ 403).

(2) أخرجه البخاري (حديث 2051، 2052)، ومسلم (حديث 1599) من حديث النعمان بن بشير ؓ مرفوعًا.

(3) وانظر أدلة أخرى أوردناها عند قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: 35].

۞ وقول النبي ﷺ: «إن اليهود إذا سلموا عليكم فإنما يقول أحدهم «السام»(1)، أي: الموت.

س: لماذا نُهي المسلمون عن قول (راعنا)؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نُهوا عن قول (راعنا)، لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبه والسخرية والنَّيل منه(2).

۞ وذهب ابن جرير الطبري خ إلى أنها كلمة كرهها الله تعالى أن تُقال لنبيه ﷺ كما قال النبي ﷺ: **«لا تقولوا للعنب الكرم...»**، والله تعالى أعلم.

س: ما وجه سياق الآية الكريمة: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾ [البقرة:١٠٥] عقب قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة:١٠٤]؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أن وجه ذلك لبيان شدة عداوة الكافرين من القبيلين: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥] للمؤمنين، ومن ثمَّ تنبيه المؤمنين على عدم التشبه بهم والسير وراءهم، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالرحمة في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٥]؟

ج: للعلماء فيها ثلاثة أقوال: منها:

الأول: أن المراد بالرحمة عموم الرحمة.

والثاني: أن الرحمة المراد بها الإسلام.

الثالث: أن المراد بالرحمة هنا النبوة، والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرج البخاري (مع الفتح 12 / 280)، ومسلم (مع النووي 14 / 144) من حديث ابن عمر ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود إذا سلموا على أحدكم إنما يقولون : سام عليك فقل: عليك».

(2) أخرج الطبري (1728)، بإسناد حسن إلى قتادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: 104] قولٌ كانت تقوله اليهود استهزاءً فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ
مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦
أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ أَمۡ تُرِيدُونَ
أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن
يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨

الكلمة	معناها
﴿نَنسَخۡ﴾	نُبدل آية بغيرها أو نُزل حكمها أو نزيلهما (أي: اللفظ والحكم معًا
﴿نُنسِهَا﴾	ننسيكها (من النسيان المعهود) أي: نمحها من الصدور، أو ـ نتركها بلا نسخ(1).
﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾	سوى الله ـ بعد الله ـ غير الله.
﴿وَلِيّٖ﴾	قائم بأموركم يليها ويُدبرها لكم.
﴿نَصِيرٍ﴾	النصير هو: الناصر ـ المؤيد ـ المقوّي.
﴿أَمۡ تُرِيدُونَ﴾	بل تريدون ـ أتريدون؟
﴿ضَلَّ﴾	ذهب وحاد.
﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	السواء هو: الوسط والمُعظم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:55]، ومنه قول حسان ﭬ: يا وَيحَ أنصَارِ النبيِّ بعدَ المُغيَّبِ في سَوَاءِ وسواء السبيل هو: الطريق السَّوي المستقيم، وهو: الصراط المستقيم.

س: في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ...﴾ [البقرة:106] رد على اليهود فما وجه هذا الرد؟

ج: وجه هذا الرد أن اليهود ادَّعوا أنه لا يوجد نسخ لآيات الله ﻷ توصلاً

(1)أعني أن فريقًا من العلماء قال بالقول الأول، وفريقًا قال بالقول الثاني.

بذلك منهم إلى إنكار آيات القرآن حتى يؤكدوا أن الأحكام الواردة في التوراة باقية إلى الأبد لم يتطرق إليها نسخ، فقالوا أثناء ذلك: إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ ثم ينهاهم عنه غدًا، واشتد طعنهم لما تحوَّلت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام ـ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله ـ فكان في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ...﴾ [البقرة:١٠٦] ردٌّ عليهم، ومن أوجه الرد عليهم أيضًا أن التوراة التي بين أيديهم ناسخة لأحكام قد تقدمتها، والله تعالى أعلم.

مبحث في النسخ

س: ما معنى النسخ؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة:١٠٦]؟

ج: النسخ يُطلق على معنيين:

أحدهما: النقل، كنقل كتاب من آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩].

والثاني: الإزالة والإبطال، والإزالة على قسمين:

أولهما: إزالة الشيء وإقامة شيء مقامه(1).

وثانيهما: إزالة الشيء وعدم إقامة شيء مقامه(2).

فالنسخ يكون بنقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه.

۞ **قال الطبري خ في تفسيره:** يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدِّله ونغيره، وذلك أن يُحوَّل الحلال حرامًا والحرام حلالاً والمباح محظورًا والمحظور مباحًا، ولا يكون ذلك إلا في

---

(1) ومنه قولهم نسخت الشمسُ الظلَّ إذا أذهبته وحلَّت محله وكمثال له في الكتاب العزيز قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 240].

* وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: 184] على رأي الجمهور.

(2) قال القرطبي: ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: 52] أي يزيله فلا يُتلى ولا يثبت في المصحف بدله.

الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ.

س: هل يوجد نسخ في الأخبار؟

ج: الجمهور من أهل العلم على أن الأخبار لا يتطرق إليها نسخ، نقله عنهم القرطبي خ فقال: الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي، والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى، وقيل: إن الخبر إذا تضمن حُكمًا شرعيًّا جاز نسخه كقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ [النحل:٦٧].

هذا وقد تقدم قول الطبري $ أن الأخبار لا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ، والله أعلم.

س: اذكر تعريف (الناسخ)؟

ج: قال القرطبي $:... فالذي عليه الحُذَّاق من أهل السنة أنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخيًا.

وقال ابن عطية: وحد الناسخ عند حذاق أهل السنة: الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه.

س: اذكر أشهر أقسام النسخ؟

ج: أشهر أقسام النسخ ثلاثة:

أولها: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وهذا أكثر ما ورد، ومن أمثلته: قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ [البقرة:٢٨٦].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤].

وقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور:٢].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ [النساء:١٦].

وقول الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة:١٨٥].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة:١٨٤] على رأي الجمهور.

الثاني: نسخ التلاوة وبقاء الحكم مثل ما ذكره أمير المؤمنين عمر ﬗ: (كان فيما أنزل. الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ورسوله).

وهذا كان مما يتلى فنسخ وبقي حكمه، والمراد بالشيخ والشيخة (المحصن والمحصنة).

والثالث: نسخ التلاوة والحكم معًا مثل نسخ الرضعات من عشر إلى خمس، ففي «صحيح مسلم» من حديث عائشة ﭫ أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرِّمن ثم نُسخن بخمسٍ معلوماتٍ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن(1).

س: اذكر بعض الأدلة على النسخ؟

ج: من الأدلة على النسخ ما يلي:

۞ قول الله ﻷ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة:١٠٦].

۞ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا

---

(1) أخرجه مسلم (حديث 1452).

وقال النووي ﭬ: (وهن فيما يُقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدًّا حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنًا متلوًّا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى.

يُنَزِّلُ ....﴾ الآية [النحل:١٠١].

۞ قول الله ۵: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ [الرعد:٣٩].

۞ الآيات الواردة في كتاب الله ۵ الدالة على النسخ كتحويل القبلة في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة:١٤٩] ونحوها.

۞ تخفيف الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

۞ فداء إسماعيل ؑ بذبح عظيم.

وثم أدلة أُخر في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

|

س: متى يُصار إلى الحكم بالنسخ؟

ج: يُصار إلى الحكم بالنسخ عند تواجد الآتي:

1- المخالفة: بمعنى أن يكون هناك نص يخالف نصًّا فهذا يأمر مثلاً وهذا ينهى وهذا يبيح وهذا يحظر، وهذا يُحل هذا يُحرِّم.

2- تكافؤ الطرق: وهذا يكون في الأحاديث وليس في الآيات، ومعناه في الأحاديث أن يكون هذا صحيحًا وهذا صحيحًا مثله أما إذا كان هناك صحيح وضعيف فلا يكون من باب الناسخ والمنسوخ بل يُردُّ الضعيف ويعُمل بالصحيح فقط.

3- عدم إمكان الجمع: بمعنى أن الجمع بين الناسخ والمنسوخ يكون متعذرًا.

|

س: ما الطرق التي يُتوصل بها إلى معرفة الناسخ والمنسوخ؟

ج: لمعرفة الناسخ طرق منها:

۞ معرفة التأريخ (أي: معرفة المتقدم من المتأخر).

۞ ورود لفظٍ في السياق يدل على النسخ كقول النبي ﷺ: **«نهيتكم عن**

زيارة القبور فزوروها»(1).

۞ إجماع الأمة على أن آية ما من الآيات أو حديثًا من الأحاديث منسوخ، أو قول جمهور العلماء أو بعضهم إذا كان مُدعومًا بدليل وحجة، والله تعالى أعلم.

س: اذكر مثالاً لنسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف ولمتساوي الوجهين ومثالاً لآية منسوخة وليس هناك تكليف مكانها ؟

ج: أما مثال نسخ الأخف بالأثقل: فمنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] نسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] ولا شك أن الإلزام بالصوم أثقل من التخيير بين الصوم والإطعام.

۞ أما نسخ الأثقل بالأخف: فمنه قوله تعالى ﴿..وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] نسخ بقوله تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ..﴾ [البقرة:٢٨٦]

۞ ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال:٦٥] نسخت مصابرة العشرين للمائتين بقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال:٦٦] فأصبح الرجل ينازل الرجلين بدلاً من منازلته للعشرة.

۞ أما النسخ الذي تتساوى فيه الوجهتان: فمنه نسخ التوجه لبيت المقدس بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٩]، والله تعالى أعلم.

۞ أما الآية المنسوخة ولم يقم مكانها تكليف: فهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ..﴾ [المجادلة:١٢] نسخت بقوله

---

(1) أخرجه مسلم (حديث 977)، وأبو داود (حديث 3235)، والنسائي (4 / 89)، والترمذي (حديث 1054)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، كلهم من حديث بريدة ﷺ مرفوعًا.

تعـــــالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ..﴾ [المجادلة:13]، والله أعلم.

س: هل يُنسخ القرآن بالسنةِ والسنةُ بالقرآن؟ اذكر أمثلة لذلك؟

ج: نعم يجوز أن ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فالسنة وحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:3، 4].

۞ أما المثالُ لنسخ السنة بالقرآن: فهو قولـه تعـالى: ﴿..فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:10] وكانت الاتفاقية بين رسول الله ﷺ والمشركين تقتضي أنه إذا جاء أحدٌ(1) من المشركين مُسلمًا رده رسول الله ﷺ إلى المشركين فالنساء كن داخلات في هذا الاتفاق لكن نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾[الممتحنة:10].

۞ ومثال لنسخ القرآن بالسنة على ما مثَّل به بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ: **«خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، الثيب بالثيب جلد مائة والرجم، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»** نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّٰتِى يَأْتِينَ الْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:15].

وكذلك حديث: **«لا وصية لوارث»** عند من صححه، ناسخ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ..﴾ [البقرة:180]، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:106]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ فيه لأهل العلم قولان:

(1) القصة أخرجها البخاري بطولها في كتاب «الشروط» (حديث 2731، 2732) وفيها: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا... الحديث.

القول الأول: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] من النسيان الذي هو بمعنى الترك فيكون المعنى: ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نأت بخير منها أو مثلها.

۞ وقدر بعض العلماء هنا مقدَّرًا وهو (حُكْمُ) فالمعنى ما ننسخ من حكم آية أو نترك حكمها نأت بخير منها أو مثلها.

۞ ويَرِدْ على هذا إيرادٌ وهو كيف تكون الآية باقية (أي: متروكة لم تنسخ) ويُقال نأت بخير منها أو مثلها؟ وللإجابة على ذلك وجوه:

أولها: أن المراد بـ(ننسها) نثبت لفظها ونترك حكمها.

ثانيها: أن المراد بالآية: الآية من آيات التوراة فالمعنى ما ننسخ من آية من آيات التوراة نأت بخير منها أو مثلها، وما نُنسي من آية من آيات التوراة نأت بآية في القرآن مثلها أو خير منها. لكن هذا القول لم يقل به هنا إلا قلة قليلة من أهل العلم.

(أعني القول بأن المراد بالآية آية التوراة).

القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] أي: نرفع لفظها فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء، (وهو من النسيان المعهود لدى الناس) ومثال ذلك ما صح عن أنس بن مالك ﵁ من وجوه أن الذين قتلوا ببئر معونة أنزل الله ﷻ فيهم قرآنًا يُتلى (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نُسخ ذلك بعد.

۞ ومثال ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم (0501) من حديث أبي الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطُّول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)،

وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات(1) فأنسيتها غير أني حفظت منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٢] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

س: ما وجه الخيرية في الآيات الناسخة مع أن بعضها قد يكون أشق في العمل به من الآيات المنسوخة؟

ج: وجه الخيرية في الآيات الناخسة من عدة نواحي:

الناحية الأولى: أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان واضعة للآصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلنا.

الناحية الثانية: أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس.

الناحية الثالثة: أن الآيات الناسخة، وإن كانت في بعض الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة إلا أن ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة.

فعلى هذا تكون الخيرية في الآيات الناسخة عاجلاً وآجلاً.

عاجلاً في كون بعضها سهلاً يسيرًا يُخفف الله ۵ به الأحكام.

وآجلاً في كون ثواب العمل بها أعظم، والله تعالى أعلم.

س: ما وجه ختام قوله ۵: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ..﴾ بقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦]؟

ج: وجه ذلك بيان قدرة الله ۵ ونفي العجز عنه، فالله ۵ قادر على أن يأتي بالآية المحكمة قبل الآية المنسوخة، ولكن يؤخر هذه ويُبدل هذه بتلك وهو عالم بالأول والآخر ويعلم ما يُصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر

---

(1) أي السور التي تُفتتح بسبحان وسبح ونحوهما.

ويعلم أن الأليق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا(1)، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

س: قد يأتي الخطاب موجهًا إلى شخص ويُراد به غيره أيضًا، دلِّل على هذا؟

ج: أما الدليل على هذا ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٠٧] فالخطاب صُدر لرسول الله ﷺ، وأُريد به غيره أيضًا بدليل قوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٠٧] .

۞ وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:١، ٢] فُصدِّر الخطاب بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب:١] وختم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٢] فدخل فيه غير النبي ﷺ أيضًا، والله تعالى أعلم.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٠٧]؟

ج: قال الطبري $ في تأويل هذه الآية: ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما ما أشاء، وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء، وأنهى عما أشاء، وأنسخ وأبدِّل وأُغير من

---

(1) ألا ترى إلى الطبيب يذهب إليه المريض اليوم فيقول له الطبيب لاتأكل اللحم ولا السمك ولا تشرب اللبن،وبعد يوم يأتيه المريض فيقول له كل اللحم واشرب اللبن ولا تأكل السمك وبعد ذلك يُرخص له في الأكل من كل ذلك، والمريض يُسلِّم ولا يعترض أدنى اعتراض، وخاصة إذا كان يعلم أن الطبيب ماهرٌ حاذق ثقة، فيفعل ما به يؤمر دون أي تردد، بل وبنفس هادئة مطمئنة مستريحة لما يُقال له!!!.

أحكامي التي أحكم بها في عبادي ما أشاء إذا أشاء، وأُقِرُّ منهما ما أشاء.

وهذا الخبر وإن كان من الله ٥ خطابًا لنبيه محمد ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وأنكروا محمدًا ﷺ لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة، فأخبرهم الله أن له مُلك السموات والأرض وسلطانهما فإن الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بما شاء ونهيهم عما شاء، ونسخ ما شاء وإقرار ما شاء وإنساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه، ثم قال لنبيه ﷺ وللمؤمنين معه: انقادوا لأمري وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامي وحدودي وفرائضي ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم في أمري ونهيي وناسخي ومنسوخي فإنه لا قيم بأمركم سواي ولا ناصر لكم غيري، وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم، والمتوحِّد بنصرتكم بعزِّي وسلطاني وقوتي على من ناوأكم وحادَّكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أُعلي حجتكم وأجعلها عليهم لكم.

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ..﴾ [البقرة:١٠٨]؟

ج: لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال:

أولها: أنهم المؤمنون.

والثاني: أنهم مشركو مكة.

والثالث: أنهم اليهود.

وأورد الرازي خ حجج كل فريق نقلاً عن غيره من العلماء.

فمن حجج القائلين بأنهم المؤمنون(1) ما يلي:

---

(1) **قال الحافظ ابن كثير خ:** نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ

الأول: أنه قال في آخر الآية: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [البقرة:١٠٨] وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين.

الثاني: أن قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ [البقرة:١٠٨] يقتضي معطوفًا عليه وهو قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة:١٠٤].

فكأنه قال: وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟

الثالث: أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث

يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: 101] أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها نبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يُحرَّم من أجل تلك المسألة، ولهذا جاء في الصحيح: «**إن أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرِّم من أجل مسألته**»(*) ولما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد امرأته مع رجل فإن تكلم تكلَّم بأمر عظيم وإن سكت سكت عن مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها(**)، ثم أنزل الله حكم الملاعنة ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال(***) وفي صحيح مسلم: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**» وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجلٌ: أكُلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثًا ثم قال عليه السلام: «لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم...**»(****) الحديث، ولهذا قال أنس بن مالك ﭬ: نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع.

(*) أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم(٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص ﭬ أن النبي ﷺ قال: « إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرم من أجل مسألته».

(**) انظر البخاري (مع الفتح 844/8)،ومسلم (417/3)،وأبو داود (5422) ، والنسائي (341/6)،وابن ماجه (6602).

(***) أخرجه البخاري (حديث 2927) ،ومسلم(حديث395 ص1431).

(****) أخرجه مسلم (حديث7331) من حديث أبي هريرة ﭬ قال : « خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : «**لوقلت نعم لوجبتولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**».

عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى ؒ ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه.

الرابع: سأل قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط.

قلت: ومن حجج القول الثاني: قول الله ع: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣].

۞ وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان:٢١].

۞ وقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا(1).

أما القول الثالث: فذكر الرازي أنه أصح وهو أن المراد اليهود، قال: لأن هذه السورة من أول قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [البقرة:٤٠] حكاية عنهم ومحاجة معهم، ولأن الآية مدنية، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولأن المؤمن بالرسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدلاً كفرًا بالإيمان.

قلت: والذي يبدو لي أن القول الأول هو أرجح الأقوال، وإن قال قائل بالعموم (أي أن المؤمنين والمشركين واليهود كلهم سألوا) (2) فله وجه قوي

---

(1) صحيح: أخرجه أحمد (1 / 242- 852) من حديث ابن عباس ڤ قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ..﴾ [الإسراء: 59].

(2) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (أم) إنها بمعنى بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو إنكاري، وهو يعمُّ المؤمنين والكافرين، فإنه عليه السلام رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: 153].

والله تعالى أعلم.

|

س: ما المراد بالسؤال في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ..﴾ [البقرة:١٠٨]؟

ج: المراد سؤال الآيات أي: طلب حدوث المعجزات، والله تعالى أعلم.

|

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾؟

ج: قال الراغب ـ كما نقله عنه القاسمي في «محاسن التأويل» ـ: معناه لا تسألوا رسولكم كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان فمبدأ ذلك الضلال عن سواء السبيل.

۞ **وقال الزمخشري في «كشافه»:** قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ **[البقرة:١٠٨]** ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل.

|

(165) أحمر
أسود

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ
إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ
يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
١٠٩ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا
تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ
ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠

الكلمة	معناها
﴿ وَدَّ ﴾	أحبَّ وتمنى

س: ما الحق الذي تبين لهم وعناه الله ٥ بقوله: ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة:١٠٩]؟

ج: هذا الحق هو ماظهر لهم من معرفتهم أن محمدًا هو رسول الله ﷺ حقًّا وأن دينه هو دين الحق(1).

|

س: ما المراد بالعفو والصفح في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ..﴾ [البقرة:١٠٩] وما الفرق بين العفو والصفح؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ ترك المؤاخذة واللوم.

أما الفرق بين العفو والصفح: فالعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح هو إزالة أثره من النفس.

|

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ..﴾[البقرة:١٠٩]؟

ج: من هذه الآيات قول الله ع: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤] وقوله تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦]

فهذه الآيات وما على شاكلتها كانت تحث المؤمنين على العفو والصفح إذا لقوا أذًى من عدوهم.

|

---

(1) أخرج الطبري (1790) بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: 109] قال: من بعد ما تبين لهم أن محمدًا رسول الله ﷺ والإسلام دين الله.

مبحث في الحسد

س: ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ في قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن هذا الحسد من اليهود إنما هو من تلقاء أنفسهم فلم يأمرهم الله ۵ أن يحسدوا الناس على الإيمان، بل هم عصاة في هذا الحسد الذي يحسدونه للناس.

س: هل الحسد يكون من عند النفس وغير النفس حتى يقال: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]؟

ج: الحسد يكون من النفس، ولفظة الحسد تُعطي هذا المعنى ولكن قيل: (من عند أنفسهم) تأكيدًا وإلزامًا وإلصاقًا للتهمة بهم كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران:١٦٧] وكما قال سبحانه: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٧٩] وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨].

س: قوله تعالى: ﴿حَسَدًا﴾[البقرة:١٠٩] مصدرٌ من ماذا؟

ج: هي مصدرٌ من المعنى الموجود في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة:١٠٩].

قاله الطبري خ: لأن في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾[البقرة:١٠٩] معنى: حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله وخصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم رءوفًا بكم رحيمًا، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعًا، فكان قوله: ﴿حَسَدًا﴾[البقرة:١٠٩] مصدرًا من ذلك المعنى.

قلت: فالمعنى حسدكم كثير من أهل الكتاب حسدًا.

س: ما المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٠٩]؟

ج: الأمر هو الإذن بالقتال، ويؤيده ما في «الصحيحين» من حديث أسامة بن زيد ﭬ، وفيه.. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم (1).

وقال بعض أهل العلم: إن الأمر هنا هو قتل من قُتل، وإجلاء من أُجلي، وضرب الجزية على من ضُربت عليه.

وليس بين القولين تعارض إنما الثاني أكثر تفصيلاً من الأول، والله أعلم.

س: ما مستند القائلين بأن قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: ١٠٩] منسوخ وبماذا نسخ على قول من قال إنه منسوخ؟

ج: هو منسوخ عندهم بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ (2) [التوبة: ٢٩] وقال آخرون إنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] أما مستند القائلين بالنسخ فمنه ما أخرجه البخاري (3) ومسلم من حديث أسامة بن زيد ﭬ:

أن رسولَ الله ﷺ ركبَ على حمارٍ على قَطيفةٍ فَدَكية، وأردَفَ أسامةَ ابن زيد وراءه، يعودُ سعدَ بن عُبادة في بني الحارثِ بن الخزرج قبلَ وَقعةِ بدر، قال: حتى مرَّ بمجلس فيه عبدُالله بن أبيّ بن سَلول، وذلك قبلَ أن يُسلمَ عبدُ الله بنُ أبيّ، فإذا في المجلس أخلاطٌ منَ المسلمين والمشركين عَبَدةِ الأوثانِ واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبدُ الله بن رَواحة، فلما غَشِيَتِ المجلسَ عَجاجةُ الدابة

---

(1) وسيأتي تخريجه.
(2) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (1797): ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: 109] فأتى الله بأمره فقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ حتى بلغ ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ أي صغارًا ونقمة لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾.
(3) أخرجه البخاري (حديث 4566)، ومسلم (حديث 1798).

خمَّرَ عبد الله بن أبيٍّ أنفَهُ بردائه ثم قال: لا تُغيّروا علينا، فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزلَ، فدَعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدُ الله بن أبيٍّ بن سلول: أيُّها المرءُ، إنه لا أحسنَ مما تقولُ إن كان حقًّا فلا تُؤذِينا به في مَجلسنا، ارجعْ إلى رحْلِكَ فمن جاءك فاقصُصْ عليه. فقال عبدُ الله بن رَواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحبُّ ذلك. فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهودُ حتى كادوا يتثاورون، فلم يَزَل النبيُّ ﷺ يُخَفِّضُهم حتى سَكنوا. ثمَّ ركِبَ النبيُّ ﷺ دابتهَ فسارَ حتى دخل على سعد بن عُبادة، فقال له النبي ﷺ: **«يا سعدُ ألم تَسمعْ ما قال أبو حُباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا»**. قال سعدُ بن عُبادة: يا رسولَ الله اعف عنه واصفَحْ عنه، فوالذي أنزلَ عليك الكتابَ، لقد جاء الله بالحقِّ الذي أنزلَ عليك ولقد اصطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوّجِوه فيعصِّبونهُ بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحقّ الذي أعطاكَ الله شرِقَ بذلك، فذلك، فعلَ به ما رأيت. فعفا عنه رسولُ الله ﷺ. وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرَهُم الله، ويَصطبرون على الأذى، قال

الله ٥: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ..﴾ الآية [آل عمران:١٨٦] وقال الله: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة:١٠٩] إلى آخر الآية. وكان النبي ﷺ يتأوَّلُ العفوَ ما أمرَهُ الله به، حتى أذِنَ الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتلَ الله به صَناديدَ كفَّار قريش قال ابن أبيِّ بن سَلول ومَن معهُ منَ المشركينَ وعبَدةِ الأوثانِ: هذا أمر قد تَوَجَّه، فبايَعوا الرسول ﷺ على الإسلام، فأسلموا.

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد؟

ج: ها هي بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد:

۞ **قال صاحب «اللسان»:** الحَسَدُ معروف حَسَدَه يَحْسِدُهُ ويحسدُهُ وحسَّده إذا تمنى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلتُهُ أو يُسلبهما هو قال:

وَتَرى اللبيب مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ   شَتْمَ الرِّجال وعِرْضُهُ مشتُومُ

الجوهري: الحسدُ أن تتمنى زوالَ نعمةِ المحسود إليك يُقال حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حَسُودًا.

قال الأخفش: وبعضهم يقول يَحْسِدُهُ بالكسر والمصدر حَسَدًا بالتحريك وحَسادةً وتحاسد القوم، ورَجُلٌ حاسِدٌ من قَوْمٍ حُسد وحُسَّاد وحَسَدةٍ مثل حَامل وحَمَلَةَ وحسُودٌ من قومٍ حُسُدٍ والأنثى بغير هاء وهم يتحاسدون.

۞ **قال الحافظ ابن حجر $ (فتح الباري 661/1):**

الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم.

۞ **قال النووي $ (شرح مسلم464/2):** قال العلماء: الحسد قسمان حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.

وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإذا كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة.

۞ **وقال القرطبي $ (التفسير 17/3):** الحسد نوعان محمود ومذموم، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء:٥٤] وإنما كان مذمومًا؛ لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق.

۞ **وقال الرازي في «التفسير الكبير» (832/3):** إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو

الغبطة والمنافسة، أما الأول فحرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجرٌ أو كافر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها يُتوسل بها إلى الفساد والشر والأذى.

س: ما مراتب الحسد التي ذكرها العلماء؟

ج: ذكر أهل العلم للحسد مراتب وهي:

المرتبة الأولى: أن يحب الشخص زوال النعمة عن غيره وإن كانت تلك النعمة لن تتحول إليه، فقصد الحاسد الأكبر وهمه الأعظم أن تزول النعمة عن المحسود وتتحول عنه، وهذا أكبر أنواع الحسد وأعلى مراتبه وأشده ذمًّا، وخاصة إذا صحب هذا الحب والتمني عملٌ من أجله قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء:32].

المرتبة الثانية: أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره وتحولها إليه كأن يكون لشخصٍ امرأةٌ جميلة فيتمنى الحاسد أن يموت الشخص أو يطلقها حتى يتزوجها هو، أو يكون لرجلٍ مركز قوي أو سلطان نافذ ويتمنى الحاسد أن يزول هذا المركز وذلك السلطان عن الرجل ويتحول إليه وهذا، وإن كان محرمًا، إلا أنه أخف من النوع الأول.

المرتبة الثالثة: تمني عدم استصحاب النعمة فيتمنى الحاسد أن يبقى المحسود على حاله من الفقر والجهل والضعف وشتات القلب، فهذا حسد على شيء مقدر فاعله ممقوت عند الله مستحقر عند الناس.

المرتبة الرابعة: ألا يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره، ولكن يتمنى لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها سكن واستراح، فإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه والجزء الأول من هذه الرابعة غير مذموم، والثاني وهو تمني زوال النعمة عن المحسود.. مذموم.

المرتبة الخامسة: أن يتمنى الشخص لنفسه مثل ما للآخر من النعم فإن لم تحدث له تلك النعم لم يتمن زوالها عن الآخر، ويدخل في هذه المرتبة ما يسميه

أهل العلم الغبطة ولا بأس بها فهي قريبة من المنافسة وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] وقال ♥: «لا حسد إلا في اثنتين..»(1) الحديث فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كِبَر نفسه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سَباقِيهم وعلْيتهم ومُصلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه.

۞ قال ابن القيم $:

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجهٍ ما لا بقلبه ولا بلسانه ولابيده بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله

وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك لإخوة يوسف!

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر بها بل يعصيها طاعة لله وخوفًا وحياءً منه وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفةً لله وبغضًا لما يحب الله، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمني الزوال.

وللحسد ثلاث مراتب:

إحداها: هذه.

والثانية: تمني استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب فهذا حسد على شيء مقدر،

(1)أخرجه البخاري حديث (5205)، ومسلم حديث (815) من حديث ابن عمر ﭭ مرفوعًا.

والأول حسد على شيء محقق، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبدًا ولا يواسى فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدًا إلا قهرًا يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

والحسد الثالث: حسد الغبطة وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] وفي «الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً وسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس»** فهذا حسد غبطة، الحامل لصاحبه عليه كِبَر نَفْسِهِ وحب خصال الخير، والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سباقيهم وعِليتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجهٍ ما.

س: اذكر بعض أسباب الحسد؟

ج: ذكر العلماء للحسد جملة أسباب منها(1):

1- العداوة والبغضاء: وهذه قد تكون كامنة في الصدر بسبب وبدون سبب دنيوي ظاهر، فقد تنشأ العداوة والبغضاء في قلب شخص لآخر من جراء ظلمه له ومكره به وخديعته إياه وغدره معه فتقذف العداوة والبغضاء في قلبه لهذا الذي ظلمه ويتمنى له من قلبه أن يحل به البلاء وتنزل عليه الكربات وتزول عنه النعم لما قدمه إليه من إساءة وبغي وعدوان.

وتنشأ هذه العداوة أيضًا بسبب اختلاف الدين فالكفار كما تقدم، وكذلك

---

(1) ومردها في الغالب إلى ضعف الإيمان بالله ٥.

المنافقون يودون من قلوبهم ـ لما جُبلت عليه قلوبهم من الشر والبغي والكفر والعدوان ـ أن تزول النعم عن المؤمنين وأن تنزل بهم البليات ويتضايقون غاية الضيق ويتبرمون غاية التبرم إذا نزلت بالمسلمين نعمة من ربهم ٥ كما قال الله :

﴿..وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ﴾ [آل عمران:١١٨].

2- حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح(1):

فإذا كان الرجل من دأبه حب الرياسة ونيل الجاه، وشعر أن غيره ينازعه في هذه الرياسة وهذا الجاه فإنه يحب لهذا المنازع أن يبتلى وأن يفتضح وأن تسوء سمعته في الناس حتى لا يصل إلى مرتبته بل ولا يقاربه فيها إلا من رحم الله. فلو سمع محب الرياسة والريادة في أي فن من الفنون أن له نظيرًا في العالم في هذا الباب وهذا الفن فيتمنى لهذا النظير الموت وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كالشجاعة والعلم والزهد والملك والثروة والجاه، وذلك كله حتى ينفرد هو بالرياسة والريادة والجاه، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

3- الشح بالخير على العباد:

---

(1) والقصد الشرعي الصحيح مثل قول يوسف ﷺ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55] فإنما طلبها يوسف عليه السلام ليتسنى له العدل بين الناس في موطن شدة وقحط والناس فيه أحوج ما يكونون إلى ذلك العدل.

فهناك أقوام جُبلوا على الشح وكراهية الخير للناس، فإذا سمعوا بمنعَمٍ عليه في صحة أو في عقل أو في دين أو في مال أو في ولدٍ أو في زوجة أو في جاه و.. جُن جنونهم وطار فؤادهم ونحل جسمهم بلا سبب إلا هذا السبب القاتل الذي جبلوا عليه من الشح بالخير على العباد، فتكاد صدورهم تتميز من الغيظ إذا سمعوا أن رجلاً ربح مالاً أو رزق ولدًا أو تزوج بحسناء أو رزق إيمانًا وحكمة ومن هذا الباب قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥].

قال الرازي في التفسير(1)**:** فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق ذلك عليه وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته، ويقال: البخيل من بخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع؛ لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته.

4ـ ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه:

فالحاسد قد لا يكون به ابتداءً حسدٌ ويبدأ الحسد في التولد إذا شعر الحاسد أن غيره سيكثر ماله وترتفع منزلته فيتكبر عليه ويتعزز عليه فيخشى من التكبر المتوقع والتعزز المرتقب فيريد ألا تنزل بصاحبه نعمة زائدة عليه حتى يبقيا في منزلة واحدة دفعًا لكبره ولتعززه ولتعاليه عليه.

۞ وقد قال الملأ الذين كفروا من قوم نوح: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

(1) لا أعني في تفسير الآية المتقدمة، وإنما في تفسيره (3 / 241).

عَلَيْكُمْ..﴾ [المؤمنون:24].

5- خوف المزاحمة وفوت المقاصد:

وهو يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كالضرائر مثلاً، كل ضرة منهما تريد الانفراد بالزوج ونيل حبه والاحتفاظ بسره والقرب من قلبه فمن ثم تحسد الأخرى وتتمنى زوال النعم عنها وتريد لها الزلل والخطأ.

وكذلك الإخوة يتزاحمون (إلا من رحم الله) للوصول إلى قلب الأب (وخاصة إن كان من ذوي التركات والأموال) كي يؤثر بعضهم على بعض ويفضل أحدًا على الآخر، ذلك إذا كان غرضهم نيل الدنيا والمال.

6- حب تسخير البشر للنفس:

فإذا كان الرجل ثريًّا من الأثرياء أو كبيرًا من الكبراء يرى الناس كل يوم وقوفًا ببابه يسخرهم كيفما شاء ويوجههم حيثما يريد رضي بذلك وقنع، وإذا رأى بادرة خير حلت بأحدهم وأوتي مالاً أو جاهًا وعلى إثره سيخرج من حيز تسخيره ويشق طريقه في حياته مستغنيًا عنه، كره ذلك له وتمنى بقاءه أبد الدهر مسخرًا له مذللاً معه لا يقوم له قدر ولا يرتفع له شأن ولا يتحصل له مال حتى يبقى مسخرًا له خاضعًا لسلطانه مطيعًا لأوامره.

۞ ومن هذا الباب ما أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﭬ قال: فيَّ نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:52] قال: نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا: تدني هؤلاء، وفي رواية كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله ۵: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:52].

۞ ومن هذا قول قوم نوح لنوح ؛: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:111] ومن هذا قول المشركين لمتبعي رسول الله ﷺ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [الأنعام:53]

بل وقولهم في حسدهم رسول الله: ﴿..لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:31] كأنهم يقولون كيف نقدم علينا غلامًا يتيمًا ونخضع له ونسمع ونطيع ونطأطئ له رءوسنا؟!

س: اذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله ٥؟

ج: ورد ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله ٥ في أربعة مواطن:

الأول: قول الله ع: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:109].

الثاني: قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ..﴾ [النساء:54].

الثالث: قوله ٥: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:15].

الرابع: قول الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:5].

س: اذكر بعض الآيات التي ورد فيها الحسد تلميحًا ؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

- قول الله ٥: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف:8، 9].
- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:31].
- وقوله سبحانه: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ﴾ [النساء:89].

۞ وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ﴾ [البقرة:٢٤٧].

۞ وقال جل ذكره: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران:٦٩].

۞ وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ ﴾ [آل عمران:١٩].

۞ وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ ..﴾ [الشورى:١٤].

۞ وقوله سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ ..﴾ [آل عمران:١٢٠].

۞ وقوله سبحانه: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٩].

۞ وقال ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٢٧-٣٠].

۞ وقوله جل ذكره: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١].

۞ وقال الله سبحانه:﴿فَقَالُوٓاْ (1) أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾. [المؤمنون:٤٧]

س: هل لإيراد قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة:١١٠] عقب قوله ﷻ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ [البقرة:١٠٩] وجه اتصال وربط بين الآيتين؟

ج: ذكر العلماء للربط بين الآيتين وجوهًا منها:

(1) أي قوم فرعون، يقولون ذلك لموسى وهارون.

الأول: أن المسلمين في الظرف الذي لا يكون مواتيًا للجهاد عليهم أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وفعل الخيرات إبقاءً على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد.

الثاني: قال الطبري خ: وإنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ليطهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركُون من كان ركن منهم إليهم وجفاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله ﷺ بقوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] إذ كانت إقامة الصلوات كفارة للذنوب وإيتاء الزكاة تطهيرًا للنفوس والأبدان من أدناس الآثام، وفي تقديم الخيرات إدراك الفوز برضوان الله.

الثالث: قال الزجاج في «تفسيره»: ثم نبّه الله سبحانه إلى بعض وسائل النصر الذي وُعدوا به وهو أداء الصلاة.

الرابع: هو أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠] الحث على الإقبال على ما ينفع من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات وعدم الالتفات إلى حسد الحاسدين فكيدهم في تباب وأمرهم في وبال وسعيهم في خسار، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالخير في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] وهل في الآية الكريمة شيء مضمر؟

ج: الخير هنا يُراد به العمل الذي يرضاه الله ۵.

وقد يأتي الخير على غير هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] فالخير هنا (المال) على قول الكثير من أهل العلم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ..﴾ [البقرة: ٢١٥].

۞ أما هل في الآية الكريمة مضمرٌ أم لا؟ فأشار فريق من أهل العلم إلى

أن فيها مضمرًا وهو الثواب فيكون المعنى: وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله.

قال الطبري $: و(الخير) هو العمل الذي يرضاه الله، وإنما قال: ﴿تَجِدُوهُ﴾ [البقرة:] والمعنى تجدوا ثوابه، ثم قال: لاستغناء سامعي ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عُمر بن لجأ:

وسبَّحت المدينةُ لا تَلُمْهَا رَأَتْ قمرًا بسُوقِهِم نَهَارًا

وإنما أراد: وسبَّح أهل المدينة.

وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا
أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ
وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢

الكلمة	معناها
﴿ وَدَّ ﴾	أحبَّ وتمنى.
﴿هُودًا﴾	جمع هائد، والهائد هو: التائب الراجع إلى الحق(1)، قاله الطبري.
﴿أَمَانِيُّهُمۡ﴾	جمع أمنية؛ وهي: ما يتمناه الشخص.
﴿بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾	حجتكم ـ بينتكم(2).
﴿أَسۡلَمَ﴾	استسلم وخضع.
﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾	انقاد لأمر الله ـ أسلم النفس لطاعة الله ـ أخلص لله.

(1) وليس مراد اليهود بقولهم لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا أي من كان تابعًا راجعًا إلى الحق وإنما مرادهم من كان على شريعتهم وشاكلتهم، والله أعلم.

(2) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ هاتوا بينتكم (الطبري بإسناد حسن 1804).

س: اذكر بعض الادعاءات الكاذبة التي يدعيها اليهود والنصارى؟

ج: من هذه الادعاءات ما يلي:

۞ دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه:

قال الله ع: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة:١٨].

۞ دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات:

قال الله ع: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [البقرة:٨٠].

وقال سبحانه: ﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٤].

۞ دعوى اليهود أن المهتدي هو اليهودي وقول النصارى إن المهتدي هو النصراني:

قال الله ع: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

۞ دعوى اليهود أن الجنة لن يدخلها إلا اليهودي، ودعوى النصارى أن الجنة لن يدخلها إلا النصراني:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:١١١-١١٢].

|

س: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة:١١١]، إجمالٌ، فصِّل هذا الإجمال؟

ج: تفصيله أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا وليس المعنى أن اليهود قالوا: لن

يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا وليس المعنى أيضًا أن النصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ذلك لأن كل فرقة منهما تضلل الأخرى كما قال : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ...﴾ [البقرة:١١٣]، والله تعالى أعلم.

|

س: لماذا عُبِّر بالوجه دون سائر الجوارح في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [البقرة:١١٢]؟

ج: للعلماء على ذلك أجوبة ثلاثة:

أولها: أن الوجه خصَّ بالذكر لكونه أكرم أعضاء ابن آدم وأشرفها وهو أعظمها حُرمة عليه وحقًّا فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له.

الثاني: أن الوجه قد يُكنى به عن الذات كما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى:﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص:٨٨]،وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل:١٩، ٢٠].

الثالث: أن أعظم العبادات هي السجدة وإنما تحصل بالوجه فلا جرم خصَّ الوجه بالذكر، ولهذا قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا

|

س: انتظمت الآية الكريمة: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [البقرة:١١٢] شرطين لثبوت الأجر على العمل ما هما هذان الشرطان؟

ج: أما الشرط الأول فهو إخلاص العمل لله ، وهذا مأخوذ من قوله ۵: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١١٢].

۞ والشرط الثاني اتباع الرسول ﷺ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

مُحۡسِنٞ﴾ [البقرة:١١٢] أي: متبع فيه للرسول ﷺ، وهذا المعنى موجود في آيات أُخر كقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] فلابد أن يكون العمل خالصًا صوابًا، خالصًا لله، صوابًا في كونه موافقًا لسنة رسول الله ﷺ، فإذا اختل شرط من الشرطين وانتقص فالعمل مردود.

۞ قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**(1).

۞ وقال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا...﴾ [النور:٣٩].

۞ وقال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]

۞ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي توضح بطلان العمل وذهاب ثوابه إذا لم يكن خالصًا لله صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ.

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 2697)، ومسلم (1718) من حديث عائشة ﭫ مرفوعًا، وفي لفظ مسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ
ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ
ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ
يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ
١١٣ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ
فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ
أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ
وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ١١٥

الكلمة	معناها
﴿خِزۡيٞ﴾	الذل والصغار.
﴿فَأَيۡنَمَا﴾	حيثما.
﴿تُوَلُّواْ﴾	تتجهوا وتقبلوا ، وهي من الأضداد لكن معناها هنا ما ذكرناه.
﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾	هنالك قبلة(1) الله - فثم الله تبارك وتعالى- فثمَّ تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم.

(1) ولا تعلق لهذا بنفي صفة الوجه لله تعالى، فصفة الوجه ثابتة من نصوص أُخر، وقد روي هذا التفسير بأسانيد تصح عن مجاهد عند الطبري.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣]؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن اليهود كفَّروا النصارى وقالوا: إنهم ليسوا على شيء مع أن اليهود يتلون التوراة وفيها الأمر بالتصديق بعيسى ﷺ.

وكذلك النصارى كفَّروا اليهود وقالوا: إنهم ليسوا على شيء مع كون النصارى يقرءون الإنجيل وفيه الأمر بالتصديق بموسى ﷺ.

وجاء مشركو العرب ـ وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(1) [البقرة: ١١٣] فقالوا مثل مقالة اليهود والنصارى فقالوا: إن محمدًا ﷺ ومن معه ليسوا على شيء، فالله يفصل بين هؤلاء جميعًا ويحكم فيهم ويقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧]، وكما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾(2) [سبأ:٢٦].

---

(1) هذا على رأي الجمهور، فذهب الجمهور إلى أن المعنيين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم مشركو العرب، بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المعنيين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم قوم قبل اليهود والنصارى، قالوا مثل ذلك فيمن خالفهم، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم: إنهم ليسوا على شيء.

(2) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: وأما تأويل الآية فإنه قالت اليهود: ليست النصارى في دينها على صواب، وقالت النصارى: ليست اليهود في دينها على صواب، وإنما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين إعلامًا منه لهم بتضييع كل فريق منهم حُكم الكتاب الذي يُظهر الإقرار بصحته وأنه من عندالله، وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيَّته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض.

=

س: في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ...﴾ [البقرة:١١٣] توبيخ لليهود والنصارى، ومن طرف خفي توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ، وضح ذلك ؟

ج: وجه هذا التوبيخ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: أنهم تعمدوا الكذب والافتراء كل فريق على الآخر مع كونهم يعلمون بكذب ما ذهبوا إليه، فالوقوع في الدعاوى الباطلة والتكلم بما ليس عليه برهان، وإن كان قبيحًا على الإطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة للكتب أشد قبحًا وأفظع جرمًا وأعظم ذنبًا.

۞ وفي هذا أيضًا توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ مع اتفاقهم على تلاوة القرآن(1) ، قال القاسمي في «محاسن التأويل»: فها هنا تسكب العبرات بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا بسنة ولا قرآن ولا ببيان من الله ولا برهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين تمكن الشيطان من تفريق كلمة المسلمين.

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ... ومنهج الحق له واضح

مع أن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف، فقال تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ [آل عمران:١٠٣] وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٥٩]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟

= ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: 113] مع تلاوة كل واحدٍ من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك، فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علمٍ منهم أنهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون.

(1) ويرد في ذم من كذب على علم وضلَّ بعد بيان، قوله تعالى: { وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾} [الأعراف: 175 - 176] وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢاۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: 5].

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقد امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ وعما مضت عليه جماعة المسلمين.

|

س: ما معنى الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة:١١٣]؟

ج: الواو هي واو الحال، والمعنى: أن كل فرقة قالت في الأخرى التي قالت مع كونها تتلو الكتاب، والكتاب يُكذبها فيما قالت من شأن الكفر بالأنبياء ﻓ.

|

س: من المعلوم أن اليهود على ضلال وكذلك النصارى وكلاهما ليس على شيء وقد قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» فلماذا عتب الله على اليهود لما قالوا: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣] وعلى النصارى لما قالوا: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]؟

ج: وجه هذا العتاب لكون كل فريق أنكر على الآخر شيئًا ثابتًا في دينه وثابتًا في الحقيقة ألا وهو نبوة موسى ونبوة عيسى ﺛ ، فلما أنكر اليهود على النصارى إيمانهم بعيسى (على الوجه الصحيح من أنه عبد الله ورسوله) وأنكر النصارى على اليهود إيمانهم بموسى ﻍ(1) عتب الله ﻪ على الفريقين مقالتهما، وقد روى الطبري(2) وابن أبي حاتم بأسانيدهما عن قتادة قال: قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣] قال: بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرَّقوا، وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ

---

(1) قال الطبري رحمه الله: ومعنى ذلك: وقالت اليهود ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها.

(2) أخرجه الطبري (1813) بإسناد حسن، وابن أبي حاتم (التفسير 1111).

ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [البقرة:113] ولكن القوم ابتدعوا وتفرَّقوا.

|

س: كيف قيل في اليهود والنصارى أنهم ليسوا على شيء مع كونهم يقرون بالخالق ▌ وببعض أسمائه وصفاته؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أنهم ليسوا على شيء يُعتد به في أمر التصديق بالأنبياء و فما داموا كفروا بأحدهم فقد كفروا بجميعهم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء:150، 151] ويُقال أيضًا: إن الكفر الذي أتوا به أحبط عملهم الذي عملوه وأذهب ثواب الخير القليل الذي اعتقدوه، والله أعلم.

|

س: ما معنى القيامة؟ ولماذا أطلق على يوم القيامة يوم القيامة؟

ج: قال الطبري خ: وأما القيامة فهي مصدرٌ من قول القائل: قمت قيامًا وقيامةً كما يقال: عُدت فلانًا عيادةً، وصنت هذا الأمر صيانةً.

وإنما عُني بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم، فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم.

|

س: من الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال:

۞ **الأول:** أنهم النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس ويمنعون الناس من الصلاة فيه.

۞ **الثاني:** أنه بختنصر البابلي المجوسي وجنده ومن أعانهم من النصارى(1).

---

(1) **قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:** وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال: عني الله =

=عز وجل بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بختنصَّر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصَّر عنهم إلى بلاده.

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها(*) وأن لا مسجد عني الله عز وجل بقوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: 114] إلا أحد المسجدين إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام، وإذا كان ذلك كذلك وكان معلومًا أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية، وبعمارته كان افتخارهم(**)، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم.

وأخرى: أن الآية التي قبل قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: 114] مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمِّ أفعالهم، والتي بعدها نبهت بذمِّ النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكرٌ، ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجَّه الخبر بقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام.

وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها إذ كان خبرها لخبرهما نظيرًا وشكلاً إلا أن تقوم حُجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وإن اتفقت قصصها فاشتبهت. انتهى المراد من قول ابن جرير رحمه الله.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: فلم يرتض اختيار الطبري رحمه الله بل اختار القول القائل أنهم مشركو قريش، وعلل ذلك بقوله: لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود، وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولاً إذ ذاك لأنهم لُعِنوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم(***) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وأيضًا فإنه تعالى لما وجَّه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذمِّ المشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام: وأما اعتماده على أن قريشًا لم تسع في خراب الكعبة فأي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 34].

* أما الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فرفض اعتراض الحافظ بن كثير وانتصر لما قاله الطبري رحمهم الله جميعًا، فقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري: وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمهما الله ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه تأويل الآية والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبري وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام

=

=

(*) أراد القول الأول والثاني والثالث من الأقوال التي قدمناها .

(**) قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 91].

(***) قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ...﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩] .

يدخل في عموم معنى قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾، ولكن سياق الآيات السابقة ثم التي تليها توجب كما ذهب إليه الطبري أن يكون معنيًّا بها من كانت الآيات النازلة في خبره وقصته، والآيات السالفة جميعًا خبر عن بني إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى، وتأنيب لبني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مُهَاجَر رسول الله ﷺ ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود في خطاب نبيهم ﷺ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعًا، يهوديهم ونصرانيهم وذكر لافتراء الفريقين بعضهم على بعض وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة، ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصارى كما أفرد من قبل أخبار بني إسرائيل فعدَّد سوء فعلهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولدًا ثم قول بعضهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة:118] وأن ذلك شبيه بقول اليهود: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ثم أعلمه أن اليهود والنصارى جميعًا لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقتهم في الافتراء على رب العالمين.

فالسياق كما ترى بمعزل عن المشركين من العرب، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوان الله عليهم تختلط عليهم المعاني حين تتقارب، ولكن أبا جعفر(*) صابر على كتاب ربه مطيق لحمله لا يعجله شيء عن شيءٍ ما استطاع فهو يخلص معاني كتاب ربه تخليصًا لم أجده قط لأحدٍ بعده ممن قرأ كتابه، وأكثرهم يعترض ولو صبر على دقة هذا الإمام لكان ذلك أولى به وأشبه بخلق أهل العلم وهم له أهل، غفر الله لنا ولهم. انتهى ما قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

هذا وقد خطأ أبو بكر الرازي الوجه المذكور بقوله: إنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح ﴈ بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، وأيضًا فإن النصارى يعتقدون في بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر فكيف أعانوا على تخريبه(**).

(*) يعني الطبري.

(**) قلت:أخرج الطبري (٢٣٨١) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة:١١٤] أولئك أعداء الله النصارى، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس.

أما نقل اتفاق أهل السير فلا نكاد نصدقه إذا اختلف مع المنقول عن التابعين رحمهم الله،والله أعلم .

۞ **الثالث:** أنهم مشركو قريش إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام وحالوا بينه وبين دخول مكة.

۞ **الرابع:** أنهم مشركو قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ من الدعاء إلى الله بمكة وألجئوه إلى الهجرة.

۞ **الخامس:** ذكره الرازي قال: وهو أقرب إلى رعاية النظم قال: وهو أن يُقال: إنه لما حوِّلت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فكانوا يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم إلى الكعبة، ولعلهم سعوا أيضًا في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها، وسعوا أيضًا في تخريب مسجد الرسول ﷺ لئلا يُصلُّوا فيه متوجهين إلى القبلة فعابهم الله بذلك وبيَّن سوء طريقتهم فيه.

۞ **السادس:** أنها عامة في كل ظالم منع أي مسجد من مساجد الله أن يذكر فيه اسم الله ٥.

س: ما نوع الإضافة في قوله تعالى: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٤]؟

ج: الإضافة إضافة تشريف كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس:١٣].

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [البقرة:١١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾ [الأنعام:١٥٧] وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [الأنعام:١٤٤] وقوله تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...»(1) ؟

ج: الجمع بين هذه له طرق:

الأول: أن يتنزل هذا على الاختصاص بمعنى أن يقال: ليس هناك من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، وليس من المكذبين أظلم

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 7559)، ومسلم (حديث 2111) من حديث أبي هريرة ﭬ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى.

ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وليس من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس... وليس من المصورين أظلم ممن ذهب يضاهي بخلق الله ويحاول بزعمه أن يخلق كخلقه.

الثاني: أنهم جميعًا في الظلم سواء.

الثالث: أن المراد تبشيع هذه الأفعال وتجريم فاعليها، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ [البقرة:١١٤]؟

ج: لأهل العلم في تأويل ذلك أقوال:

الأول: أن هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا هذه المساجد إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً عن الاستيلاء عليها ومنع المؤمنين منها، فالمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الظلمة وعتو الكفرة والفجرة.

الثاني: أن هذا خبر معناه الأمر، والمعنى لا تمكنوا هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها واجتهدوا في منعهم من دخول مساجد الله إلا في حال هم فيه خائفون كأن يكونوا أسارى يربطون أو يحاكمون في المساجد ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة:٢٨]، وكالوارد في قول أبي هريرة: (ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان)(1) .

الثالث: أن هذا إخبار عن حال الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها، فكان من شأنهم أنهم لم يدخلوها بعد ذلك إلا خائفين كما قال

---

(1)أخرج البخاري (حديث 4656)، ومسلم (حديث 1347) من طريق حميد بن عبدالرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال: (بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهطٍ يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان).

(194) أحمر
أسود

قتادة(1) : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ [البقرة: ١١٤] وهم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نُهك ضربًا وأُبلغ في العقوبة.

س: ما المراد بالخزي في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [البقرة:١١٤]؟

ج: المراد بالخزي العار والشرّ والذِّلة، وهذا يكون بأمور منها:

- القتل والسبي.
- أداء الجزية عن يد وهم صاغرون.
- ظهور المهدي وإنزال هزيمة هؤلاء على يديه، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الوارد في فضل المساجد وتكريمها؟

ج: ورد في ذلك شيء كثير نورد منه ما يلي:

- **إضافة المساجد لله ٥:** ـ وهي إضافة تشريف ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٨]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٤].
- **أذن الله ٥ برفعها:** كما قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور:٣٦ - ٣٧].
- **جعل الله عمارتها دليلاً على الإيمان:** كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

---

(1) أخرجه الطبري (1827)، بإسناد حسن عن قتادة.
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تُصلي إليها اليهود، عوقبوا شرعًا وقدرًا بالذِّلة فيه إلا في أحيان من الدهر أُشحن بهم بيت المقدس، وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضًا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم، والله أعلم.

۞ **جعل الله ۵ مُخرِّب المساجد أظلم الناس:** قـال تعـالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:114].

۞ **المساجد خير بقاع الأرض:** فقد ذكر ذلك النبي ﷺ(1) .

۞ **بوَّابو المساجد هم الملائكة:** يكتبون الداخل أولاً بأول .

۞ **كافأ الله ۵ من بنى مسجدًا ببيت في الجنة:** كما قال النبـي ﷺ: **«من بنى لله مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة»(2) .**

۞ **جُعل للماشي إلى المسجد عظيم الأجر وجزيل الثواب:** فقد قـال النبـي ﷺ: **«من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضـة مـن فـرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»(3) .**

وقال ♥: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلاً فـي الجنـة كلمـا غدا أو راح»(4) .**

وأخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أُبي بن كعب ﭬ قال: كـان رجـل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، قال: فقيـل لـه: أو قلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلمـاء وفـي الرمضـاء، قـال: مـا يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ: **«قد جمع الله لك ذلك كله»(5).**

ونحوه من حديث جابر بن عبد الله ﭬ قال: خلت البقاع حـول المسـجد فـأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلـغ ذلـك رسـول الله ﷺ فقـال لهـم: **«إنـه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»**، قالوا: نعم يا رسـول الله قد أردنـا

---

(1) وقد تقدم ذلك، وهو صحيح.
(2) أخرجه البخاري (حديث 450)، ومسلم (حديث 533) من حديث عثمان بن عفان ﭬ مرفوعًا.
(3) أخرجه مسلم (حديث 666) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.
(4) أخرجه البخاري (حديث 662)، ومسلم (حديث 669) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.
(5) أخرجه مسلم (حديث 663).

ذلك، قال: **«يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم. دياركم تكتب آثاركم»**(1).

۞ **وَعَدَّ النبي ﷺ مما يمحو الله به الخطايا كثرة الخطا إلى المساجد:** ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»** قالوا: بلى يا رسول الله قال: **«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**(2).

۞ **وكان جزاء من تعلَّق قلبه بالمسجد:** أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله(3).

۞ **وتكريمًا للمساجد:** أمر النبي ﷺ من دخلها أن يركع ركعتين قبل أن يجلس(4).

۞ **وشرع لمن دخلها أن يقول:** اللهم افتح لي أبواب رحمتك(5).

۞ **وعُدَّ البزاق في المسجد خطيئة** وكانت كفارتها دفنها(6).

۞ **ونزَّه رسول الله ﷺ المساجد عن خبيث الرائحة فقال:** **«من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزل مسجدنا»**(7)، ولما بال الرجل في المسجد قال النبي ﷺ: **«إن**

---

(1) أخرجه مسلم (حديث 665) من حديث جابر بن عبدالله ﭬ مرفوعًا.

(2) أخرجه مسلم (حديث 251).

(3) أخرج البخاري (حديث 1423)، ومسلم (حديث 1031) من حديث أبي هريرة ﭬ عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...، ورجل قلبه معلق في المساجد...» الحديث.

(4) أخرج البخاري (حديث 444)، ومسلم (حديث 714) من حديث أبي قتادة ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

(5) أخرج مسلم (حديث 713) من حديث أبي حميد (أو أبي أسيد) الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك...» الحديث.

(6) أخرج البخاري (حديث 415)، ومسلم (حديث 552) من حديث أنس بن مالك ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها».

(7) أخرج البخاري (حديث 5452)، ومسلم (حديث 564 ص394) من حديث جابر بن عبدالله ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا».

المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله ۵ والصلاة وقراءة القرآن»(1).

۞ **والملائكة تصلي على المصلي ما دام في مصلاه الذي صلى فيه:** تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحْدِث(2).

|

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١١٥] وسبب نزولها ؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾ [البقرة: ١١٥] أي: ولله ملك المشرق والمغرب، أما قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة: ١١٥] فللعلماء فيه أقوال:

۞ **منها:** أن هذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر فيصلي الشخص النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت به كما ورد عن ابن عمر ﭬ أنه قال: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥] أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوُّعًا، ويلتحق بالمسافر الخائف والمطلوب والمقاتل ونحو ذلك.

۞ **ومنها:** أن معنى الآية الكريمة: ولله المشرق والمغرب فأينما توجهتم في سفركم فثم (هنالك) قبلة الله فاتجهوا إليها.

۞ **ومنها:** أن هذه الآية الكريمة كانت قبل الأمر بالتوجه إلى القبلة فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ [البقرة:١٤٤] نسخها(3).

هذه أقوى الأقوال في تأويل هذه الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرجه مسلم (حديث 285) من حديث أنس بن مالك ﭬ مرفوعًا.

(2) أخرجه البخاري (حديث 659)، ومسلم (حديث 649) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.

(3) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (1835) قال: قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ﴾.

س: هل لهذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ...﴾ [البقرة:١١٥] صلة بالآية التي قبلها؟

ج: قال ابن جرير الطبري خ: هي لها [مواصلة]، وإنما معنى ذلك: ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها، ولله المشرق والمغرب فأينما توجِّهوا وجوهكم فاذكروه فإن وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده ويعلم ما تعملون ولا يمنعكم تخريب من خرَّب مسجد بيت المقدس ومنعهم من مَنعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه.

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧

الكلمة	معناها
﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾	تنزه عن الولد خاضعون مطيعون (1) - مقرون بالعبودية - قائمون يوم القيامة، والقنوت يطلق على القيام في الصلاة كما قال النبي ﷺ: **«أفضل الصلاة طول القنوت»**.
﴿قَٰنِتُونَ﴾	ويطلق على السكوت أيضًا، فكان الصحابة يتكلمون في الصلاة حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأمروا بالسكوت، ويطلق على الدعاء كذلك.
﴿بَدِيعُ﴾	هو المبدع، وبديع السموات والأرض منشؤهما على غير مثالٍ سابق (وسُمي المبتدع مبتدعًا لإحداثه منه ما لم يسبقه إليه غيره).

(1) فإن قيل: الكافر غير مطيع لله فالإجابة أن أقدار الله عز وجل من موت وحياة ومرض ومصائب وحوادث ورزق وولد ونحو ذلك تجري عليه رغم أنفه.

قال الطبري رحمه الله تعالى: وأولى معاني القنوت في قوله تعالى: ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: 116] الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدًا بقوله: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: 116] ملكًا وخلقًا ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض [أنها] مُقرة بدلالتها على ربها وخالقها وأن الله تعالى بارئها وصانعها، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك وأن المسيح أحدهم فأنى يكون لله ولدًا وهذه صفته؟!!!

س: من الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا؟

ج: هم اليهود والنصارى وطوائف من أهل الشرك، فاليهود قالوا: عُزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وطوائف من المشركين قالوا: الملائكة بنات الله.

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

۞ وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل:٥٧].

س: ما معنى سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦]؟

ج: معناها هنا ـ والله أعلم ـ: تنزه عن الولد.

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تنفي الولد عن الله [redacted] وتبين جرم من جعل لله ﷻ ولدًا؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

۞ قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

۞ وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٨-٩٤].

۞ وقول الله ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ﴾ [الأنعام:١٠١].

۞ وقوله تعالى: ﴿... وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:4، 5].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:116].

۞ وقال الله ٥ في الحديث القدسي: **«كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد»** (1).

س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:116] عقب قوله ٥: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:116]؟

ج: وجه ذلك كما قال الطبري $: وكيف يكون المسيح لله ولدًا وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات وإما في الأرض ولله ملك ما فيهما، ولو كان المسيح ابنًا كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه.

س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117] عقب قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:116]؟

ج: وجه ذلك أن الله ٥ بيَّن وأوضح أنه خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، وكذلك فهو قادر على خلق المسيح من غير أبٍ على غير مثالٍ سابق (2).

---

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح 8/ 739)، والنسائي (4/ 112) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ عن ربه ٥.

(2) قال أبو جعفر الطبري $: فمعنى الكلام: سبحان الله أنَّى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعًا بدلالتها عليه بالوحدانية وتقرُّ له بالطاعة وهو بارئها وخالقها ومُوجدها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه،وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوَّته وإخبارٌ منه أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والدٍ بقدرته.

س: قسم بعض أهل العلم البدعة قسمين اذكرهما مع مثالٍ لكل منهما؟

ج: قسم بعضهم البدعة قسمين (1) :

۞ بدعة شرعية كقول النبي ﷺ: **«وكل بدعة ضلالة»** (2) .

۞ بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر ‌ؓ لما جمع الناس على صلاة التراويح: نعم البدعة هذه (3) .

(1) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، وقال القرطبي رحمه الله: كل بدعةٍ صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أولا فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه فهي في حيّز المدح وإن لم يكن مثاله موجودًا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهذا فعله من الأفعال المحمودة وإن لم يكن الفاعل قد سُبق إليه، ويعضد هذا قول عمر ؓ: نعم البدعة هذه، لمّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيّز المدح وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها فمحافظة عمر ؓ عليها وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة لكنهابدعة محمودة ممدوحة، وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيّز الذم والإنكار قال معناه الخطابي.

قلت (القائل هو القرطبي رحمه الله): وهو معنى قوله ﷺ في خطبته: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (*) يريد ما لم يوافق كتابًا أو سنته أو عمل الصحابة ؓ، وقد بيَّن هذا بقوله: **«من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وِزْرُها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»** (**) وهذا إشارة إلى كل ما ابتدع من قبيح وحسن وهو أصل هذا الباب، وبالله العصمة والتوفيق لارب غيره.

(2) أخرجه مسلم، (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله ؓ قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومساكم ويقول: **«بعثت أنا والساعة كهاتين»**، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: **«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»**.

(3) أخرجه البخاري (حديث 2010) من طريق عبدالرحمن بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله.

(*) أخرجه مسلم (حديث ٧٦٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

=

س: ما معنى ﴿قَضَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ [البقرة:١١٧]؟

ج: قضى هنا بمعنى أحكم وأمضى وفرغ منه، قال الطبري $ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ [البقرة:١١٧] وإذا أحكم أمرًا وحتمه(1)، وأصل كل (قضاء أمرٍ) الإحكام والفراغ منه، ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس (القاضي بينهم) لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفراغه منه به، ومنه قيل للميت (قد قُضي) يُراد به قد فرغ من الدنيا: وفصل منها، ومنه قيل: (ما ينقضي عجبي من فلان) يُراد ما ينقطع ومنه قيل: (تقضَّى النهار) إذا انصرم، ومنه قول الله ۵: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] أي: فصل الحكم بين عباده بأمره إياهم بذلك، وكذلك قوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الإسراء:٤] أي: أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به، ففرغنا إليهم منه.

ومنه قول أبي ذؤيب:

وَعليهما مَسْرُودتان(2) قضاهما ... داودُ أو صنع السوابغ تُبَّعُ

ويروى: وتعاوَرا(3) مَسرودَتَين قَضاهما.

ويعني بقوله (قضاهما) أحكمهما، ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب ﭬ.

(**) أخرجه مسلم (حديث ٧١٠١) من حديث جرير بن عبد الله ﭬ مرفوعًا (مصحوبًا بقصة).

(1) حتم الأمر أي قضاه قضاء لازمًا.

* **وقال القرطبي رحمه الله:** وقال الأزهري: قضى في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه.

* **وقال القرطبي أيضًا:** قال علماؤنا: ﴿قَضَىٰٓ﴾ لفظ مشترك: يكون بمعنى الخلق، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن ويكون بمعنى الإعلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] أي أعلمنا ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام، ومنه سُمِّي الحاكم قاضيًا ويكون بمعن توفية الحق قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨] أي إذا أراد خلق شيء.

(2) مسرودتان أي درعان.

(3) تعاورنا فلانًا بالضرب ضربناه واحدٌ بعد واحد.

قضيت أمورًا ثم غادرت بعدها بوائق(1) في أكمامها لم تفتق

ويروى: «بوائج»(2).

معاني الأمر

س: اذكر معاني الأمر في كتاب الله ؟

ج: قال القرطبي $:

والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهًا.

۞ الأول: الدِّين قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٤٨] يعني دين الله الإسلام.

۞ الثاني: القول: ومنه قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [المؤمنون:٢٧] يعني قولنا(3)، وقوله: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه:٦٢] يعني قولهم.

۞ **الثالث: العذاب:** ومنه قوله تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم:٢٢] يعني لما وجب العذاب بأهل النار.

۞ **الرابع: عيسى غ:** قال الله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [آل عمران:٤٧] يعني عيسى(4) وكان في علمه أن يكون من غير أب.

۞ **الخامس: القتل ببدر:** قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨] يعني القتل ببدر، وقوله تعالى: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢] يعني قتل كفار مكة.

۞ **السادس: فتح مكة:** قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾

---

(1) البوائق جمع بائقة وهي الداهية المنكرة التي فتحت ثغرةً لا تفسد، والأكمام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه وقوله (لم تفتق) أصلها تتفتق، حذف أحد التاءين وتفتق الكم عن زهرته انشق وانفطر، قاله ا لشيخ أحمد شاكر رحمه الله، وقال أيضًا.

(2) بوائج جمع بائجة وهي الداهية التي تنفتق انفتاقًا منكرًا فتعم الناس وتتابع عليهم شرورها.

(3) ولمنازع أن ينازع في هذا المعنى في هذا الموطن، وكذلك في بعض المعاني المذكورة في غيره من الأوجه التي ذكرها القرطبي رحمه الله.

(4) وهذا أيضًا مما يُنازع فيه.

[التوبة:٢٤] يعني فتح مكة.

۞ **السابع: قتل قريظة وجلاء بني النضير:** قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٠٩].

۞ **الثامن: القيامة:** قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١].

۞ **التاسع: القضاء:** قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ [يونس:٣] يعني القضاء.

۞ **العاشر: الوحي:** قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥] يقول يُنزل الوحي من السماء إلى الأرض، وقوله: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] يعني الوحي.

۞ **الحادي عشر: أمر الخلق:** قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣] يعني أمور الخلائق.

۞ **الثاني عشر: النصر:** قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤] يعنون النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] يعني النصر.

۞ **الثالث عشر: الذنب:** قال الله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق:٩] يعني جزاء ذنبها.

۞ **الرابع عشر: الشأن والفعل:** قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هود:٩٧] أي: فعله وشأنه وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] أي:فعله(1) .

س: إذا أراد الله ۵ أمرًا فهل يتحقق هذا الأمر بدون قولٍ منه سبحانه أم أنه يتحقق بقول الله ۵: ﴿كُن﴾ [البقرة:١١٧] وما في معناه؟

ج: ذهب بعض العلماء مذهبًا ضعيفًا هنا فقالوا: إن ما يريده الله ▌ يتحقق بدون قول ﴿كُن﴾ [البقرة:١١٧] ، وقالوا: إن قول الله ۵: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] نظير قول القائل: (قال فلان برأسه) و(قال بيده) إذا

---

(1)وفي بعض ما ذكره القرطبي من المعاني نظر، والله تعالى أعلم.

حرَّك رأسه، أو أومأ بيده ولم يقل شيئًا، قالوا: وهو كقول عمرو بن حممة الدوسي:

فَأصبَحتُ مثل النِّسر طارتْ فِرَاخُهُ   إذا رامَ تَطْيَارًا يُقَال لَه

قالوا: ولا قول هناك، وإنما معناه إذا رام طيرانًا وقع.

قلت: وهذا مذهب ضعيف والصواب من القول ما ذكر الله في كتابه حيث قال سبحانه:

۞ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

[آل عمران: ٥٩]

۞ وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

[الأعراف: ١٦٦]

۞ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وفي الحديث القدسي في قصة الرجل الذي لم يفعل خيرًا قط وحضرته الوفاة فقال: **«إذا أنا مِتُّ فحرِّقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم في يومٍ عاصف...»** الحديث وفيه أنهم فعلوا به ما أمرهم فقال الله له: **«كن رجلاً»** فإذا هو رجل قائم بين يدي الله ٥(1).

۞ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ...﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(1) أخرجه البخاري (حديث 7508) من حديث أبي سعيد ڤ مرفوعًا، وله طرق عن رسول الله ﷺ.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ
ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ
تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ
١١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ
عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ
ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ
ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ
وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ
١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ

شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣

الكلمة	معناها
﴿لَوۡلَا﴾	هَلَّا.
﴿يُوقِنُونَ﴾	يُصدِّقون ويتبعون المرسلين ويذعنون لأوامر الله عز وجل.
﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾	هي النار إذا شبت وقودها.
﴿مِلَّتَهُمۡ﴾	دينهم.
﴿وَلِيّٖ﴾	مَن يتولاك ويقوم بأمرك.
﴿نَصِيرٍ﴾	ناصر ينصرك.
﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾	يتبعونه حق اتباعه ويقومون به خير قيام، ومن تفسير التلاوة بالاتباع: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس:٢]، وقيل في: يتلونه حق تلاوته: يرتلونه حق ترتيله، وقيل: لا يحرفونه ولا يغيرونه ولا يبدلونه، والقول الأول عليه أكثر أهل العلم، والله أعلم.

س: من الذين لا يعلمون المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ [البقرة:118]؟ ومن الذين من قبلهم المذكورون في نفس الآية أيضًا؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة:118]** هنا هم النصارى ورجحه ابن جرير الطبري خ لأن سياق الآيات المتقدمة فيهم.

۞ **وقال آخرون هم النصارى ومعهم اليهود أيضًا** فقد تعنت اليهود وطلبوا الآيات من موسى ﻏ فقالوا ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ **[البقرة:55]** . إلى غير ذلك من الآيات الواردة في تعنتهم.

۞ **وقال أكثر المفسرين إن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:118] هم مشركو العرب** فهم الذين تعنتوا وطلبوا الآيات من رسول الله ﷺ كما ذكر الله في كتابه حيث قال: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ **[الإسراء:90-93]**.

وقالوا: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ **[الأنبياء:5]** وقال تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ **[المدثر:52]** وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ **[الفرقان:21]**.

۞ **والصواب من القول أن يُقال إن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:118] هم الجهلة من هذه الفرق من النصارى واليهود وأهل الشرك** الذين سألوا أنبياءهم الآيات، والله تعالى أعلم.

أما ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ **[البقرة:118]** فمبنية على تفسير ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة:118]**، فإن قيل ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة:118]** هم مشركو العرب فـ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ **[البقرة:118]** هم أهل الكفر بصفة عامة من قوم نوح وهود وصالح و...

ومن اليهود والنصارى كذلك.

وإن قلنا إن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:١١٨] هم النصارى فـ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ [البقرة:١١٨] هم اليهود وسائر أمم الكفر، وإن أطلقنا القول فـ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ [البقرة:١١٨] هم الكفار الذين تقدموا وسألوا الآيات، والله تعالى أعلم.

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة:١١٨] وبين قوله ٥: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر:١٤]؟

ج: وجه الجمع أن قلوبهم متشابهة في كفرهم وعنادهم وتعنتهم وزيغهم كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ [الذاريات:٥٢، ٥٣] أي: كأنهم تواصوا بتكذيب الرسل ووصفهم بالسحر والجنون.

أما قوله تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر:١٤] فهذا في التعاملات التي تجري بينهم، وموقف كل منهم تجاه الآخر وتضليل كل منهم للآخر، فهم وإن تشابهت قلوبهم في كونهم كفارًا متعنتين، فقلوبهم كذلك مختلفة فيما بينهم في تضليل كل منهم للآخر وحسد كل منهم للآخر وعداوة كل منهم للآخر كما قال تعالى: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة:١٤] والله أعلم.

س: ما المراد بالآية في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ [البقرة:١١٨]؟

ج: المراد بالآية المعجزة كسؤالهم رؤية الله جهرة وكسؤالهم جعل الصفا ذهبًا وكسؤالهم الرُّقيَّ في السماء ونحو ذلك، والله تعالى أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨]؟

ج: المعنى أنكم يا من سألتم عن الآيات وجاء ذكركم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ [البقرة:١١٨] فهذه الآيات قد بُيّنت

لكم وفصلت لكم تفصيلاً فهذا كتاب الله كله آيات دالة على صدق نبوة أنبيائنا.

وثمَّ آيات أُخر كانشقاق القمر وحنين الجذع وتكثير الطعام وتكليم الحيوان لرسولنا وتسليم الأحجار عليه وإذعان الأشجار إليه، و.. إلى غير ذلك من الآيات التي بيناها وفصلناها للموقنين فهم الذين ينتفعون بهذه الآيات أما الذين ختم على قلوبهم وسمعهم وجُعل على أبصارهم غشاوة فالأمر فيهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦، ٩٧] وكما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٌ مَّسۡحُورُونَ ﴾ [الحجر:١٤، ١٥] والله أعلم.

|

س: ما المراد بالحق في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩]؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصدق.

الثاني: أنه القرآن.

الثالث: الإسلام، وبكل هذا أرسل رسول الله ﷺ.

|

س: قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ ﴾ [البقرة:١١٩] بشير بماذا ولمن؟ ونذير لمن ومن ماذا؟

ج: بشير لمن أطاعه وصدقه واتبعه بالجنة ونذير لمن عصاه وخالفه وكذبه بالنار، والله تعالى أعلم.

|

(212) أحمر
أسود

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة:119] اذكر آيات في معنى الآية الكريمة وهل صح لهذه الآية سبب نزول؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أنك لست مسئولاً عن كفر من كفر وعصيان من عصى وتمرد من تمرد ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ والتبشير والإنذار.

أما الآيات التي في معناها فمنها:

۞ قول الله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:40].

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7].

۞ وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 21، 22].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ﴾ [ق:45].

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود:12].

ولا نعلم لهذه الآية سبب نزول صحيحًا، والله تعالى أعلم.

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:120].

ج: الآية هي قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ﴾ [النساء:89].

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:109].

س: ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ﴾ [البقرة:120]؟

ج: المراد بالعلم هنا ما يلي:

۞ العلم ببطلان عقائدهم وتحريفهم الكتب المنزلة من عند الله .

۞ العلم أن الإسلام هو دين الحق وما سواه من الأديان باطل.

۞ عموم العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله وما أوحاه الله ۵ إليه من السُّنة، والله تعالى أعلم.

|

س: هل الكفر ملة واحدة أو عدة ملل؟

ج: ذكر أهل العلم قولين في هذا الباب:

۞ فمن العلماء من ذهب إلى أن الكفر ملة واحدة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] فأفرد الملة هنا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] ومن العلماء القائلين بهذا القول أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين نقله عنهم القرطبي $.

۞ ومن العلماء من ذهب إلى أن الكفر ملل واستدل بحديث النبي ﷺ: **«لا يتوارث أهل ملتين»**(1) ومن القائلين بهذا القول الإمام مالك والإمام أحمد في الرواية الأخرى رحمهما الله ۵.

ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

|

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]؟

ج: قال القرطبي خ: المعنى: ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم.

۞ **وقال أبو جعفر بن جرير الطبري $:** يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ

---

(1) إسناده حسن فقد أخرجه أبو داود (حديث 2911)، وأحمد (2 / 178 - 195) وغيرهما من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا.

عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ [البقرة:١٢٠] وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدِّين القيم، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك إلا أن تكون يهوديًّا نصرانيًّا، وذلك مما لا يكون منك أبدًا لأنك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادَّان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل.

وأما (الملة) فإنها الدِّين وجمعها الملل.

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ [البقرة:١١١] إن هدى الله هو الهدى يعني إن بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بيّن فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرون جميعًا بأنها من عند الله يتضح لكم فيها المحق فينا من المبطل وأيُّنا أهل الجنة وأيُّنا أهل النار وأيُّنا على الصواب وأيُّنا على الخطأ.

۞ وإنما أمر الله نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا: من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى وبيان أمر محمد ﷺ وأن المكذِّب به من أهل النار دون المصدِّق به.

۞ **ثم قال الطبري ﭬ في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم..﴾ [البقرة:١٢٠]

يعني جل ثناؤه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما

يرضيهم عنك من تهوُّد وتنصُّرٍ فصرت من ذلك إلى إرضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم، ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي ـ يعني بذلك: ليس لك يا محمد من وليٍّ يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك إن أحلَّ بك ذلك ربُّك.. ثم قال $ وقد قيل: إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد ﷺ لأن اليهود والنصارى دعته إلى أديانها، وقال كل حزب منهم إن الهدى هو ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلَّمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم، والله أعلم.

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ..﴾ [البقرة:١٢١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

الأول: أنهم علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله(1) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا

---

(1) وقد انتصر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لهذا القول فقال: لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدّل منهم كتاب الله وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل، ولم يجر لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ موجَّهًا إلى الخبر عنهم ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها، فيكون موجهًا ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله ﷺ وبعد انقضاء قصص غيرهم، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له.

فإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجهًا إلى أنه خبر عمن قص الله جل ثناؤه قصصهم في الآية قبلها والآية بعدها،وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل، وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد ـ وهو التوراة ـ فقرءوه واتبعوا ما فيه فصدَّقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي أولئك يتلونه حق تلاوته، وإنما أدخلت الألف واللام في الكتاب لأنه معرفة، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عرفوا أيَّ الكتب عَنَى به.

صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [القصص:٥٤].

۞ **الثاني:** أنهم أصحاب محمد ﷺ (1).

۞ **الثالث:** أورده ابن عطية في «المحرر» فقال: ويحتمل أن يُراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ العموم في بني إسرائيل والمؤمنين من العرب.

س: ما فائدة التقييد بقوله تعالى: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] ؟

ج: المراد المبالغة في صفة اتباعهم للكتاب.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن من أقام دينه من أهل الكتاب وآمن بما في كتابه واتبع ما فيه حق الاتباع قاده هذا الإيمان والاتباع إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به ومن كفر فأولئك هم الخاسرون (2).

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١] يرجع إلى من؟

ج: قيل: إنه يرجع إلى رسول الله ﷺ وقيل: إنه يرجع إلى القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾ [الإسراء:١٠٧]

---

(1) وقد ورد بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (1878).

(2) قال الطبري $: فأخبر جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان محرفًا لها مبدلاً تأويلها مغيرًا سننها تاركًا ما فرض الله فيها عليه، وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لأن في اتباعها اتباع محمد ﷺ وتصديقه لأن التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها، فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ وهم العاملون بما فيها.

س: فيم يتمثل الخسران في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؟

ج: الخسران يتمثل في ولوج هذا الخاسر النار كما قال الله ع: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود:١٧].

۞ وكما قال النبي ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»**(1).

س: لماذا كُرر قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ..﴾ الآية [البقرة:١٢٢]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير $: وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم نعته واسمه وأمره وأُمته فحذرهم من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية و الدينية ولا يحسدوا بني عمهم(2) من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

(1) أخرجه مسلم (153)، من حديث أبي هريرة ï مرفوعًا.
(2) مراده أن العرب أولاد إسماعيل، واليهود أولا إسحاق، وإسماعيل وإسحاق أخوان.

وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤

س: ما العامل في (إذ) من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:١٢٤]؟

ج: العامل فيه هو (واذكر) فالمعنى: واذكر إذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات.

ذكر نبي الله وخليله إبراهيم ﷺ

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في الثناء على نبي الله إبراهيم ﷺ وبيان فضله وتكريمه؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣].
- وقوله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة:١٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ..﴾ الآيات [الممتحنة:٤].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣].

۞ وقوله تعالى: ﴿..فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤].

۞ وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٨، ١٠٩].

۞ وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف:٢٨].

۞ وجعل الله ۵ النبوة في ذريته كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

۞ وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام:٨٣].

۞ وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

۞ وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٤١].

أما الأحاديث فمنها:

۞ قول المسلمين في كل صلاة يصلونها ـ كما علمهم نبيهم محمد ﷺ:

«اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل

إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(1).

۞ وفي الصباح كان النبي ﷺ يقول: **«أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين»**(2).

۞ ورأى النبي ﷺ الأطفال حول إبراهيم ؏ في الجنة كما في حديث سمرة بن جندب(3) ﭬ.

س: ما الكلمات التي ابتلى الله ۵ بها إبراهيمَ ﻍ؟

ج: هي عموم الشرائع والأوامر والنواهي والتكاليف التي كلَّف الله ۵ بها إبراهيم ؏ فيدخل في ذلك ما ذكره العلماء مما يلي:

۞ فراق إبراهيم ﻍ قومه في الله حين أُمر بفراقهم(4).

۞ ومحاجته للنمرود كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨](5).

۞ صبره على قذفه في النار.

۞ ما أمره الله به من إكرام الضيف وصبره على ذلك.

۞ وما ابتلي به من أمره بذبح ولده ﺙ وصبره على ذلك وامتثاله ما أمره

(1) أخرجه البخاري (بهذا اللفظ) مع الفتح (6 / 408).
(2) أخرجه أحمد (3 / 406) من حديث ابن أبزى مرفوعًا وإسناده صحيح.
(3) أخرجه البخاري (حديث 7047) من حديث سمرة بن جندب ﭬ مرفوعًا وفيه«... وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة...» الحديث.
(4) قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26].
(5) فتكلَّم إبراهيم عليه السلام بكلمة الحق عند سلطان جائر.

الله به ويدخل في ذلك أيضًا ما ذكره العلماء وفيه:

۞ أن الله ٥ ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظافر، وحلق العانة والختان، ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء.

۞ ويدخل فيها أيضًا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة.

۞ ويدخل فيها أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم حيث قال: الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات(1) في براءة: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ..﴾ إلى آخر الآية [التوبة: ١١٢]، وعشر آيات(2) في أول سورة قد أفلح المؤمنون، و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾، وعشر آيات(3) في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ..﴾ [الأحزاب:٣٥] فأتمهن كلهن فكتب له براءة قال الله: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم:٣٧] إلى غير ذلك من التكاليف التي كُلِّف بها إبراهيم ؏.

وهذا العموم هو الذي اختاره ابن جرير وابن كثير رحمهما الله ٥.

قال أبو جعفر الطبري خ: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن الله ٥ أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل، وجائز أن تكون تلك الكلمات

---

(1) يقصد عشر صفات وهي: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّـٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾... [التوبة: ١١٢].

(2) يعني عشر صفات أيضًا وهي: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٩].

(3)يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: 35].

جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل (الكلمات) وجائز أن تكون بعضه، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه، وإذ كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عني الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئًا من ذلك بعينه دون شيء ولا عني به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ عن الرسول ﷺ أو إجماع من الحجة ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول ﷺ بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته.

س: لماذا أطلق على هذه التكاليف كلمات؟

ج: قال ابن عطية $: لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات.

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤] يرجع إلى مَنْ؟ وما معنى ذلك؟

ج: يرجع الضمير إلى إبراهيم ﷺ في قول أكثر المفسرين والمعنى: فقام بهن خير قيامٍ وأداهن أحسن التأدية من غير تفريطٍ ولا توانٍ وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧].

۞ وذهب فريق من العلماء إلى أنه يرجع إلى الله ع، والمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا.

س: الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة:١٢٤] تدل على أن الأنبياء معصومون من أن يظلموا الناس وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الأنبياء و ـ كما هو معلوم ابتداءً ـ أئمة يُقتدى بهم كما قال الله ع في شأن إبراهيم غ وذريته: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ

نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ
وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ
وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ
وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن
يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ
فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام:٨٤-٩٠]، فأمرنا الله بالاقتداء بهم، ولما كانوا أئمة يقتدى بهم عُلم أنهم ليسوا ظلمة، لأن الله ع قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤].

۞ قال الرازي $ (40/4): الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين:

الأول: أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد(1) الإمامة ولا شك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقًا فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقًا فاعلاً للذنب والمعصية أولى.

الثاني: قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤]، فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين، وإن كان هو الإمامة فكذلك، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إمامًا يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تحصل النبوة لأحدٍ من الفاسقين، والله أعلم.

س: قول الخليل إبراهيم غ:﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ [البقرة:١٢٤] هل هو دعاء أو استفهام؟

ج: من العلماء من قال: إنه دعاء والمعنى واجعل اللهم من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا.

۞ ومن العلماء من قال: إنه استفهام بمعنى وهل تجعل يا رب من ذريتي أئمة كذلك؟ والعلم عند الله تعالى.

---

(1) يعني العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124].

س: على مَن تُطلق الذُّرية؟

ج: تطلق الذُّرية في الغالب على الأبناء ومن جاء منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ [الإسراء:٣] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] وقول الخليل غ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة:١٢٤].

۞ وقد تطلق الذرية على الآباء أحيانًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١] أي: آباءهم.

۞ وقد تطلق على الآباء مع الأبناء ومنه قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ [آل عمران:٣٤]، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالعهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]؟

ج: المراد والله أعلم الإمامة في الدين، فلما قال الله لإبراهيم غ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] طلب إبراهيم ﷺ أن يكون من ذريته أئمة أيضًا فقال الله : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، أي: إذا كان في ذريتك ظالم فلن تناله الإمامة في الدين، والله تعالى أعلم.

ومن العلماء من قال: إن المراد بالعهد هنا: الأمن من العذاب يوم القيامة، ومنهم من قال: إن المراد بالعهد هنا: الأمر أي: لا يجوز أن يكون الظلمة أهلاً، لأن تُقبل منهم أوامر الله ٥.

وثمَّ أقوال أُخر، والعلم عند الله .

س: رجلان أحدهما مسرف على نفسه لكنه حامل لكتاب الله ٥، والآخر صالح في نفسه لكنه مقلٌّ من القرآن أيهما يُقدم لإمامة الناس في الصلاة؟

ج: الأدلة في هذه المسألة تشهد لكل وجهٍ:

۞ **فمن قال:** إن الذي يُقدم هو حامل القرآن دليله قول النبي ﷺ: **«يؤم القوم**

أقرؤهم لكتاب الله ٥»(1).

۞ **ومن قال:** إن الصالح يقدَّم، دليله قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] لما قال لإبراهيم غ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]. والله تعالى أعلم.

س: الإمامة لا تُنال إلا بالصبر وضح ذلك؟

ج: إيضاحه من قول الله ٥: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

۞ وهذا إبراهيم غ لما ابتلاه ربُّه بالكلمات فأتمهن وقام بهن خير قيام من صبر على الإلقاء في النار والامتثال للأمر بذبح الولد، ومحاجة الجبابرة والختان وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وسائر التكاليف الأخرى قال الله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا...﴾ [البقرة:١٢٤].

وكذلك ابن عباس وغيره من الأئمة نالوا ما نالوه من العلم بالصبر على طلبه وتحصيله(2).

---

(1) أخرج مسلم (حديث 673) من حديث أبي مسعود الأنصاري ف قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا...»** الحديث.

(2) أخرج الدارمي في سننه (1 / 141، 142) بإسناد صحيح عن ابن عباس ۵ قال: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا بن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني. صحيح.

ومن ثَمَّ فقد نبغ ابن عباس ونفع الله به وهدى الله على يديه أقوامًا، فقد أخرجه الطبراني (المعجم الكبير 10598) بإسناد حسن إلى ابن عباس قال: لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدتهم قلت لعليٍّ: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: فإني أتخوفهم عليك قال: قلت: =

وكذلك سائر الفنون لا يَنْبغ فيها أهلها إلا بالصبر عليها وعلى تلقيها، والله تعالى أعلم.

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] وبين كون عددٍ من الأئمة ظلمة؟

=كلا إن شاء الله قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثغن الإبل، ووجوههم معلبة من آثار السجود قال: فدخلت فقالوا: مرحبًا بك يابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثنه، قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثًا قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40، 67] قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال: قلت: وماذا؟ قالوا ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: 95] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: 35] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: خرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم قال: وأما قولكم: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبدالله» فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا.

* وأخرج عبدالله بن أحمد في (الزوائد على فضائل الصحابة لأبيه رقم 1947) بإسناد صحيح إلى يزيد بن الأصم قال: خرج معاوية حاجًّا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه.

ج: الإمامة هنا هي الإمامة في الدين فلا يكون إمامًا في الدين يأمرنا الله ٥ بالاقتداء به إلا وهو صالح كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان:١٥].

۞ ومن العلماء من قال: لا ينال عهدُ الله في الآخرة ظالمًا، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش.

قلت: وهذا مبني على تفسير العهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] فارجع إليه.

|

س: هل الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى أم الخروج عليه؟

ج: الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى ما دام مسلمًا، لقول النبي ﷺ لما سأله بعض الصحابة عن منازعة الأئمة قال: **«لا إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»**.

قال القرطبي $: والذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الخوف بالأمن وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض، والأول مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه.

|

س: ذرية إبراهيم غ هل كلهم صالحون أم منهم الصالح والطالح، وهل تحققت الإمامة في ذرية إبراهيم غ؟

ج: ذرية إبراهيم ؤ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، قال الله ع: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾[الصافات:١١٢، ١١٣].

۞ وقد تحققت النبوة في الصالحين منهم، قال الله تبارك: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨].

س: الظالم لا ينفعه نسبه عند الله ٥ دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قـــــول الله ع: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١].

۞ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴾ [عبس:٣٤، ٣٥].

۞ قول الله ٥ لنوح ﷺ لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود:٤٥]، ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود:٤٦].

۞ وقد أمرنا الله ٥ بالتأسي بإبراهيم ﷺ إلا في استغفاره لأبيه كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة:٤].

۞ ولما سأل إبراهيم غ الإمامة لذريته قال الله ٥: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤].

۞ وقول النبي ﷺ: **«من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه»**(1).

۞ وقوله ♥: **«يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا»**(2).

(1) أخرجه مسلم (مع النووي 17 / 21) من حديث أبي هريرة ؤ مرفوعًا.
(2) صحيح وقد تقدم.

وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ
مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ
وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥

الكلمة	معناها
﴿مَثَابَةً﴾	مرجعًا (يثوبون أي: يرجعون) ـ مجتمعًا ـ مكان يثابون عنده.
﴿وَأَمۡنًا﴾	من: الأمن، أي: أمنًا من العدو فكان الرجل يلقى قاتل أبيه ولا يتعرض له بسوء في الحرم.
﴿وَعَهِدۡنَآ﴾	أمرنا ـ أوحينا.
﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	المصلون.

س: ما المراد بالبيت في قوله تعالى:﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[البقرة:١٢٥]؟

ج: المراد بالبيت هنا الكعبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة والبيت الحرام وكونه كان أمنًا للناس؟

ج: من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي:

۞ قول الله ﻷ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران:٩٦، ٩٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٩١].

۞ وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش:٣، ٤].

۞ وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت:٦٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

۞ وقد أقسم الله ۵ بمكة فقال سبحانه: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ [التين:1-3].

۞ وقول الله ع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج:25].

أما الأحاديث فمنها:

قول النبي ﷺ: **«إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة».**

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: **«إلا الإذخر»**(1).

۞ وقال أبو شريح العدوي ۵ لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح - سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به - إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب»**(2).

۞ هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد.

---

(1) أخرجه مسلم (1353) والبخاري (1587) من حديث ابن عباس ۵ مرفوعًا.

(2) أخرجه مسلم (حديث 1354)، والبخاري (حديث 1832).

۞ وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة.

س: بيّن على وجه الإجمال هل مكة أفضل أم المدينة؟

ج: ابتداءً ففي كلٍّ خير، ولكن على العموم فمكة أفضل من المدينة بنص حديث رسول الله ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: **«والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»**(1).

۞ ولكون الصلاة بمسجد مكة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد(2) بينما الصلاة في مسجد المدينة تعدل ألف صلاة فقط وجمهور العلماء على أن مكة أفضل من المدينة، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى ﴿مَثَابَةً﴾ [البقرة:١٢٥]؟

ج: في معناها أقوال:

الأول: أن معنى «مثابةً» مرجعًا والمعنى يثوبون إليه أي: يرجعون(3) إليه، والمعنى أنه جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، فلا يكادون يقضون منه وطرًا حيث إنهم يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه فلا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرًا.

قال القاسمي خ (محاسن التأويل742/1): (مثابة للناس) مباءة ومرجعًا للحجاج والعمَّار، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه، ومثابة مفعلة من (الثوب) وهو الرجوع تراميًا إليه بالكلية، وسر هذا التفضيل ظاهر في انجذاب الأفئدة وهوى

---

(1) أخرجه أحمد (المسند 4 / 7)، والترمذي (حديث 3925) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وابن ماجه (حديث 3108)، والحاكم في المستدرك (7/3) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين كلهم من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري (واللفظ لأحمد) أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة: **«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت»**.

وانظر أيضًا سنن الترمذي (حديث 3926).

(2) عند من رأى صحة الحديث بذلك.

(3) من قولهم: ثاب فلان إلى رشده.

القلوب وانعطافها ومحبتها له فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس الحديد فهو الأولى بقول القائل:

محاسنه هيولي كل حسن ... ومغناطيس أفئدة الرجال

فهم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرًا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقًا.

لا يرجع الطرف عنها حين ... حتى يعود إليها الطرف مشتاقًا

فلله كم لها من قتيل وسليب وجريح، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ذكر هذه الشذرة (الإمام ابن القيم في أوائل زاد المعاد).

الثاني: مثابة، أي: مجمعًا لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة.

الثالث: من الثواب أي: أنهم يثابون عنده.

والله تعالى أعلم.

موافقات عمر ؓ ربه ۵

س: اذكر بعض الموافقات التي وافق فيها عمر ؓ ربَّه ۵؟

ج: من هذه الموافقات ما يلي:

1- موافقة عمر لربه ۵ في النهي عن الصلاة على المنافقين ففي «الصحيحين»(1) من حديث عبد الله بن عمر ؓ أنه قال: لما توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟!قال: «**إنما خيرني الله - أو: أخبرني الله - فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]» فقال:

(1) أخرجه البخاري (حديث 4672)، ومسلم (حديث 2400).

«سأزيده على سبعين». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤].

وفي رواية أخرى للبخاري من حديث عمر بن الخطاب(1) ﭬ قال:

لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا ـ أُعَدِّد عليه قوله ـ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **«أخر عني يا عمر»** فلما أكثرت عليه قال: **«إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»** قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا ﴾ إلى: ﴿وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤]، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ. والله ورسوله أعلم.

2- موافقة عمر ربَّه ۵ في أُسارى بدر ففي«صحيح مسلم»(2) من حديث عمر ﭬ قال:

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: **«اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»** فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل ۵: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩] فأمده الله بالملائكة.

(1) أخرجه البخاري (حديث 1366).
(2) أخرجه مسلم (حديث 1763) من طريق أبو زميل (وهو سماك الحنفي) عن ابن عباس عن عمر ﭬ. به.

قال أبو زميل(1) فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: **«صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة»** فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: **«ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»** فقال أبو بكر: يا نبي الله،هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ: **«ما ترى يا بن الخطاب»** قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر)، فأضرب عنقه(2) فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: **«أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة»** (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ)، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٩]، فأحل الله الغنيمة لهم.

3- موافقة عمر ؓ ربَّه ﷻ في الحجاب.

---

(1) هو راوي الحديث عن ابن عباس ؓ.

(2) في رواية أحمد (1 / 30، 31): وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين.

4- موافقة عمر ڤ ربَّه ٥ في قوله: لو اتخذت من مقام إبرهيم مصلى يا رسول الله... الحديث.

5- موافقة عمر ڤ ربه ٥ في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ...﴾ الآية [التحريم:٥].

وها هو الحديث الذي يجمع هذه الثلاثة:

أخرج البخاري(1) من حديث أنس ڤ قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث(2) فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة:١٢٥]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ....﴾ [التحريم:٥]، فنزلت هذه الآية.

|

س: ما هو المراد بمقام إبراهيم غ؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال منها ما يلي:

الأول: أن المراد بمقام إبراهيم غ هو الحرم كله.

الثاني: أن المراد بمقام إبراهيم غ الحج كله: (الطواف بالبيت والوقوف بعرفة وبمزدلفة وبمنى ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة...)، والمراد أن الناس أمروا أن يتخذوا الأماكن التي قام بها إبراهيم ودعا بها مواطن يصلُّون (أي: يدعون الله) فيها كما فعل إمامهم إبراهيم غ.

الثالث: وهو الصحيح: أن المراد بمقام إبراهيم غ هو الحجر الذي كان

---

(1) الحديث أخرجه البخاري (حديث رقم 402).

(2) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري) (1 / 505): وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر، وهذا دال على كثرة موافقته.

إبراهيم ‍غ يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل غ به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها، وهكذا حتى تم جدران الكعبة.

كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير $ واختار هذا القول(1) وقال: وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبةً ... على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك(2) حدثهم قال: رأيت المقام فيه أصابعه ‍غ وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

قلت: ويتأيد ما ذكره الحافظ ابن كثير خ من أن المقام هو الحَجَر ما أخرجه البخاري(3) من حديث عمرو بن دينار قال: سألنا ابن عمر ﭬ أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة؟

قال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ثم صلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة.

وأخرج مسلم(4) خ من حديث جابر بن عبد الله ﭬ في وصف حجة النبي ﷺ وفيه... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم غ فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة:١٢٥] فجعل المقام

---

(1) وزاد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أن هذا الحجر كان ملصقًا بالكعبة وأن الذي أخَّره إلى موطنه الذي هو فيه الآن هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﭬ، وأورد بعض الأسانيد بذلك وقال: فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه.

(2) إسناده صحيح إلى أنس ﭬ.

(3) أخرجه البخاري (حديث 1623).

(4) أخرجه مسلم (حديث 1218).

بينه وبين البيت.

س: هل يشرع مسح مقام إبراهيم؟

ج: لا يشرع مسح مقام إبراهيم غ إذ لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا نقل ـ فيما علمت ـ بإسناد صحيح عن أحدٍ من أصحابه، وأما ما تقدم عن أنس أنه قال: رأيت المقام فيه أصابعه غ وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

فليس فيه أن أنسًا فعل ذلك ولا أن هؤلاء الناس فعلوا ذلك بأمر من رسول الله ﷺ.

وقد قال قتادة $ كما روي عنه ذلك بسند حسن عند ابن جرير الطبري $: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها(1).

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]؟

ج: هذا أمر من الله ﻷ لعباده أن يصلوا خلف مقام إبراهيم غ.

وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: أُمروا أن يصلوا عنده(2).

۞ ومن العلماء من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] أي: مُدعًى يدعون عنده، وصليت هنا بمعنى: دعوت، قال ابن جرير الطبري $: وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله، فكان معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتمون بإبراهيم خليلي غ فيها فإني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل

---

(1) أخرجه الطبري (أثر رقم 2000) وعنده زيادة: ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

(2) أخرجه الطبري (2005) بإسناد حسن عن قتادة.

طاعتي إمامًا يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به.

وأما تأويل قائلي القول الآخر فإنه: اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لإبراهيم، وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب (1) وجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ.

س: هل كان هناك شيء عند البيت مما أُمر إبراهيم بتطهير البيت منه؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند البيت بقايا أصنام كان يعبدها قوم نوح ومن بعدهم فأمر إبراهيم ؏ أن يطهر البيت منها كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث طهرها من الأصنام التي كانت بها، فقد أخرج البخاري(2) من حديث ابن مسعود ؓ قال :دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:٨١] و﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]»، وأخرجه مسلم(3).

۞ وأخرج البخاري(4) من حديث ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ لما رأى الصُّور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل ؉ بأيديهما الأزلام فقال: **«قاتلهم الله! والله إن استقسما بالأزلام قط»**.

فعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ ...﴾ [البقرة:١٢٥] طهراه مما به من بقايا الأصنام والأوثان.

۞ وثَمَّ قول آخر وهو: ابنيا بيتي مطهرًا من الشرك، وأسساه على التوحيد كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ

(1) يعني قول عمر ؓ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة: 125]، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح رقم (1985) وهو في الصحيح كذلك.

(2) حديث (4720).

(3) مسلم حديث (1781).

(4) البخاري حديث (3352).

(240) أحمر
أسود

أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

[التوبة:١٠٩]

۞ وقول ثالث: امنعا من أراد أن يشرك بالله عند البيت أو أن يقول الزور عنده كما جاء فيما رواه البخاري(1) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

۞ **وقول رابع:** طهراه مما به من أذى وقذر ودنس وأوساخ يحدثها الناس فيه ونظفاه من هذا كله.

وينتظم معنى الآية الكريمة كل ما ذُكر، والله تعالى أعلم.

س: من المراد بالطائفين في قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] ومن المراد بالعاكفين؟ وكذلك من هم الركع السجود؟

ج: أما الطائفون فعلى الصحيح هم الذين يطوفون بالبيت، ومن العلماء من قال: إن الطائفين هم الذين أتوا إلى البيت من غُرْبةٍ، والقول الأول أولى بالصواب.

۞ أما العاكفون فهم المعتكفون فيه، ومن العلماء من قال: إن المراد بالعاكفين أهل البلد الحرام (وهم المجاورون للبيت الحرام)، والقول الأول أولى بالصواب، والله أعلم.

۞ أما الركع السجود(2) فهم المصلون، والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري (4655، 4656)، ومسلم (حديث 1347).

(2) وقد روى ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة (2025) أنه قال: و ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أهل الصلاة، والله تعالى أعلم.

(241) أحمر
أسود

س: لماذا ذكر الركوع والسجود ولم يُذكر القيام في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]؟

ج: اكتفى بذكر الركوع والسجود ؛لأنه قد عُلم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام، والله تعالى أعلم.

س: في قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] ردٌّ على اليهود والنصارى وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الآية الكريمة قُرِّر فيها أن إبراهيم ؑ أُمر أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود، واليهود والنصارى يزعمون أنهم يوقِّرون إبراهيم ؑ، ومع ذلك لا يحجون البيت الذي طهره إبراهيم ﷺ، والله أعلم.

س: اذكر بعض النصوص التي وردت في الحث على تطهير المساجد وتنظيفها؟

ج: ومنها: قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

۞ وقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور:٣٦].

۞ وكانت هناك امرأة سوداء تقمُّ المسجد على عهد رسول الله ﷺ(1) وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ۵ والصلاة وقراءة القرآن»**(2).

---

(1) أخرج البخاري (حديث 458)، ومسلم (حديث 956) من حديث أبي هريرة ڤ أن رجلاً أسود ـ أو امرأة سوداء ـ كان يقمُّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: «أفلا كنتم آذنتموني به دلُّوني على قبره» أو قال: «قبرها» فأتى قبره فصلى عليه.

(2) أخرجه مسلم (حديث 285) من حديث أنس بن مالك ڤ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ: **مَهْ مَهْ**، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزرموه، دعوه»** فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**» أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماءٍ فشنَّه عليه.

۞ وقال النبي ﷺ: «**البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**»(1).

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنُها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن**»(2).

س: هل من مُقدَّر محذوف في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا﴾ [البقرة:١٢٥]؟

ج: قال بعض العلماء: إن هنا مقدرًا محذوفًا وهو (وقلنا) فالمعنى على ذلك وقلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، والله تعالى أعلم.

س: لماذا خُصَّت الكعبة بالذكر في قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥]؟

ج: خُصَّت بالذكر لشرفها وعلو قدرها وارتفاع منزلتها، ولكونها أعظم حرمة من سائر البيوت، أو لكونها كانت الموجودة وحدها إذ لم يكن هناك شيء من المساجد غيرها، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] معطوف على ماذا؟

ج: قيل: إنه معطوف على قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٢٢]، فالمعنى: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، والله أعلم.

۞ وقيل: عطف على قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال الرازي: والمعنى: أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن قال له جزاء لما فعله من ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] وقال: ﴿وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله وقال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:١٧١].

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 415)، ومسلم (552) من حديث أنس أن بن مالك ؓ مرفوعًا.

(2) أخرج مسلم (حديث 553) من حديث أبي ذر ؓ مرفوعًا.

۞ وقيل: إن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم ؈ وكأن وجهه: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا وَٱتَّخِذُواْ﴾ [البقرة:١٢٥] أنتم من مقام إبراهيم مصلى، والتقدير أنه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم...، والله أعلم.

س: ركعتا الطواف هل هما فرضٌ أم سُنَّة؟

ج: إذا كان الطواف تطوعًا فركعتاه تطوع أيضًا، وإذا كان الطواف فرضًا فللعلماء في ركعتيه قولان:

أحدهما: أنهما (أي: الركعتين) فرض لكون النبي ﷺ صلاهما، وقد قال ♥: **«خذوا عني مناسككم»**.

والثاني: أنهما نفلٌ كذلك، لأن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن الصلوات قال: **«خمس صلوات في اليوم والليلة»**، فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها، قال: **«لا إلا أن تطوع»** قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ: **«أفلح إن صدق»**، والله تعالى أعلم.

س: هناك من قُتل عند البيت الحرام، فكيف توجّه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا﴾ [البقرة:١٢٥]؟

ج: الآية محمولة على الأمر، والمعنى: أننا أمرنا الناس أن يؤمّنوا من دخل الحرم، فمنهم من وفى والتزم بهذا الأمر ومنهم من خالف وعاند، والله تعالى أعلم.

س: هل تجوز الصلاة داخل الكعبة؟

ج: نعم تجوز الصلاة داخل الكعبة، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم(1)

(1) أخرجه البخاري (حديث 1598)، ومسلم (حديث 1329).

من حديث ابن عمر ﭬ أنه قال:دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالاً فسألته هل صلى فيه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بين العمودين اليمانيين.

ولا يُعارض هذا بما أخرجه مسلم(1) من حديث أسامة بن زيد ﭭ أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يُصلِّ فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قُبُل البيت ركعتين، وقال: «**هذه القبلة**»، وذلك لأن بلالاً قد أثبت وأسامة بن زيد قد نفى والمثبت مقدم على النافي، فلعل بلالاً رأى ما لم يره أسامة بن زيد ﭭ أو لعل الواقعة تعددت.

قال الحافظ ابن حجر ﭭ (فتح الباري745/3): وقد وقع إثبات صلاته فيها عن أُسامة من رواية ابن عمر عن أسامة عند أحمد وغيره فتعارضت الرواية في ذلك عنه، فتترجح رواية بلال من جهة أنه مثبت وغيره نافٍ ومن جهة أنه لم يختلف عليه في الإثبات واختلف على من نفى، وقال النووي وغيره: يجمع بين إثبات بلال ونفي أسامة بأنهم لما دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء فرأى أُسامة النبي ﷺ يدعو فاشتغل أُسامة بالدعاء في ناحية والنبي ﷺ في ناحية ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أُسامة لبعده واشتغاله، ولأن بإغلاق الباب تكون الظلمة مع احتمال أن يحجبه عنه بعض الأعمدة فنفاها عملاً بظنه.

وقال المحب الطبري: يحتمل أن يكون أُسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته.

ويشهدله ما رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده »عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أُسامة قال دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة فرأى صورًا فدعا بدلومن ماء فأتيته به فضرب به الصور، فهذا الإسناد جيد(2) .

---

(1) أخرج مسلم (حديث 1330).

(2)في إسناده عبدالرحمن بن مهران لا أعلم راويًا عنه غير ابن أبي ذئب ولم أقف على أحدٍ وثقه سوى =

قال القرطبي: فلعله استصحب النفي لسرعة عوده انتهى، نقل ذلك الحافظ ابن حجر خ ونقل أقوالاً أخر فليرجع إليها من شاء.

قلت: ويُستدل للجواز بعموم قول النبي ﷺ: **«وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فحيثما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل»**، ويُستدل أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] على جواز الصلاة داخل الكعبة، ولا ينتهض شخص للاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٥٠] على المنع لكونه في حق من هم ليسوا بداخلا بالكعبة إنما هو في حق من هم خارجها والبعيدين عنها ،والله أعلم

|

ابن حبان.

(246) أحمر
أسود

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا
وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ
وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ
أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦

﴿أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ أسوقه ـ أُلْجئه ـ أدفعه.

﴿□﴾ الموضع الذي يصير إليه الكافر.

س: ما المراد بالبلد في قوله تعالى: ﴿ ئو ئې ئۈ ئې ئى ئى ئد ئى ﴾ [البقرة:١٢٦] ؟وهل تحققت دعوة إبراهيم ﷺ فيها؟

ج: هذه البلدة هي مكة، وقد تحققت دعوة إبراهيم ﷺ فيها، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران:٩٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [النمل:٩١].

۞ وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ﴾ [العنكبوت:٦٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[قريش:١-٤]

۞ وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل:١-٥]، وقول النبي ﷺ: **«لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح»**(1).

|

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الله ۵ يرزق الظالم ويُملي له ثم يأخذه بعد ذلك؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحج:٤٨].

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل:١١٦، ١١٧].

۞وقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ

(1) أخرجه مسلم (حديث 1356) من حديث جابر ﭬ مرفوعًا.

مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران:196 - 197].

۞ وقوله تعالى:﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء:20].

۞وقوله تعالى:﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:33 - 35].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:126].

۞ وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [لقمان: 23 ، 24]، وقول النبي ﷺ: **«إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته»** (1) ، ثم قال: «﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾» [هود:102].

س: وردت أحاديث تدل على أن الله ٥ حرم مكة قبل خلق السموات والأرض وأحاديث تدل على أن الله ٥ حرمها لما دعا إبراهيم بذلك فكيف تجمع بين هذه وتلك؟

ج: وجه هذا الجمع أن يُقال: إن إبراهيم بلَّغ عن الله ٥ حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم ؏ لها.

۞ ويجمع أيضًا بأن يُقال: إن إبراهيم ؑ أراد تأكيد حرمة مكة، والله تعالى أعلم.

س: من القائل: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:126]؟

---

(1) أخرجه البخاري حديث (4686)، ومسلم (حديث 2583) من حديث أبي موسى الأشعري ڤ مرفوعًا.

الجواب: لأهل العلم في ذلك قولان:

أولهما وأصحهما: أن هذا قول الله ۵ وبيانه أن إبراهيم ؑ أراد أن يحجر الدعوة بالرزق للمؤمنين دون الكافرين فأجابه الله ۵ بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:126]، والمعنى: ومن كفر فإني أرزقه أيضًا ثم أضطره إلى عذا بالنار وبئس المصير، وهي كقوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:20]، والآيات التي على شاكلتها.

والثاني: أن هذا هو قول إبراهيم ؑ، وتكون القراءة (فأمتعه قليلاً ثم اضطره...) بمعنى الطلب من الله ۵، والقول الأول أصح وأولى ، والله تعالى أعلم.

س: ما الفرق بين هاتين الدعوتين:

الأولى: قول إبراهيم ؑ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:126].

الثاني: قوله ؑ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ (1) [إبراهيم :35]؟

ج: بعض أهل العلم لا يفرق بين هاتين الدعوتين من إبراهيم ؑ ويقول: إنما

---

(1) وطرح ابن جُزي الكلبي الغرناطي سؤالاً مشابهًا في تفسيره فقال: فإن قيل: لم قال في البقرة: {بلدا أمنا} [البقرة: 126] فعرَّف في إبراهيم ونكَّر في البقرة؟ أجيب على ذلك بثلاثة أجوبة:

(الجواب الأول): قاله أستاذنا أبو جعفر بن الزبير، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: 127] وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبرهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف.

(الجواب الثاني): قاله السهيلي، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم، لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك: هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر، لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

(الجواب الثالث): قاله بعض المشارقة أنه قال: هذا بلدًا آمنًا قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدًا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين، والله أعلم.

هو تفنن في أسلوب الخطاب، والمعنى: رب اجعل هذا البلد بلدًا أمنًا.

وبعض العلماء يُفرق فيقول: إن مكة كانت واديًا قبل أن تكون بلدًا كما قال الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم:٣٧]، فدعا إبراهيم ﷺ لهذا الوادي أن يكون بلدًا بقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة:١٢٦]، فلما استجيب دعاؤه طلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ [إبراهيم :٣٥]، والله تعالى أعلم.

س: المتاع القليل في قوله تعالى: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾ [البقرة:١٢٦]؟

ج: الصحيح من أقوال أهل العلم في ذلك أن هذا المتاع القليل أمده وغايته إلى موت الكافر، والله تعالى أعلم.

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ
رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧
رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ
مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا
مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩

الكلمة	معناها
﴿مُسۡلِمَيۡنِ﴾	مستسلمين ـ خاضعين ـ طائعين.
﴿أُمَّةٗ﴾	جماعة.
﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾	بيّن لنا أعمال حجنا ـ وضح لنا أماكن الذبح ـ علمنا طرق عبادتك وشرائع دينك.
﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾	هو: القرآن.
﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ (1)	قيل: هي السنة، وقيل: هي الفقه في الدين، وتطلق – أيضًا- على: الإصابة في القول والعمل، وعلى: وضع الشيء في موضعه.
﴿وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾	يطهرهم من الشرك والأدناس وقول الزور.

(1) الحكمة ورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ هي السنة، أخرجه الطبري (2078)، وورد عن مالك بإسناد صحيح عند الطبري (2079) قال في الحكمة: المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له.

وقال الطبري أيضًا أثر (2080): حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾، قال: «الحكمة»، الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ، يعلمهم إياها. قال: و «الحكمة»، العقل في الدين وقرأ: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: 269]، وقال لعيسى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 48]، قال: وقرأ ابن زيد: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: 175]، قال: لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها حكمة: قال:
=

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]؟

ج: العامل هو (واذكر) فالمعنى: واذكر يا محمد لقومك ولأهل الكتاب بناء إبراهيم وإسماعيل ﵉ للكعبة ورفعهما لقواعدها، والله أعلم.

|

س: ما المراد بقواعد البيت؟

ج: هي أُسُسُ البيت التي تأسس عليها.

|

س: ما المراد بالبيت في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]؟

ج: المراد بالبيت هو الكعبة، وقد نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على هذا.

|

س: هل هذه القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل كانت مبنية قبلهما أم هما اللذان أسساها؟

ج: فريق من أهل العلم يقولون: كانت موجودة قبلهما بناها آدم ﵇.

وقيل: إنها كانت قواعد بيت أهبطه الله ﻷ مع آدم ﵇.

وقيل: إنها لم تكن موجودة ولكن إبراهيم ﵇ بناها، والله تعالى أعلم.

۞ هذا وننقل ها هنا قولاً للطبري ؒ يفيد في الإجابة على أسئلة مشابهة.

=«والحكمة» شيء يجعله الله في القلب، ينور له به.

قلت (مصطفى): وهو إسناد صحيح إلى ابن زيد، وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول عندنا في «الحكمة» أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من «الحكم» الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة «الجلسة والقعدة» من «الجلوس والقعود»، يقال منه: «إن فلانًا لحكيم بيّن الحكمة»، يعني به: إنه لبين الإصابة في القول والفعل.

وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو آياتك ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التي تعلِّمه إياها.

قال خ (3 / 64):

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل، رفعا القواعد من البيت الحرام. وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة. وجائز أن يكون ذلك كان القُبة التي ذكرها عطاء، مما أنشأه الله من زبد الماء. وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء. وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل. ولا علم عندنا بأيِّ ذلك كان من أيٍّ، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلابخبر عن الله وعن رسوله ﷺ، بالنقل المستفيض. ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو ـ إذ لم يكن به خبر، على ما وصفنا ـ مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس، فيمثل بغيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد. فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا. والله تعالى أعلم.

س: إبراهيم وإسماعيل ث هل رفعا القواعد من البيت معًا أم رفعها إبراهيم وحده؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن إبراهيم غ كان يبنيها ويرفعها وإسماعيل غ كان يناوله الحجارة.

وقيل: إنهما بنياها معًا.

وها نحن نورد هنا ما ذكره البخاري خ في قصة بناء هذا البيت ورفع قواعده، قال خ (حديث 3364):

حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ـ يزيد أحدهما على الآخر ـ عن سعيد بن جبير قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفِّي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ـ وهي ترضعه ـ حتى وضعها عند البيت عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى

المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا؛ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: **«فذلك سعي الناس بينهما»**. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صهٍ - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس قال النبي ﷺ: **«يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال - لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينًا معينًا»**. قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهمٍ - أو أهل بيتٍ من جرهمٍ -

مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماءٍ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًّا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا ـ قال: وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في ا لماء. قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فألفي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس**»، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم،وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنْفَسَهُم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأةً منهم. وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشرٍّ، نحن في ضيقٍ وشدَّةٍ. فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي غ وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها، وتزوج منهم أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخيرٍ وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء».

قال النبي ﷺ: «**ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه**»، قال: «**فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه**». قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي ﻍ، ومُرِيهِ يُثْبِتُ عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته، فسألني

كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخيرٍ. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمر أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمرٍ. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال، وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا ـ وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها ـ قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال أيضًا (حديث 3365): حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا أبو عامر عبدالملك بن عمرو قال حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﭭ قال لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله. قال فرجعت فجعلت تشرب من الشَّنَّة ويدر لبنها على صبيها، حتى لما فنى الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا. قال: فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا فلم تحس أحدًا. فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطًا ، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل ـ تعني الصبي ـ فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا، حتى أتمت سبعًا، ثم قالت: لو

ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل، قال: فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض، قال: فانبثق الماء، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز، قال: فقال أبو القاسم: لو تركته كان الماء ظاهرًا، قال: فجعلت تشرب من الماء ويدرُّ لبنها على صبيها. قال: فمر ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطيرٍ، كأنهم أنكروا ذاك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء، فبعثوا رسولهم فنظر، فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك، أو نسكن معك؟ فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فسلم فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. قال: قولي له إذا جاء: غير عتبة بابك. فلما جاء أخبرته، قال: أنت ذاك، فاذهبي إلى أهلك. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم ﷺ: **«بركة بدعوة إبراهيم»**. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا. قال: أطع ربك. قال: إنه أمرني أن تعينني عليه، قال:إذن أفعل أو كما قال. قال: فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

س: هل الكعبة على حالها الآن مبنية على قواعد إبراهيم غ؟

ج: الذي من البيت على قواعد إبراهيم غ الآن إنما هما ركنان فقط الركن الذي فيه الحجر الأسود، والركن اليماني، وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ، فلما جاء ابن الزبير ۏ ردها على قواعد إبراهيم لما أخبرته عائشة ڤ بأن

هذه كانت رغبة رسول الله ﷺ لولا حدثان عهد الناس بالجاهلية والكفر.

ثم لما جاء عبدالملك بن مروان ردها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ، يدل على هذ كله ما يلي:

۞ ما أخرجه البخاري(1) ومسلم من حديث عائشة ڤ أن رسول الله ﷺ قال لها: **«ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم»** فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال: **«لولا حدثان قومك بالكفر»** فقال عبدالله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجْرَ إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

وقال الإمام مسلم $ ص970 فما بعدها:

حدثنا هناد بن السري. حدثنا ابن أبي زائدة. أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء. قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير. حتى قدم الناس الموسم. يريد أن يجرئهم (أو يحربهم(2)) على أهل الشام فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس! أشيروا علي في الكعبة. أنقضها ثم أبني بناءها. أو أصلح ما وهي منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها(3). أرى أن تصلح ما وهي منها. وتدع بيتًا أسلم الناس عليه. وأحجارًا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ. فقال ابن

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 3368)، ومسلم (حديث 1333).

(2) (يجرئهم أو يحربهم) من الجراءة أي: يشجعهم على قتالهم، بإظهار قبح فعالهم. هذا هو المشهور في ضبطه. قال القاضي: ورواه العذري يجربهم، ومعناه: يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته. ومعنى يحربهم، أي: يغيظهم بما يرونه قد فعل بالبيت. من قولهم: حربت الأسد، إذا أغضبته. قال القاضي: وقد يكون معناه: يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك. قال: ورواه آخرون: يحزبهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبًا له وناصرين له على مخالفيه. وحزب الرجل من مال إليه. وتحازب القوم تمالئوا.

(3) (قد فرق لي رأي فيها) أي: كشف وبيّن. قال الله تعالى: {وقرآنا فرقناه}، أي: فصّلناه وبيناه. هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها. وهكذا ضبطها القاضي والمحققون.

الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته، ما رضي حتى يجده(1). فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثًا. ثم عازمًا على أمري. فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها. فتحامها الناس أن ينزل، بأول الناس يصعد فيه، أمر من السماء. حتى صعده رجلٌ فألقى منه حجارة. فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ تتابعوا(2). فنقضوه حتى بلغوا به الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة. فستر عليها الستور(3). حتى ارتفع بناؤه.

وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي ﷺ قال: **«لولا أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يقوي على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحِجْرِ خمس أذرع، ولجعلت لها بابًا يدخل الناس منه، وبابًا يخرجون منه»**.

قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق. ولست أخاف الناس. قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر. حتى أبدى أُسًّا(4) نظر الناس إليه. فبنى عليه البناء. وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعًا. فلما زاد فيه استقصره. فزاد في طوله عشر أذرع. وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يخبره بذلك. ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة. فكتب إليه عبدالملك: إنا لسنا من

---

(1) (يجدَّه) أي: يجعله جديدًا.

(2) (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا، وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين.
وعن أبي بحر: تتابعوا. وهو بمعناه. إلا أن أكثر ما يستعمل، تتابعوا، في الشر خاصة. وليس هذا موضعه.

(3) (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة. ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدًا للناس فأزالها. لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة. (من التعليق على مسلم).

(4)(حتى أبدى أسًّا) أي: حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أرى الناس أساسه. فنظروا إليه فبنى البناء عليه.

تلطيخ ابن الزبير(1) في شيء. أما ما زاد في طوله فأقره. وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائّه. وسد الباب الذي فتحه. فنقضه وأعاده إلى بنائّه.

حدثني محمد بن حاتم. حدثنا محمد بن بكر. أخبرنا ابن جريج. قال: سمعت عبدالله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة. قال عبدالله بن عبيد: وفد الحارث بن عبدالله على عبدالملك بن مروان في خلافته. فقال عبدالملك: ما أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها. قال الحارث: بلى! أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن قومك استقصروا من بنيان البيت. ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه. فإن بدا لقومك(2) ، من بعدي، أن يبنوه فهلمي(3) لأريك ما تركوا منه»** . فأراها قريبًا من سبعة أذرعٍ. هذا حديث عبدالله بن عبيد. وزاد عليه الوليد بن عطاء: قال النبي ﷺ: **«وجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيًّا وغربيًا. وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها؟»** قالت: قلت: لا. قال: **« تعززًا ألا يدخلها إلا من أرادوا. فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي. حتى إذا كاد أن يدخل(4) دفعوه فسقط»**.

---

(1) (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعله. يقال: لطخته، أي: رميته بأمر قبيح. يعني: إنَّا برءاء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة.

(2) (فإن بدا لقومك) يقال: بدا له في الأمر بداء، بالمد، أي: حدث له فيه رأي لم يكن. وهو ذو بدوات، أي: يتغير رأيه. والبداء محال على الله تعالى، بخلاف النسخ. قاله النووي.

(3) (فهلمي) هذا جار على إحدى اللغتين في هلم. قال الجوهري: تقول: هلمَّ يا رجل، بفتح الميم بمعنى: تعال. قال الخليل: أصله لُمَّ من قولك: لم الله شعثه، أي: جمعه. كأنه أراد لم نفسك إلينا، أي: أقرب. وها للتنبيه. وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلا اسمًا واحدًا يستوي في الواحد والاثنان والجمع والمؤنث.

فيقال، في الجماعة: هلم. هذه لغة أهل الحجاز. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:18]. وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما. وللمرأة: هلمي. وللنساء: هلممن. والأولى أفصح. هذا كلام الجوهري.

(4) (كاد أن يدخل) هكذا هو في النسخ كلها: كاد أن يدخل. وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد وقد كثر ذلك. وهي لغة فصيحة. لكن الأشهر عدمه.

قال عبدالملك للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم. قال: فنكت ساعة بعصاه(1) ثم قال: وددت أني تركته وما تحمل.

وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة. حدثنا أبو عاصم. ح وحدثنا عبد بن حميد. أخبرنا عبد الرزاق. كلاهما عن ابن جريج، بهذا الإسناد، مثل حديث ابن بكر:

وحدثني محمد بن حاتم. حدثنا عبد الله بن بكر السهمي. حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة؛ أن عبدالملك بن مروان، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير! حيث يكذب على أم المؤمنين. يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر. فإن قومك قصروا في البناء»** فقال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا. يا أمير المؤمنين! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا.

قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه، لتركته على ما بنى ابن الزبير.

وقال الحافظ ابن كثير خ بعد أن ذكر هذه الآثار: فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة، لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير، فلو ترك لكان جيدًا ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد، نقله عياض والنووي،ولا تزال ـ والله أعلم ـ هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يخرب الكعبة ذو السويقتين من**

---

(1) (فنكت ساعة بعصاه) أي: بحث بطرفها في الأرض. وهذه عادة من تفكر في أمر مهم. قاله النووي.

الحبشة».

۞ **وقال الحافظ ابن حجر $ (فتح الباري 3 / 554):**

(فائدة): في البيت أربعة أركان: الأول له فضيلتان: كون الحجر الأسود فيه وكونه على قواعد إبراهيم، وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما، فلذلك يُقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقبل الآخران ولا يستلمان هذا على رأي الجمهور، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضًا(1).

۞ **قلت:** فعلى هذا صورة الكعبة الآن كالتالي:

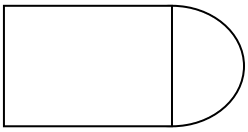

الركن الذي به الحجر الأسود، والركن اليماني كلاهما على قواعد إبراهيم غ أما الآخران فلا، والله أعلم.

س: أهل الصلاح يعملون أعمالاً صالحة ويرجون من ربهم ٥ القبول، وأهل الفساد يعملون أعمالاً فاسدة ويظنون أنهم إلى خير وضح ذلك؟

ج: نعم أهل الصلاح يعملون الصالحات ويسألون الله ٥ القبول لها.

۞ ألا ترى إبراهيم وإسماعيل ث يرفعان القواعد من البيت ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ !!!﴾ [البقرة: ١٢٧].

۞ وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ويقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا!!!﴾ [الفرقان: ٦٥].

۞ وها هم أهل الإيمان: ﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾. [المؤمنون: ٦٠]

۞ وها هو الصديق أبو بكر ف يصدّق برسول الله ﷺ ويجاهد معه ويصحبه

---

(1) **قلت:** لم يرد أن النبي ﷺ قبّل الركن اليماني.

في هجرته ويتصدق بكل ماله في سبيل الله ويُعلِّمه النبي ﷺ أن يقول في صلاته: **«اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»(1).**

۞ وها هو المحدث الملهم الفاروق أمير المؤمنين عمر يجاهد مع رسول الله ﷺ وينفق نصف ماله في سبيل الله ٥ ويقول عند موته: وددت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي(2).

وهؤلاء الأنصار يحفرون الخندق ويقولون:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

۞ أما أهل الفساد والريب فكما قال الله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

س: إبراهيم وإسماعيل ث كانا مُسلمَين فلماذا قالا: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: المراد أنهما طلبا الثبات على الإسلام والزيادة من الطاعات وحسن الامتثال لأمر الله ٥، والله تعالى أعلم.

س: في قول إبراهيم وإسماعيل ث: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ما يدل على أن الهداية للإسلام والتوفيق للطاعة إنما هما من عند الله ٥، اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك؟

ج: نعم الهداية للإسلام والتوفيق للطاعات من عند الله ٥، وها هي بعض الأدلة على ذلك.

---

(1) أخرجه البخاري (مع الفتح 2 / 317)، ومسلم (17 / 28) من حديث أبي بكر ﭬ.

(2) أخرج ذلك البخاري $ (3700) في قصة مقتل عمر وفيه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي.

۞ قال أهل الإيمان الذين أورثوا الجنان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

۞ وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].

۞ وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

۞ وقال تعالى: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

۞ وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعراف: ١٧٨].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

س: لماذا خص إبراهيم وإسماعيل ث ذريتهما بالدعاء؟

ج: خصا ذريتهما بالدعوة، لأنهما أحق بالشفقة، وقد قال الله تعالى: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كانوا أئمة في الخير يُقتدى بهم، والله أعلم.

س: ما المراد بالمناسك في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: قيل في المناسك هنا: إنها أعمال الحج(1)، وقيل: هو مواطن الذبح(2) وقيل: هي عموم العبادة.

قال الطبري $: وأما «المناسك» فإنها جمع «مَنْسِك»، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح: إمَّا بذبح ذبيحة له، وإما بصلاةٍ أو طواف أو سعي، وغير ذلك من الأعمال الصالحة. ولذلك قيل

(1) روى الطبري (2063) بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: 128] فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات والإفاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين، أو دينه.

(2) أخرج الطبري (2066) بإسناد صحيح عن عطاء قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: 128] قال: ذبحنا.

لمشاعر الحج: «مناسكه»، لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس ويتردَّدون إليها.

وأصل «المَنْسِك» في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يَعتاده الرجل ويألفه، يقال: «لفلان مَنْسك»، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر. ولذلك سميت «المناسكُ» «مناسكَ»، لأنها تُعتاد، ويُتردد إليها بالحج والعمرة، وبالأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله.

وقد قيل: إن معنى «النُّسك»: عبادة الله. وأن «الناسك» إنما سمي «ناسكًا» بعبادة ربه.

فتأوَّل قائلو هذه المقالة. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، وعلمنا عبادتك، كيف نعبدُك؟ وأين نَعبدك؟ وما يرضيك عنا فنفعله؟

وهذا القول، وإن كان مذهبًا يحتمله الكلام، فإن الغالب على معنى «المناسك» ما وصفنا قبل، من أنها «مناسك الحج» التي ذكرنا معناها.

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسماعيل على وجه المسألة منهما ربَّهما لأنفسهما. وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسهما وذريتهما المسلمين.

فلما ضمَا ذريتهما المسلمين إلى أنفسهما، صارا كالمخبرين عن أنفسهما بذلك. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبلُ في أول الآية، وتأخره بعدُ في الآية الأخرى. فأما الذي في أول الآية فقولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ثم جمعا أنفسهما والأمة المسلمة من ذُريتهما، في مسألتهما ربَّهما أن يُريهم مناسكهم فقالا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]. وأما التي في الآية التي بعدها: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة، وقد ذكر في قراءة ابن مسعود: (وأرهم مناسكهم) يعني بذلك: وأرِ ذريتنا المسلمة مناسكهم.

س: هل كان لإبراهيم وإسماعيل ذنوب حتى يقولا: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [البقرة:١٢٨]؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن كل شخص له ذنوب فيما بينه وبين

الله ۵، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ: **«لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم»**(1) ، وفي رواية: **«لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»**(1).

وقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»**(2).

۞ وكما قال النبي ﷺ: **«إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»** (3).

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ **[فاطر: ٤٥]**.

۞ ومن العلماء من قال: إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا بهذا الدعاء ليكون بمثابة التشريع لمن بعدهما أن يقتدوا بهما ويدعون ربهم في هذا الموطن كما دعاه فيه إبراهيم وإسماعيل.

۞ومنهم من قال: إن هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل ث لذريتهما.

۞ ومن العلماء من قال: إنما أراد إبراهيم وإسماعيل الثبات على الدين، والله أعلم.

وهنا نورد قول الطبري خ:

قال خ: فإن قال لنا قائل: وهل كان لهما ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة؟

---

(1) كلا الروايتين عند مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري ؓ مرفوعًا (حديث 2748).

(2) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعًا (حديث 2749).

(3) أخرجه البخاري (حديث 6612)، ومسلم (حديث 2657) من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعًا، وفي لفظ لمسلم: **«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»**.

قيل: إنه ليس أحدٌ من خلق الله، إلا وله من العمل ـ فيما بينه وبين ربه ـ ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ، فجائزٌ أن يكون ما كان من قيلهما ما قالا من ذلك، إنما خَصَّا به الحال التي كانا عليها، من رفع قواعد البيت، لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دُعاءهما، وليجعلا ما فعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تنصُّل من الذنوب إلى الله، وجائز أن يكونا عَنيَا بقولهما: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾[البقرة: ١٢٨]، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا ـ الذين أعلمتنا أمرهم ـ من ظلمهم وشركهم، حتى يُنيبوا إلى طاعتك، فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما، والمعنيُّ به ذريتهما، كما يُقال: «أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرَّني فلان» إذا برَّ ولده.

س: ما معنى ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]؟

ج: قال الطبري ﭬ:

وأما قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] فإنه يعني به إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران ـ الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك.

س: هل تحققت دعوة إبراهيم حيث دعا: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]؟ ومن هذا الرسول؟

ج: نعم تحققت، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [الجمعة: ٢]، وهذا الرسول هو محمد ﷺ.

س: في هذه الآيات مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن إبراهيم وإسماعيل ث توسلا إلى الله ٥ بهذه الأسماء.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله أعلم.

وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ
نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ
أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ
بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ
لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢

الكلمة	معناها
﴿يَرۡغَبُ عَن﴾	رغب في الشيء: أحبَّه، ورغب عن الشيء: كرهه وأعرض عنه، ويرغب عن: يترك ـ يزهد في.
﴿مِّلَّةِ﴾	دين.
﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾	فيها أقوال منها: سفه في نفسه ـ أهلك نفسه ـ جلب لنفسه السفه ـ جهل نفسه (وانظر معناها باستفاضة فيما يأتي إن شاء الله).
﴿ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ﴾	اخترناه ـ اجتبيناه.
﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	قال الطبري $: الصالح هو: المؤدي حقوق الله عليه، وقال القرطبي: والصالح في الآخرة هو: الفائز.
﴿أَسۡلِمۡۖ﴾	أَخلص العبادة ـ اخضع بالطاعة ـ امتثل الأمر.
﴿وَوَصَّىٰ﴾	أمر.

س: ما المراد بـ ﴿ وَمَن ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠]؟

ج: قال بعض العلماء: إن المراد بها الاستفهام الذي يحمل التقريع والتوبيخ، والله أعلم.

|

س: ما ملة إبراهيم غ؟

ج: ملة إبراهيم غ هي الحنيفية السمحة، وهي الإسلام، دليل ذلك ما يلي:

۞ قول الله ع: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

۞ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

۞ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مسلمًا ومن ثَمَّ فإبراهيم غ كان مسلمًا وقد تقدم صريحًا، إلى غير ذلك من الآيات، والله أعلم.

|

س: من الذين رغبوا عن ملة إبراهيم؟

ج: هم اليهود والنصارى وكل من حاد عن الإسلام، وقد روى الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة(1) قال: قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية، بدعة ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم ـ يعني: الإسلام ـ حنيفًا، كذلك بعث الله نبيه

---

(1) الطبري (أثر 2083).

محمدًا ﷺ بملة إبراهيم.

س: وضح معنى ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال نورد منها ما يلي:

1 ـ سفه نفسه أي: سفِّه في نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي: لا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله، ومعنى سفه نفسه أي: جهل في نفسه.

2 ـ سفه نفسه أي: أهلك نفسه.

3 ـ سفه نفسه أي: ظلم نفسه.

4 ـ سفه نفسه أي: جهل، والسفه هنا صفة للنفس أي: نفسه سفيهة أو سفهت نفسه، قال الطبري $: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]: إلا من سفهت نفسه، وقد بينا فيما مضى أن معنى (السفه): الجهل.

فمعنى الكلام: وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها في معادها كما:

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] قال: إلا من أخطأ حظه(1).

قال الطبري $: وإنما نصب (النفس) على معنى المفسر وذلك أن (السفه) في الأصل للنفس فلما نقل إلى (من) نصبت (النفس) بمعنى التفسير كما يقال: (هو أوسعكم دارًا) فتدخل الدار في الكلام على أن السعة فيها لا في الرجل، فكذلك (النفس) أدخلت لأن السفه للنفس لا لـ (من)، ولذلك لم يجز أن يقال: (سفه أخوك) وإنما جاز أن يفسر بالنفس وهي مضافة إلى معرفة لأنها في تأويل نكرة.

5 ـ ومن العلماء من حمل سفه نفسه على ظاهرها ففسر سفه بمعنى جهل، وسفه نفسه أي: جهل نفسه، والمعنى جهل نفسه وما فيها من الآيات والدلالات

---

(1) إسناده حسن إلى ابن زيد.

والعبر على توحيد الخالق سبحانه وعلى أن الفطرة هي الإسلام.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: (معاني القرآن وإعرابه 1 / 211): والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل، فالمعنى ـ والله أعلم ـ إلا من جهل نفسه أي: لم يفكر في نفسه كقوله ۵: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

۞ وأشار القرطبي خ: إلى قول الزجاج وقال: فيفكر في نفسه من يدين يبطش بهما ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها وأذن يسمع بها، ولسان ينطق به وأضراس تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى الغذاء ليطحن بها الطعام، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء، وكبد يصعد إليه صفوه، وعروق ومعابر ينفذ فيها إلى الأطراف، وأمعاء يرسب إليها ثفل الغذاء ويبرز من أسفل البدن فيستدل بهذا على أن له خالقًا قادرًا حكيمًا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] أشار إلى هذا الخطابي $.

س: ما سبب اصطفاء إبراهيم ﷺ في الدنيا وعلو منزلته في الآخرة؟

ج: لذلك أسباب، وقبل هذه الأسباب إرادة الله ۵.

۞ ثم سرعة امتثال إبراهيم غ لأمر الله ۵ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. [البقرة: ١٣٠، ١٣١]

صبره ﷺ، فلما ابتلاه ربه بالكلمات (1) أتمهن ﷺ ووفى بهن كما أخبر الله.

۞ شكره لنعم الله ۵ عليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا

(1) وقد تقدم تفسير هذه الكلمات، ومنها أن الله ابتلاه في بدنه بالختان وهو ابن ثمانين سنة فاختتن بالقدوم، وابتلاه الله بالإلقاء في النار فصبر على ذلك، وابتلاه الله في ولده بأن أمره بذبحه فوفي بذلك إلى أن فداه الله بذبح عظيم، وابتلاه الله بلقاء الجبابرة فالتقى بهم وقال كلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258] إلى غير ذلك مما تقدم.

وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].إلى غير ذلك.

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠]؟

ج: وجه ذلك أن الله ﻷ لما قال لإبراهيم ؛ أسلم فقال إبراهيم: أسلمت لرب العالمين فحينئذ اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين، والله أعلم.

س: هل إبراهيم ؛ لم يكن مسلمًا حتى قال الله له أسلم؟

ج: بل كان إبراهيم ؛ مسلمًا، وإنما المراد والله أعلم أن الله ﻷ أمره بزيادة الانقياد والخضوع والإخلاص والامتثال لله ﻷ، ونظير ذلك قوله ﻷ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ [البقرة: ١٣٢] يرجع إلى ماذا؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

الأول: أن الضمير يرجع إلى الملة وهي الإسلام.

الثاني: أن الضمير يرجع إلى قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] والمؤدي واحد، والله أعلم.

س: الوفاة على الإسلام مطلب لأهل الصلاح اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

- قول يوسف ﷺ: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].
- قول المؤمنين بموسى ؛: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾. [الأعراف: ١٢٦]

۞ قول إبراهيم ﷺ ويعقوب لأبنائهما: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[البقرة: ١٣٢]

۞ قول النبي ﷺ: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»(1).

س: من هم بنو إبراهيم الذين أوصاهم إبراهيم بقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ومن هم بنو يعقوب؟

ج: أما بنو إبراهيم ﷺ، فالمذكوران في كتاب الله ﷺ إسماعيل وإسحاق ﷺ.

أما بنو يعقوب فهم: يوسف وإخوته الأحد عشر، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالدين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج: المراد الإسلام، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

[آل عمران: ١٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقول الخليل ﷺ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، والله أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن الله اختار لكم هذا الدين، وهو الإسلام.

س: ما معنى قول إبراهيم ﷺ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج: **المعنى ـ والله أعلم ـ:** الزموا هذا الدين ولا تفارقوه، فإن الموت يأتي بغتة فحافظوا على دينكم حتى تأتيكم منيتكم وأنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث 1844) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا.

وتدينون الإسلام.

ومن العلماء من قال: إن المعنى أحسنوا ظنكم بالله ۵ لقول النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ۵»(1) ، والأول أولي، والله أعلم.

س: هل وُلِدَ يعقوب غ في حياة إبراهيم ﷺ؟

ج: لم أقف على دليل صريح يفيد ذلك، لكن رأى بعض أهل العلم أنه كان حيًّا في حياة إبراهيم ﷺ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

۞ قول الله ع: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] قالوا: فلو لم يوجد يعقوب في حياة الخليل وسارة ث لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة.

۞ واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى في شأن إبراهيم غ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

۞ وبقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]، والله تعالى أعلم.

س: قرأ بعض أهل العلم (يعقوب) بالفتح في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢] فما وجه تأويل هذه القراءة؟

ج: تأويله أن إبراهيم غ وصى بنيه ووصى معهم يعقوب أيضًا إذ كان حاضرًا معهم.

ولكن القراءة الأُولى (أعني قراءة من قرأ يعقوب بالرفع) أوْلَى وأشهر ثم إنها متواترة كذلك، فالتأويل على أنها مرفوعة أولى ، وحينئذ يكون المعنى أن يعقوب كذلك أوصى بنيه ، والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث 2877) من حديث جابر بن عبدالله ة مرفوعًا.

(276) أحمر
أسود

س: قولـــه تعـــالى: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] **من قائله؟**

ج: الذي يظهر لي أن قائله هو إبراهيم ويعقوب ، والله تعالى أعلم.

أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤

الكلمة	معناها
﴿أَمۡ كُنتُمۡ﴾	أكنتم(1)؟ ـ بل كنتم.
﴿شُهَدَآءَ﴾	شهودًا، أي: حضورًا.
﴿خَلَتۡۖ﴾	مضت.
﴿كَسَبَتۡ﴾	عملت.

(1) قال الطبري $: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أكنتم؟ ولكنه استفهم بـ (أم) إذ كان استفهامًا مستأنفًا على كلام قد سبقه كما قيل: ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [السجدة: ١ - ٣]، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بـ (أم).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ [البقرة: ١٣٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

۞ **الأول:** أكنتم حضور مرض موت يعقوب غ حتى تفتروا عليه وتنسبوا إليه أنه يهودي أو نصراني؟!!!

كلا بل لم تكونوا حاضرين، وإنما هي افتراءات تفترونها، وقد سأل يعقوب غ بنيه عند موته ما تعبدون من بعدي فأقروا بأنهم يدينون من بعده لله ٥ إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا وهم له مسلمون.

۞ **الثاني:** أن معنى ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٣] بل كنتم، وعليه فالمعنى: بل كنتم يا أهل الكتاب حاضرين موت يعقوب غ (والمراد أسلافكم كانوا حضور موت يعقوب غ) وعلموا أنه سأل أولاده عن دينهم وأقروا بأنهم اختاروا دينه ودين آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وهو دين الإسلام، ولكنكم يا أهل الكتاب جحدتم ذلك ونسبتم إليه اليهودية والنصرانية ونسبتموه إليها وهو منها بريء، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري $: وتأويل الكلام: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت أي: أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وصَّوا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم، وهذه آيات نزلت تكذيبًا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم في هذه الآية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له.

۞ **وقال ابن عطية $ في المحرر:** هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية فرد الله تعالى عليهم وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية والإسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فَتَدَّعُون عن علم؟ أي: لم تشهدوا بل أنتم تفترون، و (أم) تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية، ثم قال: وقال قوم: أم بمعنى بل، والتقدير: بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ولكنكم كفرتم جحدًا ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عنادًا. والأظهر أنها بمعنى بل وألف الاستفهام معًا، والله أعلم.

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ...﴾ [البقرة: ١٣٣] لمن؟

ج: أكثر أهل العلم على أن الخطاب لأهل الكتاب، ومن العلماء من قال: إنه خطاب للمؤمنين، والأول أظهر، والله أعلم.

س: من المراد بالأمة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤]؟

ج: المراد بالأمة هم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط(1)، والله أعلم.

س: لماذا قدّم إسماعيل في الذِّكر على إسحاق؟

ج: قال بعض العلماء: لأنه أكبر منه سنًّا(2)، والله تعالى أعلم.

س: العرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمنزلة الآباء هل من دليل؟

ج: الدليل في قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فأُطلق على إسماعيل أب(3) وهو عم يعقوب ڠ.

---

(1) والأسباط: هنا هم أولاد يعقوب عليه السلام.

(2) وقد روى ذلك الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (أثر رقم 2089).

(3) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن ذلك على سبيل التغليب في هذا الموطن، والله أعلم.

س: بعض العلماء يجعل الجد أبًا يحجب الإخوة عن الميراث هل من دليل لهم على ذلك؟ ومن مِن الصحابة قال بذلك؟

ج: أما الدليل على ذلك فهو قول أبناء يعقوب غ: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فجعلوا إبراهيم أبًا ليعقوب غ مع أنه جده.

وكذلك قول يوسف ﷺ: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، وإبراهيم جد يوسف ﷺ.

۞ أما الصحابة القائلون بذلك فمنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ؓ(1) ومنهم أيضًا عبدالله بن عباس ؓ(2).

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [البقرة: ١٣٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: حضرته مقدمات الموت وعلاماته.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] واذكر بعض الآيات والأحاديث التي تؤدي معناها؟

ج: أما بالنسبة لمعناها فقد قال الحافظ ابن كثير خ: أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرًا يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

۞ **وقال الطبري $:** يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما

---

(1) أخرج البخاري في صحيحه (حديث 3658) بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال: أما الذي قال رسول الله ﷺ: **«لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذته»** أنزله أبًا يعني: أبا بكر.

(2) أخرج ابن أبي حاتم (التفسير 1291) بإسناد صحيح إلى ابن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: الجد أب ويتلو ابن عباس: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: 133].

هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم، فإنهم أمة ـ ويعني بـ (الأمة) في هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس، قد خلت: مضت لسبيلها.

وقال أيضًا: ويعني بقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] أي: ما عملت من خير، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشرٍّ لأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم، فإن الدعاوي غير مغنيتكم عند الله، وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم إن كنتم عملتموها وقدمتموها.

قلت: أما الآيات والأحاديث في معنى الآية الكريمة فمنها ما يلي:

- قول الله ع: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤].
- وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
- وقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].
- وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور: ٥٤].
- وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].
- وقول النبي ﷺ: **«من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه»**(1).
- وحديث أبي هريرة ڤ(2) قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: **«يا معشر قريش** ـ أو كلمة نحوها ـ **اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا،**

---

(1) صحيح، وقد تقدم.
(2) أخرجه البخاري حديث (4771)، ومسلم حديث (206).

يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا».

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
١٣٥

الكلمة	معناها
﴿هُودًا﴾	يهودًا.
﴿حَنِيفًاۖ﴾	مستقيمًا ـ مخلصًا ـ مائلًا (أي: عن الشرك إلى التوحيد).

س: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥] إجمال، فصِّل هذا الإجمال؟

ج: تفصيله ـ والله أعلم ـ أن اليهود قالوا للمسلمين: كونوا يهودًا تهتدوا.

والنصارى قالوا للمسلمين: كونوا نصارى تهتدوا.

س: ما المراد بقولهم: ﴿تَهۡتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ تهتدون للحق وتدخلون الجنة، كما قالوا: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١١١].

س: على أي أساس نصبت ملة في قوله تعالى: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

ج: نصبت على أن هناك مقدرًا محذوفًا وهو (نتبع) والمعنى: بل نتبع ملةَ إبراهيم حنيفًا.

س: لماذا قيل: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾ [البقرة: ١٣٥]؟

ج: لأن اليهود والنصارى مقرون بنبوته ، فالإجابة عليهم من الجانب الذي أقروا به فكأنه قيل لهم: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على الشهادة لها بأنها دين الله ﷻ الذي ارتضاه واجتباه وأمر به. قال الطبري $: احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدًا نبيه ﷺ فقال: يا محمد قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥]: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يُجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقرُّ بها بعضنا فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم.

س: اذكر مزيدًا من أقوال أهل العلم في تفسير الحنيف؟

ج: ذكر عدد من العلماء أن الحنيف هو المستقيم، وقال آخرون: هو الحاج وقال آخرون: هو المخلص، وقيل: هو المائل(1) (أي: مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام) كما قال الشاعر:

ولكنا خُلقنا إذ خُلقنا حنيفًا ديننا عن كل دين

۞ وبعض العلماء يقولون: إنما سمي دين إبراهيم الحنيفية؛ لأنه أول من سنَّ الاختتان.

قال الطبري $: (الحنَف) عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته، وذلك أن (الحنيفية) لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفًا بقوله: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

فكذلك القول في الختان لأن (الحنيفية) لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

فقد صح إذًا أن (الحنيفية) ليست الختان وحده ولا حجَّ البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عليها والائتمام به فيها. انتهى ما قاله الطبري خ.

۞ وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى قتادة قال: الحنيفية شهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرَّم الله ٥ والختان، وكانت حنيفة في الشرك، كانوا أهل الشرك وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت وينسكون

---

(1) من قولهم رجل حنيف، وتحنَّف الرجل إذا مال، والأحنف هو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها، قالت أم الأحنف تُرَقصه:

والله لولا حَنَفٌ في رِجْلِهِ ودِقةَ في ساقِهِ من هُزْلِهِ
ما كان في فتياتكم مِنْ مِثْلِهِ

المناسك(1).

|

س: لماذا نسبت الحنيفية إلى إبراهيم غ ولم تنسب إلى من قبله من الأنبياء ألم يكونوا حنفاء هم وأتباعهم؟!

ج: بل كانوا حنفاء ـ ؤ ـ هم وأتباعهم، أما سؤال الباب فقد أجاب عليه الطبري $ بقوله: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعًا طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم فجعله إمامًا فيما بيَّنه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي فسمي الحنيف من الناس حنيفًا باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل: (يهودي ـ نصراني ـ مجوسي) وغير ذلك من صنوف الملل.

|

س: لماذا أطلق على معوج الرجلين أحنف (مع أن الأحنف معناه المستقيم كما ذكرتم عن بعض العلماء)؟

ج: أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بالشفاء والسلام، كما قيل للديغ: سليم تفاؤلاً بالشفاء، وللأعمى بصير تفاؤلاً كذلك، وكما قيل للمُهْلِكَةِ من الأرض: مفازة، والله أعلم.

|

س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥] في الرد على اليهود والنصارى؟

ج: وجهه أن الله ۵ نفى عن إبراهيم غ الشرك، ولكن اليهود والنصارى قد أشركوا فادعت اليهود أن عزيرًا ابن الله، وادعت النصارى أن المسيح ابن

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1307).

(287) أحمر
أسود

الله، فخالفوا بذلك ملة إبراهيم ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] فبين الله ﷻ شرك اليهود والنصارى في هذه الآيات، وبيَّن في آية البقرة ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، براءة إبراهيم ﷺ من هذه الأديان التي يزعم أهلها أن اتباعها فيه الهداية، والله تعالى أعلم.

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا
نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ
ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ
فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ
وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨

الكلمة	معناها
﴿ءَامَنَّا﴾	صدقنا.
﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ (1)	الأسباط هم: أبناء يعقوب الاثنا عشر، وقيل: هم بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وقيل الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب
﴿تَوَلَّوۡاْ﴾	أعرضوا.
﴿شِقَاقٖۖ﴾	فراق الحق (2) ـ المجادلة والمخالفة والتعادي ـ عصيان.
﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ﴾	سيكفيك شرهم وينصرك عليهم ويمكنك منهم.
﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾	دين الله ـ فطرة الله.

س: الخطاب لمن في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦] ولمن أُمروا أن يقولوه؟

ج: الخطاب للمؤمنين، وأُمروا أن يقولوا هذا القول لليهود والنصارى

---

(1) أخرج الطبري (2104) بإسناد حسن عن قتادة قال: الأسباط يوسف وإخوته، بنو يعقوب ولد اثني عشر رجلاً فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا (أسباطًا).

(2) ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ﴾ [النساء: 35].

القائلين: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا.

ويقول المؤمنون هذا القول أيضًا لكل أحد كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

س: ما الذي أنزل على إبراهيم وما الذي أوتاه موسى وعيسى» و ؟

ج: الذي أنزل على إبراهيم ﷺ هو الصحف المذكورة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] ، والذي أنزل على موسى ﷺ هو التوراة والذي أنزل على عيسى ﷺ هو الإنجيل ، قال تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

س: قال الله ﷻ للمؤمنين: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] فهل قال المسلمون ذلك؟ وما جزاء من امتثل ذلك؟ وما جزاء من خالفه؟

ج: نعم قال المؤمنون ذلك قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وجزاء من امتثل ذلك ما ذكره الله تعالى حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[النساء: ١٥٢]

۞ وجزاء من خالفه ما ذكره الله في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

س: إذا أخبرنا أهل الكتاب بخبر فماذا يجب علينا تجاه هذا الخبر؟

ج: إذا كان هذا الخبر موافقًا لكتاب الله ۵ الذي بين أيدينا قبلناه وإذا كان هذا الخبر يُكذبه كتاب ربنا رددناه.

وإذا لم يوافق ولم يخالف توقفنا فيه لما رواه البخاري(1) من حديث أبي هريرة ڤ قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم** ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]» والله تعالى أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]؟

ج: قال الطبري $: يعني تعالى ذكره بذلك ﴿قُولُوٓاْ﴾، أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم، ﴿كُونُوا هُودًا أَوۡ نَصَارَىٰ تَهۡتَدُوا﴾، ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: صدقنا ﴿بِٱللَّهِ﴾.

قال: وقد دللنا فيما مضى أن معنى (الإيمان) التصديق بما أغنى عن إعادته وقال أيضًا: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، يقول أيضًا: صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به فكان ـ وإن كان تنزيلاً إلى رسول الله ﷺ بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من المعاني التي وصفت ويعني بقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، صدَّقنا أيضًا وآمنا بما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وهم الأنبياء من ولد يعقوب.

وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٦]، يعني وآمنا أيضًا بالتوراة التي آتاها الله موسى وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى والكتب التي آتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدِّق بعضهم بعضًا على منهاج واحد في

(1) أخرجه البخاري حديث (4485)، والنسائي في السنن الكبرى في التفسير (11387).

الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] يقول: لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضًا كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد ث وأقرَّت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرَّت بغيره من الأنبياء بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى(1).

س: كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ...﴾ [البقرة:١٣٦]، في بعض الصلوات فما هي الصلاة التي كان النبي ﷺ يقرؤها فيها؟

ج: كان النبي ﷺ يقرؤها في ركعة من الركعتين اللتين قبل الفجر فقد ثبت في صحيح مسلم(2) من حديث ابن عباس ﭭ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ...﴾، الآية التي في البقرة [البقرة: ١٣٦]، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(3) [آل عمران: ٥٢].

وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ...﴾ [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].

س: وضح معنى الشقاق بشيء من التفصيل؟

ج: معنى الشقاق في الأصل الفراق، والمراد أن هؤلاء المعاندين أصبحوا

---

(1) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (2103) قال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: 136]، إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرّقوا بين أحدٍ منهم.

(2) حديث (727).

(3) وكان يقرأ أيضًا في ركعتي الفجر في الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وفي الثانية بـ:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقد أخرج مسلم (حديث) من حديث أبي هريرة ﭬ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

في شق، والحق والحنيفية السمحة في شق آخر، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

۞ **روى الطبري بإسناد حسن**(1) عن قتادة قال: ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: في فراق.

۞ وروى كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد(2) قال: ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، قال الشقاق: الفراق والمحاربة إذا شاقَّ فقد حارب وإذا حارب فقد شاقَّ وهما واحد في كلام العرب، وقرأ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥].

۞ وقال الطبري $: وأصل (الشقاق) عندنا ـ والله أعلم ـ مأخوذ من قول القائل: (شقَّ عليه هذا الأمر) إذا كربه وآذاه، ثم قيل: (شاقَّ فلانٌ فلانًا) بمعنى نال كل واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه وأثقلته مساءته، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]، بمعنى فراق بينهما.

وقال القرطبي $: .... وقيل الشقاق: المجادلة والمخالفة والتعادي، وأصله من الشِّق وهو الجانب، فكأن كل واحدٍ من الفريقين في شق غير شق صاحبه، قال الشاعر:

إلى كم تقتل العلماء قسرًا   وتفجر بالشقاق وبالنفاق

وقال آخر:

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم   بُغاة ما بقينا في شقاق

وقيل: إن الشقاق مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب، فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه.

---

(1) الطبري (2110).
(2) الطبري (أثر 2112).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]؟

ج: قال الطبري $: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، فإن صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفِّقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك.

س: هل أتم الله ٥ لنبيه ﷺ الوعد الذي وعده إياه وأنجزه له في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]؟

ج: نعم أتم الله لنبيه ﷺ هذا الوعد الذي وعده إياه فسلطه على بعضهم بالقتل والإجلاء من الديار وسبي بعضهم وضرب الجزية على آخرين منهم، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن ملة إبراهيم ؑ - وهي الحنيفية السمحة - هي الصبغة التي يصبغ الله ٥ بها أهل الإيمان ونعم الصبغة هي، وليست هي كصبغة اليهود والنصارى إذا أرادوا أن يهوِّدوا أبناءهم أو ينصِّروهم عمدوا إلى ماء فجعلوهم فيه زعموا أن ذلك تقديس. وبنحو ذلك قال أهل التأويل:

فقد روي بإسناد حسن عن قتادة(1) $ أنه قال: قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، إن اليهود تصبغ أبناءها يهود، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، وأن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا

(1) أخرجه الطبري (أثر 2113).

أطهر، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده.

وقال الطبري $: يعني تعالى ذكره بـ (الصبغة) صبغة الإسلام، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره ـ إذ قالوا لنبيه محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين به: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصِّبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجَّة هداه.

س: على أي أساس نُصب قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]؟

ج: الذي يظهر أنه نُصب على الإغراء ، والمعنى الزموا صبغة الله .

وقيل إنها بدل من قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، أي: بدل من ملة. والله أعلم.

(295) أحمر
أسود

قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ
أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ
١٣٩ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ
ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً
عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ
١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا
كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١

الكلمة	معناها
﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾	أتخاصموننا(1) ـ أتجادلوننا.

(1) روى الطبري (2130) بإسناد صحيح إلى ابن زيد: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [البقرة: 139]. أتخاصموننا؟

س: قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ [البقرة: ١٣٩]، خطاب لمن؟

ج: هو أمر من الله ▌ لنبيه محمد ﷺ أن يقول لليهود والنصارى الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه والقائلين:﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ [البقرة: ١٣٥]، أتحاجوننا...

س: ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٩]؟

ج: المراد الإنكار والتوبيخ، والله أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فِي ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٩]؟

ج: قيل: إن المراد (دين الله)، ولقائل أن يقول: إنه على ظاهره والمعنى أن المسلمين يقرون لله ٥ بصفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ، وينفون عنه الولد بينما اليهود والنصارى على غير ذلك فهم ينسبون لله الولد فاليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٣٩]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ماذا تريدون أن تحاجوننا فيه؟!!! فهل توحيد الله ٥ والإخلاص إليه والانقياد له واتباع أوامره وترك زواجره يحتاج إلى مناظرة؟!!

أتحاجوننا في الله وتزعمون أنكم أولى بالله منا لكون نبيكم قبل نبينا وكتابكم نزل قبل كتابنا، فإن كان هذا هو احتجاجكم فليست الأسبقية بمجدية هنا لأن ربنا وربكم واحد ونحن لم نغير ولم نبدل ولم نشرك بالله شيئًا كما أشركتم يا يهود فجعلتم عزيرًا ابن الله وكما أشركتم يا نصارى فزعمتم أن المسيح ابن

الله، فليست أسبقيتكم بنافعتكم شيئًا مع شرككم بالله ٥.

۞ أتخاصموننا يا يهود أن الله اصطفى منا ـ نحن العرب ـ نبيًّا ولم يصطفه منكم، فالله ربنا وربكم وهو سبحانه يصطفي من خلقه ما يشاء ويختار من يريد!

۞ وقوله تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٤٠]، فحواه: أم تحاجوننا يا معشر اليهود والنصارى بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى، فإن زعمتم ذلك فأنتم مفترون في دعواكم، والله يعلم أنكم تكتمون الشهادة لهؤلاء ـ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ـ بالإسلام وما الله بغافل عما تعملون، والله أعلم.

|

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الإخلاص؟

ج: لأهل العلم في معنى الإخلاص أقوال منها ما يلي:

1 ـ أن الإخلاص هو العمل ابتغاء وجه الله وترك الرياء والبعد عنه.

2 ـ قال قوم: الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضًا في الدارين ولا حظًّا من الملكين.

3 ـ قال بعض العلماء: الإخلاص سر بين العبد وبين ربه لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيميله.

|

س: اذكر آية كريمة تدحض دعوى اليهود والنصارى في ادعائهم أن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا؟

ج: الآية هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٧].

(298) أحمر
أسود

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وما الشهادة التي كتموها؟

ج: قيل: إن المعنيين هم اليهود والنصارى، والشهادة التي كتموها هي كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين(1).

والقول الثاني أن المعنيين بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]، هم اليهود، والشهادة التي كتموها هي صفة محمد ﷺ المثبتة في كتبهم(2).

والقول الأول أظهر لأن سياق الكتاب العزيز في هذا الموطن يؤيده والله تعالى أعلم(3).

س: ما وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

ج: وجه هذا التذييل أنه يحمل التهديد لليهود والنصارى الذين قد تسوّل لهم أنفسهم شهادة الزور ويدَّعون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

---

(1) قال الطبري رحمه الله تعالى: فإن زعمت يا محمد اليهودُ والنصارى ـ الذين قالوا لك ولأصحابك: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: 135]، أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى فمن أظلم منهم، يقول: وأي امرئ أظلم منهم؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين.

(2) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (2136): ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: 140]، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتموا محمدًا ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

وروى الطبري بإسناد صحيح (2139) عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: 140]، قال: هم يهود يُسألون عن النبي ﷺ وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة.

(3) قال الطبري رحمه الله: وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لأن قوله تعالى ذكره: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: 140]، في إثر قصة من سمَّى الله من أنبيائه وأمام قصته لهم، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره.

والأسباط كانوا هودًا أو نصارى، والله أعلم.

س: اذكر آية كريمة في ذم كتمان الشهادة؟

ج: الآية الكريمة هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ لا أحد أشد ظلمًا ممن كتم شهادة الله التي عنده وأخفاها، وقد كتم اليهود والنصارى شهادة الله التي عندهم مما يخص إبراهيم ومما يخص محمدًا صلى الله عليهما وسلم، وكذلك كتموا ما يتعلق بالشرائع والفروع، فمن ذلك أن في كتبهم أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين، وما كانوا يهودًا ولا نصارى فقد جاءوا قبل اليهودية والنصرانية، وكانوا قبلها خاضعين لله مستسلمين له مقرين بالعبودية له والوحدانية.

وكتموا صفة محمد ﷺ فقد كانت صفته عندهم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وكتموا أيضًا أحكام الله في الزنا كما قد تقدم من وضعهم أصابعهم على آية الرجم أمام رسول الله ﷺ (1)، والله أعلم.

(1) أخرج البخاري (حديث 7543)، ومسلم (حديث 1699) من حديث ابن عمر ﭬ قال: أُتي النبي ﷺ برجل وامرأةٍ من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسخِّم وجوههما ونخزيهما قال: فأْتوا =

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]؟

ج: لأهل العلم في طريقة الجمع وجوه نذكر منها وجهين:

أحدهما: إنهما في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم) أعني أن مانع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه، الساعي في خرابها على درجة من الظلم تساوي من كتم شهادة عنده من الله.

الثاني: إن ذلك على الاختصاص بمعنى أنه ليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وليس من كاتمي الشهادة أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، والله أعلم.

س: لماذا كُرِّر قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي:

1 - أنه كرر للتهديد والتخويف، والمعنى أنه إذا كان أولئك الأنبياء على طاعتهم لله وفضلهم يُجازون يوم القيامة بكسبهم فأنتم أحرى أن تجازون بكسبكم كذلك.

2 - أنه كرر لقطع التعلق بالمخلوقين وتنبيهًا لليهود ولمن يتكل على فضل آبائه وأجداده وشرفهم كي لا يتكلوا على فضل الآباء فكلٌّ يؤاخذ بعمله والمعول عليه هو ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال لا بالانتساب إلى الرجال.

=بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فجاءوا فقالوا لرجل ممن يرضون: يا أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه قال: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تَلُوح فقال: يا محمد إن عليهما الرجم ولكنَّا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرُجما فرأيته يُجانيء عليها الحجارة.

3 ـ كرر لشدة حاجة الناس إلى معرفته(1).

4 ـ كرر لأنه إذا اختلفت مواطن الحِجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]؟

ج: قال الطبري $: قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك في الله من اليهود والنصارى إن كتموا ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سمَّينا معه وأنهم كانوا مسلمين وزعموا أنهم كانوا هودًا أو نصارى فكذبوا: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أمة قد خلت ـ أي: مضت لسبيلها فصارت إلى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير في أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها إلا سيئها، فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فإنكم إن كان هؤلاء، وهم الذين بهم تفتخرون وتزعمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدَّموا من صالح الأعمال ولا يضرهم غير سيئها فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال ولا يضركم غيرُ سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها

(1) قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل 2 / 278) قال الراغب: إعادة هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمة في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بآبائهم ويقتدوا بهم في متحرياتهم لا سيما في أمور دينهم، ولهذا حكي عن الكفار قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22]، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة، وذكر في إثر ما حكي من وصية إبراهيم ويعقوب بنيه بذلك تنبيهًا أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه، وفي الثاني لما ذكر ادعاءهم اليهودية والنصرانية لآبائهم أعاد أيضًا تأكيدًا عليهم تنبيهًا على نحو ما قال: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: 13]، وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: 286]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164]، ولما جرت به عادتهم وتفردت به معرفتهم كل شاة تناط برجليها.

بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفِرية على الله وعلى أنبيائه ورسله، ودعوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد فإنما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط يعملون من الأعمال؛ لأن كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فإنما تسأل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها. والله أعلم.

سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ
ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي
مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ
أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ
ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ
عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ
عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ
رَّحِيمٞ ١٤٣

(304) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾	الجهال (والمراد بهم هنا: اليهود وأهل الشرك والنفاق).
﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ﴾	أي شيء صَرَفَهُمْ وَحَوَّلَهُمْ.
﴿أُمَّةً﴾	القرن من الناس والصنف من الناس (المراد هنا ـ والله أعلم ـ أتباع محمد ﷺ).
﴿وَسَطًا﴾	عدلًا ـ خيارًا.
﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾	يرتد عن دينه (والعقب: مؤخر القدم).
﴿لَكَبِيرَةً﴾	مشقة ثقيلة.
﴿إِيمَٰنَكُمۡ﴾	صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس.
﴿لَرَءُوفٌ﴾	الرأفة: أشد الرحمة وأكثر الرحمة(1).

(1) قال الطبري $: و (الرأفة) أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة، وقال القرطبي $: والرأفة أشد من الرحمة، وقال أبو عمرو بن العلاء: الرأفة أكثر من الرحمة والمعنى متقارب.

س: ما معنى السفهاء؟ ومن هم السفهاء من الناس؟ ولماذا أطلق عليهم سفهاء؟

ج: السفهاء هم الجهال، والسفهاء من الناس هم اليهود، وقد قال بذلك البراء بن عازب ﭬ(1) ، وقيل: إنهم المنافقون، وقيل: هم مشركو العرب، وكل هؤلاء: (اليهود، وأهل النفاق، ومشركو العرب) سفهاء، فلا مانع من أن يكونوا كلهم قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها.

أما لماذا أطلق عليهم سفهاء فاليهود أطلق عليهم سفهاء لأنهم سَفِهُوا الحق وأنكروه، وأهل النفاق جهلوا أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه قادر على أن يحول المسلمين من قبلة إلى أخرى، وجهلوا حكمة الله في ذلك، أما أهل الشرك فهم سفهاء أصلاً لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان.

س: في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ﴾ [البقرة: ١٤٢] دليل من دلائل النبوة وضحه؟

ج: إيضاحه أن الله ٥ أخبر نبيه ﷺ بشيء لم يك قد وقع وأخبر النبي أمته بذلك فوقع الأمر كما أخبر نبيه وكما أخبر نبيُّه الناس، والله أعلم.

س: بماذا يُردُّ على السفهاء القائلين: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢]؟

---

(1) أخرجه الطبري (2145) بإسناد رجاله ثقات عن البراء بن عازب ﭬ قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: اليهود.

وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا وإلى ابن إسحاق، وفي بعض الروايات (أهل الكتاب) بدلاً من اليهود، وهي محمولة على الأولى بمعنى أن أهل الكتاب يُراد بهم هنا اليهود.

والإسناد لا تشوبه إلا عنعنة أبي إسحاق ولا أراها تضر في مثل هذا الموطن، فالأثر عن البراء بأنهم اليهود صحيح.

ولكن هذا لا ينفي أن يكون المنافقون قالوا كذلك أيضًا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة: 142] وأهل الشرك كذلك قالوا نحوه، ومن ثمَّ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (والآية عامة في كل هؤلاء) والله أعلم.

ج: يُـردُّ علـيهم بــ:﴿لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[البقرة:١٤٢]
أي: أن الاتجاهات كلها لله وملك المشرق والمغرب وما بينهما لله سبحانه، وليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق والمغرب إنما العبرة بطاعة الله ﻷ وامتثال أمره كما قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهكذا يُردُّ على كل ملحد حاجج المؤمنين في عبادتهم، فإن قال لنا قائل: لماذا تطوفوا بالكعبة وتسعون بين الصفا والمروة وترمون الجمار وتقفون بعرفات؟... فالإجابة على كل هذا أن هذا أمر الله ونحن لربنا مسلمون طائعون، والله أعلم.

|

س: ما فائدة الإخبار بقول السفهاء قبل وقوعه؟

ج: فائدته توطين النفس وتأهيلها لاستقبال ما سيقوله هؤلاء السفهاء، وتهوين صدمة القول وتخفيف روعته، والإشارة إلى سفاهة القائل وجهله قبل أن يتكلم بالكلام.

وقد تقدم أن في الآية الكريمة نوع إعجاز للإخبار بالغيب، والله أعلم.

|

س: بعض العلماء يرى أن في الآية الكريمة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢] نسخًا للسنة بالقرآن وضح ذلك؟ واذكر دليلاً آخر يدل على نسخ السنة بالقرآن؟

ج: وجه الدلالة من الآية الكريمة على نسخ السنة بالقرآن أن النبي ﷺ كان يُصلي إلى بيت المقدس وليس هناك نص ظاهر في كتاب الله بالأمر بذلك، ثم جاء الأمر بالتوجه إلى الكعبة فنسخ ما كان من توجهٍ إلى بيت المقدس، ودليل آخر في هذا الباب وهو ما أخرجه البخاري(1) من حديث المسور بن مخرمة ﭬ في قصة صلح الحديبية... وفيه أن سهيل بن عمرو قال لرسول الله ﷺ في

(1)حديث (2731)، (2732) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل منهما حديث صاحبه.

بنود الصلح:.. وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا... الحديث، وفيه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

والشاهد من الحديث ـ على قول لبعض العلماء(1) ـ: إن الاتفاقية بين رسول الله ﷺ وبين المشركين كان من بنودها أنه لا يأتيه مسلم منهم إلا ردَّه إليهم، فنسخ الله سبحانه ذلك في شأن المؤمنات بقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ [الممتحنة: ١٠].

س: في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢] دليل على النسخ وضحه؟

ج: إيضاحه أن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فأمرهم الله بالتحول إلى الكعبة فكان ذلك التوجه نسخًا لتوجههم إلى الكعبة.

قال القرطبي $: في هذه الآية دليل واضح على أن في أحكام الله تعالى وكتابه ناسخًا ومنسوخًا، وأجمعت عليه الأمة إلا من شذ، كما تقدم، وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نُسخ من القرآن، والله أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ [البقرة: ١٤٢]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: قل لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، وله الحكم والتصرف والأمر فيهما، والمراد أن العبرة بامتثال أوامر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

[البقرة: ١٧٧]

قال الحافظ ابن كثير $: أي الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا

---

(1) وإن كان بعض العلماء يرى أن الاتفاقية كانت تنص على الرجال فقط كما هو وارد في الحديث، وبعضهم يقول: إن النساء كن داخلات في الاتفاقية بالمعنى، والله تعالى أعلم.

توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن،وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي بناء إبراهيم الخليل ؏، ولهذا قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة: ١٤٢].

س: هل كان توجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس باجتهاد منه أم بوحي من الله إليه؟

ج: للعلماء في ذلك قولان:

أحدهما: أنه كان باجتهاد منه ﷺ.

الثاني: أنه بوحي.

وعلى أية حال فرب العزة [redacted] قد أقرَّه على ذلك فقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالله هو الذي جعل القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ، وهو الذي وجهه إليها.

س: لماذا وُجِّه المسلمون أولاً إلى بيت المقدس ثم حُوِّلوا إلى الكعبة؟

ج: في هذا فتنة من الله ۵ وامتحان ليظهر المنافق المرتاب من المؤمن الموقن كما قال الله ع: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فقال أهل النفاق لما حُوِّلت القبلة: ما بال محمد يحولنا مرة إلى هاهنا ومرة إلى هاهنا؟ وقال بعض المسلمين: كيف بإخواننا الذين ماتوا وقتلوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس؟ وقال أهل الشرك: كما رجع محمدٌ إلى قبلتنا فسيرجع إلى ديننا، أما أهل الإيمان الكامل واليقين الصادق فعلموا أن كل ذلك حق وأنه من عند الله سبحانه وسمعوا له وأطاعوا ورضوا به وقرت

أعينهم، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] معطوف على ماذا؟

ج: معطوف على الهداية، فالمعنى: وكما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله ووفقناكم لاتباع ملة إبراهيم والاتجاه لقبلته وفضلناكم بذلك على سائر الملل فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا.

۞ وقيل: راجع إلى إبراهيم ؑ، فالمعنى: وكما اصطفيناه في الدنيا فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا.

۞ وقال بعض العلماء: وكما هديناكم إلى الكعبة التي هي وسط الأرض فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا.

والقول الأول أولى، والله أعلم.

س: ما معنى ﴿وَسَطًا﴾، ولماذا وُصفت أمة محمد ﷺ بأنها أمة وسط؟

ج: الوسط: العدل، وقد تقدم ذلك كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ قال: **«... والوسط العدل»** (1).

والوسط أيضًا يطلق على الخيار، ومنه قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]؛ وذلك لكونها أشرف الصلوات وينشغل الناس عنها.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] وكما قال الشاعر (وهو زهير بن أبي سلمى):

هُمُ وَسَطٌ يرضى الأنام بِحُكْمِهِم ... إذا نَزَلَتْ إحدى الليالي بِمُعْظَمِ

۞ أما لماذا وصفت أمة محمد ﷺ بأنها وسط، فكما ذكر الطبري $ حيث قال: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا

(1) أخرجه البخاري مع قصة كما تقدم، وأخرجه مختصرًا الطبري في تفسيره (2165)، وإسناده صحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143] قال: عُدولاً.

هم أهل غلوٍّ فيه غلوَّ النصارى الذي غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسطٍ واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطها.

ونقل القاسمي في «محاسن التأويل» عن شيخ الإسلام ابن تيمية $ قوله:

وهذه الفرقة الناجية أهل السنة،وهم وسط في النِّحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل. فالمسلمون وسط في أنبياء الله، ورسله، وعباده الصالحين، لم يغْلوا فيهم كما غلت النصارى فـ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ولا جفوا عنهم، كما جفت اليهود، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا، وقتلوا فريقًا. بل المؤمنون آمنوا برسل الله، وعزروهم، ونصروهم، ووقروهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، ولم يعبدوهم، ولم يتخذوهم أربابًا. كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح، فلم يقولوا: هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة. كما تقوله النصارى. ولا كفروا به، وقالوا على مريم بهتانًا عظيمًا، حتى جعلوه، ولد غية، كما زعمت اليهود. بل قالوا: هذا عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه.

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله، فلم يحرِّموا على الله أن ينسخ ما شاء، ويمحو ما شاء ويثبت. كما قالته اليهود. كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [البقرة: ١٤٢] وبقوله:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] ولا جوَّزوا لأكابر علمائهم وعبَّادهم أن يغيروا دين الله، فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا. كما يفعله النصارى. كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

قال عديُّ بن حاتم ‌ﭬ: قلت: يا رسول الله ما عبدوهم؟ قال: **«ما عبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم»**(1)، والمؤمنون قالوا: لله الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره، لا يأمر غيره، وقالوا: سمعنا وأطعنا، فأطاعوا كل ما أمر الله به. وقالوا: إن الله يحكم ما يريد. وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى، ولو كان عظيمًا، وكذلك في صفات الله تعالى، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء،وقالوا: يد الله مغلولة، وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت. إلى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به. فقالوا: إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق، ويثبت ويعاقب،والمؤمنون آمنوا بالله ❙ ليس له سميٌّ ولا ندٌّ. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فإنه رب العالمين، وخالق كل شيء. وكل ما سواه عباد له، فقراء إليه.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥] ومن ذلك: أمر الحلال والحرام. فإن اليهود كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط. ولا شحم الثَّرب (الثَّرْب: شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء. وجمعه ثروب) والكليتين. ولا

(1) في إسناده ضعف.

الجدي في لبن أمه. إلى غير ذلك، مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما. حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعًا والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمرًا.

وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يواكلوا الحائض، ولا يجامعوها في البيوت.

وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات، وباشروا جميع النجاسات، وإنما قال لهم المسيح: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. ولهذا قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وهذا باب يطول وصفه. وهكذا أهل السنة والجماعة في الفِرَق. فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته، وسط بين أهل التعطيل، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، ويعطلون حقائق ما نَعَت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات، بين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات. فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه، وما وصفه رسوله ﷺ. من غير تحريف ولا تعطيل. ومن غير تكييف وتمثيل. وهم في باب خلْقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه

لكل شيء. وبين المفسدين لدين الله. الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطِّلون الأمر والنهي والثواب والعقاب. فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم. وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فلا يكون في ملكه ما لا يريد. ولا يعجز عن إنفاذ مراده. وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات، ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل. وأنه مختار. ولا يسمونه مجبورًا. إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره. والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله. فهو مختار مريد. والله خالقه وخالق اختياره. وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبيِّ ﷺ. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء< والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية،فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله. وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة. وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان. وأن النبي ﷺ ادَّخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وسط بين الغالية الذين يغالون في عليٍّ ﭬ فيفضلونه على أبي بكر وعمر ﭬ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفَّروا الأمة بعدهم كذلك،وربما جعلوه نبيًّا أو إلهًا. وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان ﭬ، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما. ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما.

ويقدحون في خلافة علي ‌ڤ وإمامته. وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. انتهى.

س: اذكر بعض الآيات في فضل أمة محمد ﷺ؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

[البقرة: ١٤٣]

۞ وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

۞ وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

[الفتح: ٢٩]

۞ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾(1) [فاطر: ٣٢]، وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله

(1) وهم أمة محمد ﷺ على رأي فريق كبير من أهل العلم.

تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

س: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] متى تكون هذه الشهادة؟

ج: هذه الشهادة تكون في الآخرة وتكون كذلك في الدنيا.

۞ أما كونها في الآخرة فلقول الله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

۞ أما كونها في الدنيا فلما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أنس ابن مالك ﵁ قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ: **«وجبت»** ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال: **«وجبت»** فقال عمر بن الخطاب ﵁: ما وجبت؟ قال: **«هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»**، وفي رواية مسلم: **«أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض»**.

س: في ماذا تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم القيامة؟

ج: تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالات الله ﵈، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُدعى[2] نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ»** ويكون

---

(1) البخاري (مع الفتح 3 / 228)، ومسلم (مع النووي 7 / 18).
(2) أخرجه البخاري (حديث 4487).

الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط العدل.

س: استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] على حجية الإجماع، وضح وجه هذا الاستدلال، وهل من دليل آخر أصرح في الاستدلال من هذا الدليل؟

ج: حاصل قولهم أن الله ۵ وصف هذه الأمة بالعدالة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فلما وصفها بالعدالة كان من مقتضيات وصفها بالعدالة أنها إذا اتفقت على أمر كان هذا الأمر صوابًا لأنه إذا كان باطلاً اختلت عدالتها. والله أعلم.

۞ وأصرح من ذلك في الاستدلال على حجية الإجماع قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

۞ وقول النبي ﷺ: **«لا تجتمع أمتي على ضلالة»**(1)، والله أعلم.

س: من أمة محمد ﷺ من هو مسرف على نفسه، ومنهم من هو فاسق، وقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

---

(1) لهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ في كل منها ضعف ظاهر اللهم إلا حديث ابن عباس المرفوع الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (1 / 116)، والبيهقي في الصفات (2 / 136) فإسناده ظاهره الصحة إلا أنني في ريب من تصحيحه وخاصة مع توقف الحاكم ـ رغم تساهله المعروف ـ في تصحيح هذا الحديث حيث قال: لا أدعي صحته ولا أحكم بتوهينه. وكذلك فقد أخرج الترمذي بإسناد مشابه لإسناده حديثًا ووصفه بحسن غريب.

ج: الإجابة أنه حتى الفاسق من أمة محمد ﷺ الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يقر بنبوة الأنبياء ‹ و أنهم قد بلغوا أمر الله ٥، ومن ثمَّ استقام أن يكون شهيدًا على الناس في ذلك، والله أعلم.

س: رأى كثير من أهل العلم أن العدالة شرط للشهادة اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

- وقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- وقوله تعالى: ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾. [البقرة: ١٤٣]

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» عند تفسير هذه الآية: وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلاً.

س: بماذا يشهد الرسول ﷺ على أمته يوم القيامة؟

ج: يشهد الرسول على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمروا بفعله إذا هم فعلوه، وبعض أهل العلم يقول: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ هنا بمعنى: لكم، أي: يشهد لكم بالإيمان، والله أعلم.

تحويل القبلة والحكمة منه

س: ما القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتحول إلى الكعبة؟

ج: هي بيت المقدس، وذلك كما ورد في الصحيحين من حديث البراء بن عازب ‹ أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا(1) ... الحديث.

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 4486)، ومسلم (حديث 525).

(318) أحمر
أسود

س: ما الكبيرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: هي مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

وقال بعض العلماء: إنها صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى الكعبة فقد كان يشق عليهم الاتجاه إلى بيت المقدس وترك الكعبة(1).

لكن قد صحح الطبري القول الأول بقوله: وهذا التأويل(2) أولى التأويلات عندي بالصواب لأن القوم إنما كَبُر عليهم تحويل النبي ﷺ وجهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى لا عين القبلة ولا الصلاة، لأن القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهي غير كبيرة عليهم.

س: ما وجه كون تحويل القبلة كبيرة؟

ج: وجه ذلك ما ذكره الطبري بإسناد صحيح(3) إلى ابن زيد قال: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: كبيرة في صدور الناس فيما يدخل الشيطانُ به ابن آدم قال: ما لهم صلوا إلى هاهنا ستة عشر شهرًا ثم انحرفوا، فكبر ذلك في صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين، فقالوا: أي شيء هذا الدِّين؟ وأما الذين آمنوا فثبَّت الله جل ثناؤه ذلك في قلوبهم، وقرأ قول الله: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: صلاتكم حتى يهديكم

---

(1) أخرج الطبري (2215) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: صلاتكم حتى يهديكم الله ۵ القبلة.
وفي رواية أخرى بنفس السند: قال: صلاتك ها هنا يعني إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا وانحرافك ها هنا.

(2) نص التأويل الذي عناه وذكره: وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنت عليها وتوليتناك عنها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليتناك ﴿لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(3) الطبري أثر (2217).

إلى القبلة، والله أعلم.

س: الله ٥ يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان وما سيكون، وهو سبحانه يعلم من سيتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكيف يوجَّه قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: طرح الطبري خ نحو هذا السؤال في تفسيره ثم أجاب عليه فقال خ في سؤاله والجواب عليه ما نصه:

قال: فإن قال لنا قائل: أو ما كان الله عالمًا بمن يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، إلا بعد اتباع المتَّبع، وانقلاب المنقلب على عقبيه، حتى قال: ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتَّبع رسول الله ﷺ من المنقلب على عقبية؟

قيل: إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها، وليس قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، بخبر (عن) أنه لم يعلم ذلك إلا بعد وجوده.

فإن قال: فما معنى ذلك؟

قيل له: أما معناه عندنا، فإنه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، ومعناه ليعلم رسولي وأوليائي. إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس، إلى الرئيس وما فعل بهم إليه، نحو قولهم: (فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى خراجها۞)، وإنما فعل ذلك أصحابه، عن سببٍ كان منه في ذلك، وكالذي روي في نظيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله جل ثناؤه: مرضت فلم يعدني عبدي،**

واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني»(1) .

حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله: استقرضت عبدي فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني! يقول: وا دهراه! وأنا الدهر، أنا الدهر»**(2) .

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبدالرحمن ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه.

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه، وقد كان ذلك بغيره، إذا كان ذلك عن سببه.

وقد حكي عن العرب سماعًا: (أجوع في غير بطني، وأعرى في غير ظهري)، بمعنى: جوع أهله وعياله وعُرْيَ ظهورهم.

فكذلك قوله:﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، بمعنى: يعلم أوليائي وحزبي.

وأورد الطبري $ أوجهًا أخر فقال:

وقال بعضهم: إنما قيل ذلك، من أجل أن العرب تضع (العلم) مكان (الرؤية) و (الرؤية) مكان (العلم)، كما قال جل ذكره: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، فزعم أن معنى ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: ألم تعلم؟ وزعم أن معنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾، بمعنى: إلا لنرى من يتبع الرسول. وزعم أن قول القائل: (رأيت، وعلمت، وشهدت)، حروف تتعاقب، فيوضع بعضها موضع بعض،

---

(1) أخرجه مسلم (حديث 9652) من حديث أبي هريرة ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ۵ يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

(2)إسناده حسن.

كما قال جرير بن عطية:

كأنك لم تشهد لقيطًا وحاجبًا   وعمرو بن عمرو إذ دعا يالدارم

بمعنى: كأنك لم تعلم لقيطًا، لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير، ما لا يخفى بعده من المدة. وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية، وجرير كان بعد برهة مضت من مجيء الإسلام.

قال أبو جعفر: وهذا تأويل بعيد. من أجل أن (الرؤية)، وإن استعملت في موضع (العلم)، من أجل أنه مستحيل أن يرى أحدٌ شيئًا فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه، إذا كان صحيح الفطرة. فجاز من الوجه الذي أثبته رؤيةً، أن يضاف إليه إثباته إياه علمًا، وصح أن يدل بذكر (الرؤية) على معنى (العلم) من أجل ذلك فليس ذلك، وإن كان (جائزًا) في الرؤية ـ لما وصفنا ـ بجائز في العلم، فيدل بذكر الخبر عن (العلم) على (الرؤية). لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها، ويستحيل أن يرى شيئًا إلا علمه، كما قد قدمنا البيان (عنه) مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال: (علمت كذا)، بمعنى رأيته.

وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها. فموجود في كلامها (رأيت) بمعنى: علمت، وغير موجود في كلامها (علمت) بمعنى: رأيت، فيجوز توجيه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلى معنى: إلا لنرى.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه.

وقالوا ـ إذا قيل لهم: إن قومًا من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم، إذا حولت قبلة محمد ﷺ إلى الكعبة ـ: ذلك غير كائن! أو قالوا: ذلك باطل! فلما فعل الله ذلك، وحول القبلة، وكفر من أجل ذلك من كفر، قال الله جل ثناؤه: ما فعلت إلا لنعلم ما علمه غيركم ـ أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من

الأشياء قبل كونه ـ: أني عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد.

فكأن معنى قائلي هذا القول في تأويل قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾: إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. وهذا وإن كان وجهًا له مخرج، فبعيدٌ من المفهوم.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال، على وجه الترفق بعباده واستمالتهم إلى طاعته، كما قال جل ثناؤه: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، وقد عُلِم أنه على هدى،وأنهم على ضلال مبين. ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: إنا على هدى وأنتم على ضلال. فكذلك قوله: ﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ﴾، معناه عندهم: إلا لتعلموا أنتم، إذ كنتم جهالاً به قبل أن يكون. فأضاف العلم إلى نفسه، رفقًا بخطابهم.

وقد بيَّنا القول الذي هو أولى في ذلك بالحق.

وقال الزجاج في معاني القرآن:

وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] إن قال قائل: ما معنى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة:١٤٣]، والله ﷻ ـ قد علم ما يكون قبل كونه، فالجواب في ذلك أن الله يعلم من يتبع الرسول ممَّن لا يتبعه من قبل وقوعه، وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسم مطيعين واسم عاصين، فيجب ثوابهم على قدر عملهم، ويكون معلوم ما في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة ـ كما قال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التغابن: ١٨] فعلمه به قبل وقوعه علم غيب، وعلمه به في حال وقوعه شهادة وكل ما علمه الله شهادة فقد كان معلومًا عنده غيبًا، لأنه يعلمه قبل كونه، وهذا يبين كل ما في القرآن مثله نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية. ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه، عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون. وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه. ومعنى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس. أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى.

س: ترد بعض أوامر الله ۵ لاختيار المؤمنين وتمييز المؤمن من المنافق كهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] اذكر آيات أخرى مشابهة لها يتميز بها المؤمن عن المنافق؟

ج: من هذه الآيات ما ذكره الله ۵ عن شجرة الزَّقوم التي تطلع في أصل الجحيم، كما قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٤]، فهذه الشجرة فتنة للظالمين، إذ قالوا: كيف تنبت شجرة في أصل الجحيم ومن المعلوم أن النار تأكل الخشب؟!، فجهلوا أن الله على كل شيء قدير.

۞ وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وذلك في شأن الإسراء.

۞ وقوله تعالى في عدد أصحاب النار: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

إلـى قولـه تعـالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [المدثر: ٣١].

فقال أهل الكفر والنفاق: إذا كان عدد خزنة جهنم تسعة عشر فنحن قـادرون على سحقهم وإخماد النار واحتلال الجنة بالقوة.

۞ وقولــه تعــالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

|

س: ما سبب نزول قول الله ع: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: أخرج البخاري(1) من حديث البـراء بـن عـازب ﭬ أن رسـول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شـهرًا وكـان يعجبـه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى ـ أو صلاها ـ صلاة العصر وصلى معه قـوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الـذي مـات على القبلة قبل أن تُحوَّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

|

س: فـي قولـه تعـالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] إشـارة إلـى أن الأعمال من الإيمان وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن جمهور المفسرين فسروا الإيمان فـي قولـه تعـالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ أي: صلاتكم، والصلاة عمل، فعلى ذلك فالإيمان يدخل فيـه العمل أيضًا، وهذا هو قول جمهور أهل السنة والجماعة، والله أعلم.

|

س: ذكرتم أن سبب نزول الآية الكريمة هو إشفاق المؤمنين على إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يصلون إلـى بيت المقدس قبل أن تحوَّل القبلـة إلـى الكعبة

---

(1) أخرجه البخاري حديث (4486).

فلماذا عبر بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] ولم يعبر بقوله: (إيمانهم)؟

ج: ذلك لأن المؤمنين كالجسد الواحد كما قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] ولم يقل بإخوانهم.

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] ولم يقل ولا تلمزوا إخوانكم، وكما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

۞ وأورد الطبري خ جوابًا آخر فقال: (وقد طرح سؤالاً مشابهًا)(1) :

قيل: إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك فإنهم أيضًا قد كانوا مشفقين من حبوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة وظنوا أن عملهم ذلك قد بطل وذهب ضياعًا، فأنزل الله جل ثناؤه حينئذٍ فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم، لأن من شأن العرب إذا اجتمع في الخبر المخاطبُ والغائب أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر (فعلنا بكما وصنعنا بكما) كهيئة خطابهما لهما وهما حاضران، ولا يستجيزون أن يقولوا: (فعلنا بهما) وهم يخاطبون أحدهما فيردوا المخاطب إلى عداد الغيب(2) .

س: في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] دليل على العمل بخبر الآحاد وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن المسلمين لما أُخبروا وهم في صلاتهم بتحويل القبلة

---

(1) قال الطبري في هذا السؤال: فإن قال قائل: وكيف قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين، والقوم المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية.

(2) الغيب جمع غائب، مثل خادم وخدم.

استداروا وهم في صلاتهم والذي أخبرهم كان واحدًا فخبره خبر آحاد بلا شك.

قال القرطبي $: وفيه دليل على قبول خبر الواحد، وهو مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحادًا للآفاق ليعلِّموا الناس دينهم فيبلِّغوهم سنة رسولهم ﷺ من الأوامر والنواهي.

|

س: هل ثبت أن أحدًا من الصحابة ارتد بعد تحويل القبلة؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم، ولكني لم أقف على سند صحيح يفيد ذلك، والله تعالى أعلم(1).

|

س: ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج: قال الطبري خ: وإنما أراد جلَّ ثناؤه بذلك أن الله ٥ أرحمُ بعباده من أن يضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها، وأرأف بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم، أي: ولا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فإني لهم على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها كذلك مثيبٌ لأني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملاً عملوه لي، ولا تحزنوا عليهم فإني غير مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة لأني لم أكن فرضت ذلك عليهم، وأنا أرأف بخلقي من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله، والله أعلم.

|

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في سعة رحمة الله ٥.

ج:من هذه الأحاديث ما يلي:

۞ ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب ف قال: قَدِمَ على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًّا في

---

(1)وقد ورد ذلك بإسناد معضل عن ابن جريج عند الطبري (2205).

السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ: **«أترون هذه طارحة ولدها في النار؟»** قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: **«لله أرحم بعباده من هذه بولدها»**(1).

۞ ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم(2) من حديث أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»**.

۞ ومنها حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي»**(3).

۞ ومنها ما في الصحيح كذلك من حديث أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«ليصيبن أقوامًا سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم الجهنميون»**(4).

۞ ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁(5) عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: **«قال الله ﻷ: أنا عند ظن عبدي بي.وأنا معه حيث يذكرني. والله! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة. ومن تقرب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا. ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا. وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهرول»**.

وفي رواية عنده(6) عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها»**.

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 5999)، ومسلم (2754).
(2) أخرجه البخاري (حديث 6000)، ومسلم (حديث 2752).
(3) أخرجه البخاري (4913)، ومسلم حديث (2751).
(4) أخرجه البخاري (حديث 7450).
(5) مسلم حديث (2675).
(6) هي عند مسلم أيضًا (ص2102).

وأخرج مسلم(1) من طريق الحارث بن سويد قال:
دخلت على عبدالله أعوده وهو مريض. فحدثنا بحديثين: حديثًا عن نفسه وحديثًا عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دويةٍ(2) مهلكة(3) معه راحلته. عليها طعامه وشرابه. فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش. ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه. فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت. فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه. فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».**

۞ وأخرج مسلم(4) من حديث البراء بن عازب ف قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته. تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعامٌ ولا شرابٌ. وعليها له طعام وشراب. فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجذل شجرةٍ(5) فتعلق زمامها. فوجدها متعلقة به؟»** قلنا: شديدًا(6). يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: **«أما، والله! لله أشد فرحًا بتوبة عبده،من الرجل براحلته».**

---

(1)مسلم حديث (2744).
(2)قال النووي $: (دوية) اتفق العلماء على أنها بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعًا. وذكر مسلم، في الرواية التي بعد هذه، رواية أبي بكر بن أبي شيبة: أرض داوية، بزيادة ألف، وهي بتشديد الياء أيضًا. وكلاهما صحيح. قال أهل اللغة: الدوِّية الأرض القفر والفلاة الخالية. قال الخليل: هي المفازة. قالوا: ويقال دوِّية وداوية: فأما الدوِّية فمنسوبة إلى الدوِّ، بتشديد الواو، وهي البرية التي لا نبات بها. وأما الداوية فهي على إبدال إحدى الواوين ألفًا. كما قيل في النسب إلى طيء طائيّ.
(3)(مهلكة) موضع خوف الهلاك، بفتح اللام وكسرها، ويقال لها مفازة. قيل: إنه من قولهم فوَّز الرجل، إذا هلك، وقيل: هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها، كما يقال للديغ: سليم.
(4)أخرجه مسلم (حديث 2746).
(5)جذل شجرة أي: أصل شجرة.
(6)أي: نراه يفرح فرحًا شديدًا.

۞ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك(1) ڤ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه. وعليها طعامه وشرابه. فأيس منها فأتى شجرة. فاضطجع في ظلها. قد أيس من راحلته. فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده. فأخذ بخطامها. ثمَّ قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**».

۞ وأخرج مسلم من حديث أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم**».

وأخرج البخاري ومسلم(2) من حديث أبي سعيد الخدري ڤ عن النبي ﷺ قال:

«**كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ثم خرج يسألُ فأتى راهبًا فسأله فقال له: هل من توبةٍ؟ قال: لا، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فَنَاءَ(3) بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له**»(4).

---

(1) أخرجه مسلم (2747).

(2) أخرجه البخاري (حديث 3470)، ومسلم (حديث 2766).

(3) ناء بمعنى: بَعُدَ.

(4) وله لفظ أطول عند مسلم وهو أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه**
=

وأخرج البخاري(1) من حديث حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذرُّوني في البحر في يومٍ صائفٍ(2) ففعلوا فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ما حملني عليه إلا مخافَتُك فغَفَر له»**.

ونحوه في «الصحيحين» (3) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ:

أنه ذكر رجلاً فيمن سلف ـ أو فيمن كان قبلكم ـ قال كلمةً يعني أعطاه الله مالاً وولدًا فلما حضرت الوفاةُ قال لبنيه: أيَّ أبٍ كنُت لكم؟ قالوا: خير أب قال فإنه لم يَبْتَئر(4) ـ أو لم يبتئز ـ عند الله خيرًا، وإن يقدر الله عليه يعذِّبُهُ فانظُروا إذا متُّ فأحْرِقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقوني ـ أو قال: فاسحكوني ـ فإذا كان يومُ ريح عاصفٍ فأذْروني فيها فقال نبيُّ الله ﷺ: **«فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله ﷻ: كن فإذا هو رجل قائم قال الله: أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك** ـ أو **فرق منك** ـ قال: **فما تلافاه**(5) **أن رحمه عندها»**.

وأخرج البخاري ومسلم(6) من حديث أبي هريرة ﵁ قال:

سمعت النبي ﷺ قال: **«إن عبدًا أصاب ذنبًا ـ وربما قال: أذنب ذنبًا ـ فقال: ربِ أذنبتُ ذنبًا ـ وربما قال: أصبت ـ فاغفر فقال ربُّه: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ**

=بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».

(1) أخرجه البخاري (حديث 6480)، والنسائي (4 / 113).

(2) في بعض الروايات: **«في يوم حار»**، وفي بعضها: **«في يوم رائح»** (أي: شديد الريح) وفي بعضها **«في يوم عاصف»**.

(3) أخرجه البخاري (حديث 7508)، ومسلم (حديث 2757).

(4) أي: لم يدخر (كما هو مفسر في بعض الروايات).

(5) أي: فما تداركه غيرها.

(6) أخرجه البخاري (حديث 7507)، ومسلم (حديث 2758).

(331) أحمر
أسود

الذنب ويأخذ به(1) ؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا ـ فقال: رب أذنبتُ ـ أو أصبتُ ـ آخر فاغفره فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذَّنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا ـ وربما قال: أصاب ذنبًا ـ فقال: رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ـ ثلاثًا ـ فليعمل ما شاء»(2) .

(1) يؤخذ به أي: يُعاقب به.

(2) قلت: وليس هذا فيمن يجاهر ربَّه بالمعاصي ويقول سيغفر لي، بل هذا في حق التائب الوجل الخائف من ربه ٥، والله أعلم.

(332) أحمر
أسود

قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ
تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ
مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا
بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥

الكلمة	معناها
﴿تَقَلُّبَ﴾	تحوُّل.
﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	نحو السماء ـ اتجاه السماء.
﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾	فلنصرفنك ـ فلنوجهنك.
﴿تَرۡضَىٰهَاۚ﴾	تحبها ـ تهواها(1).
﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾	اتجه بوجهك ـ اصرف بصرك وحوّله.
﴿شَطۡرَ﴾	ناحية ـ تلقاء.
﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ﴾	أينما كنتم(2).

س: ماذا يُراد بـ ﴿قَدۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن قد هنا تفيد التحقيق، وبعضهم يرى أنها

---

(1) أخرج الطبري (2231) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ **[البقرة: ١٤٤]** فكان نبي الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويهوى ويشتهي القبلة نحو البيت فوجَّهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويحبها.

(2) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (2246) أنه قال: (شطره) ناحيته، جانبه قال: وجوانبه (شُطوره).

قلت: والشطر يطلق على النصف، كما في قوله ♥: «**الطهور شطر الإيمان**» لكنه ليس المراد هنا.

قال القرطبي $: ويكون من الأضداد يقال: شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه، وشطر عن كذا إذا أُبعد منه وأعرض عنه، فأمَّا الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحو غير الاستواء، وهو الذي أعيى أهله خُبثًا.

بمعنى: ربما لكنها هنا للتكثير، وبعض النحاة يقول: إن (قد) تدخل على المضارع فتجعله بمعنى الماضي كقوله تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [النور:٦٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:٩٧]، وكقوله تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ﴾ [الأحزاب:١٨]، والله أعلم.

س: لماذا كان رسول الله ﷺ يرجو تحويل القبلة؟ ولماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء؟

ج: التمس بعض العلماء لرغبة رسول الله ﷺ في التحول إلى الكعبة أسبابًا منها:

- مخالفة أهل الكتاب (1) .
- ومنها كون الكعبة قبلة إبراهيم غ.
- أمَّا لماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء فلأن رسول الله ﷺ كان يرغب في نزول الوحي بالتحويل من بيت المقدس إلى الكعبة، وقال بعض العلماء: إن تقليبه وجهه غ بمعنى الدعاء، والله أعلم.

---

(1) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٢٣٥) إلى ابن زيد قال: قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115] قال: فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله ـ لبيت المقدس ـ لو أنا استقبلناه فاستقبله النبي ﷺ ستة عشر شهرًا فبلغه أن يهود تقول، والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم، فكره ذلك النبي ﷺ ورفع وجهه إلى السماء فقال الله جل ثناؤه: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: 144].
قلت: وهذا صحيح إلى ابن زيد، وابن زيد هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ولم يدرك رسول الله ﷺ قطعًا، ونحن ما أتينا بهذا الخبر من ناحية أنه مسند إلى رسول الله ﷺ أو من ناحية أنه سبب نزول ولكن أتيت به من ناحية أنه تفسيرٌ لابن زيد للآية الكريمة، وهذا وجه قد يتداخل على بعض إخواننا فيرى أن الأثر مرسلاً أو معضلاً فيُضرب عنه الذكر صفحًا قولاً واحدًا، ولكن الأمر في هذا المقام ـ نراه والله أعلم ـ على غير ما ظن أخونا إنما الأمر حاصله أن ابن زيد خ مفسرٌ فسر الآية بما أفاده به ظاهرها وبما تراءى له من معانيها، كما يُفسر الطبريُّ آيةً مثلاً، وكما يفسر القرطبي أو ابن كثير أو غيرهما آية مثلاً وينسب شيئًا في تأويله لها إلى زمن رسول الله ﷺ، فهذا قد يقبل منه في بعض الأحيان إذا كان ظاهر الآية الكريمة يفيده أو عموم سنة رسول الله ﷺ يؤيده مع عدم القطع بصحة نسبة ما ذكره إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

س: ما هو سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري(1) في «صحيحه» من حديث البراء ابن عازب ﭬ أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى ـ أو صلاها ـ صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قِبَل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

س: هل يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة؟

ج: لا يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة، والنصوص الواردة في المنع تدل على التحريم ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة ﭬ قال(2): قال رسول الله ﷺ: **«لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم»**.

۞وأخرج مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: **«لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم»**(3).

س: إلى أين ينظر المصلي في صلاته؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن المصلي ينظر إلى الأمام لقول الله ع: ﴿فَوَلِّ

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 4486).
(2) أخرجه مسلم (حديث 428).
(3) أخرجه مسلم (حديث 429) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.

وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ولأن النبي ﷺ كان يصلي صلاةً ثم قال: «**عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير والشر...**» الحديث(1) قالوا: فدل ذلك على أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الأمام في الصلاة.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى النظر إلى موضع السجود؛ لورود بعض الآثار في ذلك، والله أعلم.

س: ما المراد بالوجه في قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

ج: بعض أهل العلم يقولون: المراد بوجهك هنا: عيناك.

وبعض أهل العلم يقولون: إنما قال الله ﻷ: ﴿وَجۡهِكَ﴾ ولم يقل عينيك أو بصرك لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر، والله أعلم.

س: ما القبلة المرادة في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة:١٤٤]؟

ج: هذه القبلة هي المسجد الحرام لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وتقدم في حديث البراء أيضًا ما يفيد ذلك، وفيه أن الرجل قال: ... أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت.

س: هل المراد من قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٤٤] استقبال عين الكعبة أم المراد المواجهة فقط؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم في هذا الباب إلى الآتي:

أولاً: إذا كان المصلي يرى الكعبة ففرض عليه استقبال عين الكعبة.

ثانيًا: إذا كان المصلي لا يرى الكعبة، فالذي عليه الأكثرون أن الغرض

---

(1) أخرجه البخاري (حديث540)، ومسلم (حديث2359ص1833) من حديث أنس بن مالك ﭬ مرفوعًا.

والمطلوب هو المواجهة، والله تعالى أعلم.

ثم هذه بعض أقوال أهل ا لعلم في هذا الباب:

۞ **قال الطبري $:** والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فالمولي وجهه شطر المسجد الحرام هو المصيب للقبلة، وإنما على من توجّه إليه ا لنيةُ بقلبه أنه إليه متوجّه كما أن على من ائتم بإمام فإنما عليه الائتمام به، وإن لم يكن محاذيًا بدنُه بدنَه وإن كان في طرف الصف والإمام في طرف آخر عن يمينه أو عن يساره بعد أن يكون من خلفه مؤتمًا به مصليًّا إلى الوجه الذي يُصلِّي إليه الإمام فكذلك حكم القبلة وإن لم يكن يحاذيها كل مصل ومتوجه إليها ببدنه غير أنه متوجِّه إليه فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلها فهو مستقبلها بَعُدَ ما بينه وبينها أو قَرُب من عن يمينها أو عن يسارها بعد أن يكون غير مستدبرها ولا منحرف عنها ببدنه ووجهه.

وقال القرطبي خ: لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة في كل أفق، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فُرِض عليه استقبالها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كلِّ ما صلى ذكره أبو عمر، وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها، فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن أن يُستدل به على ناحيتها.

۞ **وقال ابن العربي $ (أحكام القرآن):** وقد اختلف العلماء هل فَرْضُ الغائب عن الكعبة استقبال العين، أو استقبال الجهة؟ فمنهم من قال: فرضه استقبال العين، وهذا ضعيف لأنه تكليف لما لا يصلُ إليه، ومنهم من قال الجهة، وهو الصحيح لثلاثة أمور:

أحدها: أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف.

الثاني: أنه المأمور به في القرآن إذ قال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] فلا يلتفت إلى غير ذلك.

الثالث: أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يُعلم قطعًا أنه أضعاف عرض البيت: ويجب أن يعوَّل على ما تقدم، فإن الصف الطويل إذا بَعُد عن البيت أو طال وعرض أضعافًا مضاعفة لكان ممكنًا أن يقابل جميع البيت.

۞ أما الحافظ ابن كثير $ تعالى فنقل عن بعض أهل العلم قولهم: إن الغرض إصابة عين الكعبة، قال: والقول الآخر وعليه الأكثرون أن المراد المواجهة.

۞ وقال القاسمي خ «محاسن التأويل»: والتعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام إشارة إلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين، والله أعلم.

س: هل يجوز في وقت من الأوقات الصلاة إلى غير القبلة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير خ: وقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصليها حيث توجَّه قالبه وقلبه نحو الكعبة، وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وإن كان مخطئًا في نفس الأمر لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

س: كيف علم اليهود والنصارى أن التوجه إلى الكعبة حق؟

ج: قد يكون ذلك في كتبهم وجحدوه عن علم.

لكنهم يقينًا يعلمون من كتبهم أن محمدًا نبي الله حقًّا، وأنه لا يقول إلا صدقًا ولا يفعل إلا ما أُمر به فما قاله وفعله حق، فلما تحوَّل النبي ﷺ إلى الكعبة وهم يعلمون إجمالاً أن أفعاله حق، كانوا يعلمون إذن أن تحوُّلَه حق.

۞ ويعلمون أيضًا من دينهم جواز النسخ وإن كانوا يُكابرون في ذلك، والله أعلم.

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤] يرجع إلى ماذا؟

ج: رأى كثير من أهل العلم أنه يرجع إلى التوجه والتحول إلى المسجد الحرام، فأهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام هو الحق الذي فرض الله ﻷ على إبراهيم وذريته وسائر عباده من بعده.

- وقيل: إنه يرجع إلى القرآن، فالقرآن بما فيه من أمر المسلمين بالتحول إلى المسجد الحرام يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم.

- وقيل: يرجع إلى محمد ﷺ، فأهل الكتاب يعلمون أن محمدًا ﷺ نبي الله حقًّا، والله أعلم.

س: الآيات لا تنفع إلا من هداه الله اذكر عددًا من الأدلة يؤيد هذا المعنى؟

ج: من هذه الآدلة ما يلي:

- قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

- وقول الله ﻷ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

- وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

س: ما المراد بالآية في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ المعجزة أو العلامة الدالة على صدق حديثك.

س: ما هي قبلة أهل الكتاب المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: قبلة اليهود هي الصخرة الموجودة ببيت المقدس، وقبلة النصارى هي المشرق.

قال ابن القيم $ «بدائع الفوائد»(1): قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق، وهم يُقرون بأن قبلة المسيح قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما اليهود فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا عليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة.

|

س: ماذا يُفيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: يفيد أمورًا منها:

1 - بيان شدة اتباع رسول الله ﷺ لأمر الله ۵.

2 - يقطع أطماع اليهود والنصارى في رجوع رسول الله ﷺ إلى قبلتهم.

3 - فيه إشارة إلى أن الأمر بالاتجاه إلى الكعبة لن ينسخ، والله تعالى أعلم.

|

س: ما المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]؟

ج: الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بالعلم هنا: العلم بأن ما أنت عليه في أمر القبلة حق، وأن أهل الكتاب كَذَبَةٌ مفترون في هذا الباب.

---

(1) ونقلته للسرعة من فتح البيان.

۞ **قال الطبري خ:** ويعني بقوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق ومعرفة منهم أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة التي فرضت على أبيك إبراهيم غ وسائر ولده من بعده من الرسل التوجُّه نحوها ﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] يعني: إنك إذا فعلت ذلك من عبادي الظلمة أنفسهم المخالفين أمري والتاركين طاعتي وأحدُهم وفي عدادهم. والله أعلم.

س: ما فائدة إخبار الله ٥ نبيه ♥ بقوله: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥] وضح أيضًا معنى هذه الآية؟

ج: فائدة ذلك، والله أعلم إراحة قلب النبي ﷺ وإبعاد الشغل والفكر في هؤلاء عنه أي: لا تشتغل بهم ولا تفكر فيهم.

أما معنى الآية الكريمة فقال الطبري $:

وإنما يعني جل ثناؤه بذلك: أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا محمد لا تُشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى فإنه أمر لا سبيل إليه لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم من أجل أنك إن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود، فدع ما لا سبيل إليه وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده. والله أعلم.

س: من أهل الكتاب من آمن واتبع قبلة رسول الله ﷺ، فكيف توجّه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥].

ج: توجيهه أن يقال: إن المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥] أنهم الذين كُتب عليهم عند الله ❚ أنهم سيموتون على الكفر.

وقد قدمنا: نظيره في أوائل سورة البقرة. وبالله التوفيق.

س: أفادت الآية الكريمة: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ [البقرة: ١٤٥] أن توجه الوعيد للعلماء أشد من غيرهم، وضح ذلك، واذكر أدلة أُخرى في هذا الباب؟

ج: إيضاحه من قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

أما الأدلة على ذلك فكثيرة، منها:

۞ قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾.

[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

۞ وحديث رسول الله ﷺ الذي فيه: **«يؤتى بالرجل فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه...»** الحديث، وفيه أنه يقول: **«كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»**(1).

وحديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة(2) ومنهم عالم تعلَّم العلم

---

(1) أخرج البخاري (حديث رقم (3267)، ومسلم (حديث (2989) من حديث أسامة بن زيد ﭬ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

(2) أخرجه مسلم (حديث (1905) من حديث أبي هريرة ﭬ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به =

ليقال: هو عالم.

=فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت. ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالمٌ. وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل: ثمَّ أمر به فسحب على وجهه. ثم أُلقي في النار».

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ
أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ
فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨

الكلمة	معناها
﴿ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾	الشاكِّين(1).
﴿وِجۡهَةٌ﴾	قبلة ـ ناحية.
﴿مُوَلِّيهَاۖ﴾	مُول وجهه إليها ومستقبلها.
﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾	بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الأعمال الصالحة.

(1) أي: الشاكِّين في أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة الحق، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٢٧٣): ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] قال: من الشاكين قال: لا تشكن في ذلك.

س: من هم الذين آتاهم الله الكتاب المعنيون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟

ج: المراد - والله أعلم - أنهم أحبار اليهود وعلماء النصارى، والعلم عند الله.

|

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٦] يرجع إلى من؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إنه يرجع إلى النبي ﷺ، والمعنى: أن الذين آتاهم الله الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ..﴾.

[الفتح: ٢٩]

۞ **وقال فريق آخر من العلماء:** إنه يرجع إلى البيت (أو القبلة) والمعنى: أن الأحبار من اليهود والعلماء من النصارى يعلمون أن البيت الحرام هو قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلة (1).

|

س: ما المراد في قوله تعالى: ﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟

---

(1) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (2259) قال: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦] يقول: يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة.

۞ وأخرج الطبري أيضًا (2264) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦] قال: اليهود يعرفون أنها هي القبلة مكة.

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالحق هو صفة محمد ﷺ(1).

وقال آخرون: إن المراد بالحق الحق في أمر القبلة(2).

وقال غيرهم: المراد أنهم يكتمون الحق بصفة عامة، فقد كتموا الحق في شأن محمد ﷺ وكتموا الحق في أمر القبلة، وكتموا الحق في حكم الزاني، إلى غير ذلك من أنواع الحق الذي كتموه.

|

س: هل كان النبي ﷺ شاكًا في أمر القبلة حتى قيل له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؟

ج: لم يكن النبي ﷺ شاكًا في أمر القبلة، ولكن المخاطب هو رسول الله ﷺ والمراد أمته، والله تعالى أعلم.

هذا وقد قال الطبري $: فإن قال لنا قائل: أو كان النبي ﷺ شاكًا في أن الحق من ربه أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره حتى نهي عن الشك في ذلك، فقيل له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]؟

قيل: ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به، والمراد به غيره، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ثم قال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا

---

(1) أخرج الطبري (٢٢٦٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] فكتموا محمدًا ﷺ.

(2) قال الطبري $: قوله: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ١٤٦] وذلك الحق هو القبلة التي وجه الله ٥ إليها نبيه محمدًا ﷺ، يقول فول وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمد ﷺ يتوجهون إليها فكتمها اليهود والنصارى، فوجه بعضهم شرقًا، وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ما أمرهم الله به وكتموا مع ذلك أمر محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل فأطلع الله ٥ نبيه محمدًا ﷺ وأمته على خيانتهم الله ع وخيانتهم عباده وكتمانهم ذلك، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحق غيره، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافه فقال: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أن ليس لهم كتمانه فيتعمدون معصية الله ع.

﴿تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩] فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي ﷺ والنهي له، والمراد به أصحابه المؤمنون به، وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

س: التنوين في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ...﴾ [البقرة: ١٤٨] يشير إلى محذوف فما هو هذا المحذوف؟

ج: هذا المحذوف هو (أهل ملة أو أهل دين) فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: لكل أهل دين ولكل أهل ملة قبلة يتجهون إليها، فلليهودي قبلة يتجه إليها وللنصراني قبلة يتجه إليها(1) وقبلتكم أنتم أيها المؤمنون هي القبلة الحق، والله أعلم.

۞ وقال بعض العلماء: إن المعنى: ولكلٍّ وجهةٍ من الوجهات التي وجهك إليها ربك الله ۵ موليها عبادة.

۞ وقال بعضهم: ولكل قبلة من القبلتين اللتين توجهت إليهما وجهة، والأول عليه الأكثر، والله تعالى أعلم.

س: من المعنى بـ (هو) في قوله تعالى: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة:١٤٨]؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يرجع إلى صاحب الملة أو الدين، والمعنى: ولكل صاحب دين أو ملة قبلة هو متجه إليها.

والثاني: أنه يرجع إلى الله تعالى، والمعنى: ولكلٍّ وجهةٌ الله ۵ موليه إياها.

والثالث: أنه يرجع إلى البيت (أي: الكعبة) والمراد أن كل قوم أُمروا أن يتجهوا إلى الكعبة وهذا ضعيف؛ لأن النبي صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا على ما تقدم. والله أعلم.

---

(1) وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (2277) أنه قال: لليهود قبلة وللنصارى قبلة، ولكم قبلة - يريد المسلمين.

س: عقب قوله تعالى: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]؟ محذوف (على رأي بعض أهل العلم) ما هو هذا المحذوف؟

ج: هذا المحذوف هو (وجهة) فالمعنى ولكلٍّ وجهة هو موليها وجهة، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]؟

ج: من الآيات في معناها قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧]، وقوله تعالى:﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

س: على المسلم إذا اتضح له الحق أن يبادر إليه ويحرص عليه ويسرع في الامتثال له والتمسك به، دلل على ذلك من الآية الكريمة؟

ج: بيان ذلك أن الله ۵ لما بين للمؤمنين الصواب من أمر القبلة وأكد لهم على أنها القبلة الحق حثهم على المسارعة إلى الاتباع بقوله: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: بادروا وساروعوا إلى فعل الطاعات، كما قال الطبري $: وإنما يعني بقوله: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق وهديتكم للقبلة التي ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم فبادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لآخرتكم فإني قد بينت لكم سبل النجاة فلا عذر لكم في التفريط وحافظوا على قبلتكم فلا تضيعوها كما ضيعتها الأمم قبلكم فتضلوا كما ضلت.

س: اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]؟

ج: أخرج البخاري (1) ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ۵ عن النبي

(1) أخرجه البخاري حديث (7508)، ومسلم (حديث 2757).

ﷺ أنه ذكر رجلاً فيمن سلف ـ أو فيمن كان قبلكم ـ قال كلمة ـ يعني أعطاه: الله مالاً وولدًا ـ فلما حضرت الوفاة قال لبنيه: أي أبٍ كنت لكم؟ قالوا: خير أبٍ قال: فإنه لم يبتئر ـ أو لم يبتئز ـ عند الله خيرًا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني، أو قال: فاسحكوني ـ فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها.

فقال نبي الله ﷺ: «**فأخذ مواثيقهم على ذلك وربّي، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله** ۵: **كن فإذا هو رجل قائم، قال الله: أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك أو فَرَقٌ منك**» قال: «**فما تلافاه أن رحمه عندها**».

۞ ونحوه في «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي هريرة ڤ عن النبي ﷺ قال: «**أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدًا قال: ففعلوا ذلك به فقال للأرض: أدّي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب ـ أو قال: مخافتك ـ فغفر له بذلك**»(1).

(1)أخرجه البخاري (حديث 3481)، ومسلم (حديث 2756 ص2110).

(349) أحمر
أسود

وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ
وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ
فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا
تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ
وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠

الكلمة	معناها
﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾	من أي مكان خرجت - إلى أي مكان توجهت، والمعنى أيضًا: في أي مكان كنت.
﴿وَحَيۡثُ مَا﴾	أينما.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ [البقرة: ١٤٩]؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ: أن التوجه شطر المسجد الحرام هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك في أنه من عند الله ❚ .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٩]؟

ج: قال الطبري خ: وأما قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩] فإنه يقول: فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم، ولا بغافلٍ عنها ولكنه محصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة.

۞ وقال الرازي $: أما قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩] يعني ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٢] وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه فإن الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله وكشف عن وهنه وضعفه.

س: من المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: المراد بالناس في هذا الموطن ـ على رأي جمهور أهل العلم ـ أهل الكتاب، وقد أخرج الطبري بإسناد حسن(1) عن قتادة قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني: بذلك أهل الكتاب قالوا حين صرف نبي الله ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه.

قلت: ومن الممكن أن يدخل فيها المشركون كذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

س: أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام حتى لا يكون للناس حجة

(1) الطبري (2292).

على رسول الله ﷺ وأصحابه، فما هي الحجة التي أُريد دفعها في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: هذه الحجة هي مجادلة أهل الكتاب ومجادلة المشركين في شأن القبلة، أما أهل الكتاب فوجه جدالهم يتمثل في قولهم: إن كنت يا محمد تزعم أننا على باطل فلماذا تتجه إلى قبلتنا في صلاتك(1) ، أليس اتجاهك إلى قبلتنا في صلاتك يؤكد أننا على الحق وأن قبلتنا هي الصواب؟! فوجه الله نبيه ﷺ إلى الاتجاه إلى البيت الحرام لقطع هذه الحجة.

وتتمثل مجادلة أهل الكتاب أيضًا في أنهم يجدون في كتبهم أن هذا النبي ﷺ سيكون من أمره أن يصلي إلى الكعبة، فلما لم يتجه رسول الله في صلاته إلى الكعبة يبقى في نفوسهم شك في صفته وصفة أفعاله فقطعا لهذا الاحتجاج أمر الله نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام، أما مجادلة أهل الشرك فتتمثل في قولهم: إن كنت يا محمد تزعم أنك أولى الناس بإبراهيم لكونك من ولده غ فلماذا تنحرف عن قبلته وتتجه إلى بيت المقدس، فقطع الله ٥ حجة المشركين هذه بأن أمر نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام، لكن بقي لطوائف من الذين ظلموا نوع احتجاج سيرد في محله قريبًا إن شاء الله.

---

(1) **قال الطبري $:** فإن قال قائل: فأية حجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس، على رسول الله ﷺ وأصحابه؟

قيل: قد ذكرنا فيما مضى ما روي في ذلك قيل: إنهم كانوا يقولون: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقولهم: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله ﷺ وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين.

وقد بينا فيما مضى أن معنى حجاج القوم إياه الذي ذكره الله تعالى في كتابه إنما هي الخصومات والجدال، فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وحسمه بتحويل قبلة نبيه ﷺ والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم غ، وذلك هو معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ **[البقرة: ١٥٠]** يعني بـ (الناس): الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت.

س: من المراد بالذين ظلموا في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٥٠]؟

ج: ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مشركو قريش أو مشركو العرب بصفة عامة.

۞ فقد صح عن مجاهد(1) من وجوه أنه قال: هم مشركو قريش: (وفي رواية: مشركو العرب).

۞ وروى الطبري ذلك بإسناد حسن(2) عن قتادة أيضًا قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة:١٥٠] والذين ظلموا مشركو قريش.

والذي يظهر أن المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠] أعم من كونهم مشركي قريش، فاليهود أيضًا كان لهم بعض الجدل بعد تحويل القبلة فقالوا: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] كما تقدم، والله أعلم.

|

س: قطع الله حجة أهل الكتاب لما أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى الكعبة، أما حجة المشركين فهل بقي منها شيء لم يقطع؟ وما هو هذا الشيء في حالة كونه ما زال موجودًا؟

ج: لأهل العلم في هذه المسألة قولان: فمنهم من قال: إن الحجج كلها قطعت لكن بقي الذين ظلموا ليس لهم حجة ولكنهم يجادلون بالباطل.

ومنهم من قال: إن الذين ظلموا: (وهم مشركو قريش) بقيت لهم حجة (إن استجيز أن يطلق على الباطل وعلى الشبهات حجة)(3) وهي متعلقهم بتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقالوا: ها هو قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا(4)

---

(1)الطبري (2297)، (2299).
(2)الطبري(2298).
(3)كما قال تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦].
(4)أخرج الطبري (2303) بإسناد حسن إلى قتادة قال: قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، والذين ظلموا مشركو قريش يقول: إنهم سيحتجون عليكم بذلك، فكانت حجتهم على نبي الله ﷺ - =

، فمن ثم قال تعالى للمؤمنين: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٠] فيما يلقون من شبهٍ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

|

س: إذا أمر الله ٥ الناس بأمر ووجههم وجهةً فإن هذا الأمر في حد ذاته حجة فكيف يكون للمشركين ـ بعد أمر الله ٥ للمؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام ـ حجة على أهل الإيمان؟

ج: هذا السؤال طرح نحوه ابن جرير الطبري خ فقال: فإن قال قائل: وأية حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه في توجههم في صلاتهم إلى الكعبة، وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه حجة؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه، وإنما (الحجة) في هذا الموضع الخصومة والجدال، ومعنى الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش فإن لهم عليكم دعوى باطلاً وخصومة بغير حق بقولهم لكم: (رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا) فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة هي (الحجة) التي كانت لقريش على رسول الله ﷺ وأصحابه، ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة: ١٥٠] من قريش من سائر الناس غيرهم إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة. ثم ذكر $ جملة آثار ثم قال: فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، عن صحة ما قلنا في تأويله، وأنه استثناءٌ على معنى الاستثناء المعروف، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيًا عما قبله،كما [هو] قول القائل: (ما سار من الناس أحدٌ إلا أخوك)، إثبات للأخ من السير ما هو منفيٌّ عن كل أحد من الناس.

=انصرافه إلى البيت الحرام ـ أنهم قالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك كله.

فكذلك قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٥٠]، نفي عن أن يكون لأحد خصومةٌ وجدلٌ قِبَل رسول الله ﷺ ودعوى باطل، عليه وعلى أصحابه، بسبب توجههم في صلاتهم قِبَل الكعبة ـ إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش، فإن لهم قِبَلهم خصومةً ودعوى باطلاً بأن يقولوا: إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا لأنا كنا أهدى منكم سبيلاً وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل.

وإذا كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل، فبينٌ خطأ قول من زعم أن معنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٥٠]: ولا الذين ظلموا منهم، وأن (إلا) بمعنى (الواو).

لأن ذلك لو كان معناه، لكان النفي الأول عن جميع الناس ـ أن يكون لهم حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه في تحولهم نحو الكعبة بوجوههم ـ مبينًا عن المعنى المراد، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٥٠]إلا التلبيس الذي يتعالى عن أن يضاف إليه أو يوصف به.

هذا مع خروج معنى الكلام ـ إذا وجهت (إلا) إلى معنى (الواو)، ومعنى العطف ـ من كلام العرب. وذلك أنه غير موجودة (إلا) في شيء من كلامها بمعنى (الواو)، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها. كقول القائل: (سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك)، بمعنى: إلا عمرًا وأخاك، فتكون (إلا) حينئذ مؤدية عما تؤدي عنه (الواو)، لتعلق (إلا) الثانية بـ (إلا) الأولى، ويجمع فيها أيضًا بين (إلا) و (الواو) فيقال: «**سار القوم إلا عمرًا وإلا أخاك**»، فتحذف إحداهما، فتنوب الأخرى عنها، فيقال: «سار القوم إلا عمرًا وأخاك ـ أو إلا عمرًا إلا أخاك»، لما وصفنا قبل.

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لمدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أن (إلا) في هذا الموضع بمعنى (الواو) التي تأتي بمعنى العطف.

وواضحٌ فساد قول من زعم أن معنى ذلك: إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم

لاحجة لهم، فلا تخشوهم. كقول القائل في الكلام: «الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدي عليك»، فإن ذلك لا يعتد بعدوانه ولا بتركه الحمد، لموضع العداوة. وكذلك الظالم لا حجة له، وقد سمي ظالمًا لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادعى من التأويل في ذلك. وكفى شاهدًا على خطأ مقالته إجماعهم على تخطئتها.

وظاهر بُطُول قول من زعم أن: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة: ١٥٠] ههنا، ناسٌ من العرب كانوا يهودًا ونصارى، فكانوا يحتجون على النبي ﷺ، فأما سائر العرب، فلم تكن لهم حجة، وكانت حجة من يحتج منكسرة. لأنك تقول لمن تريد أن تكسر عليه حجته: (إن لك عليَّ حجة ولكنها منكرسة، وإنك لتحتج بلا حجة، وحجتك ضعيفة). ووجه معنى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] إلى معنى: إلا الذين ظلموا منهم،من أهل الكتاب، فإن لهم عليكم حجة واهية أو حجة ضعيفة،ووَهْي قول من قال: (إلا) في هذا الموضع بمعنى (لكن)،وضعف قول من زعم أنه ابتداء بمعنى: إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم.

لأن تأويل أهل التأويل جاء في ذلك بأن ذلك من الله ۵ خبرٌ عن الذين ظلموا منهم: أنهم يحتجون على النبي ﷺ وأصحابه بما قد ذكرنا، ولم يقصد في ذلك إلى الخبر عن صفة حجتهم بالضعف ولا بالقوة - وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة - وإنما قصد فيه الإثبات للذين ظلموا، ما قد نفي عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة.

س: ما الشيء المتوقع أن يخشى من: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة:١٥٠] في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: هو جدل الذين ظلموا ومحاجتهم بالباطل في قولهم: إن محمدًا رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا.

وقال الطبري $: وأما قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] في حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون في أن محمدًا ﷺ قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى

دينا ـ أو أن يقدروا لكم على ضر في دينكم أو صدكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق، ولكن اخشوني فخافوا عقابي في خلافكم أمري إن خالفتموه.

وذلك من الله جل ثناؤه تقدمٌ إلى عباده المؤمنين بالحض على لزوم قبلتهم والصلاة إليها وبالنهي عن التوجه إلى غيره، يقول جل ثناؤه واخشوني أيها المؤمنون في ترك طاعتي فيما أمرتكم به من الصلاة شطر المسجد الحرام.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: قال الطبري خ: ومن حيث خرجت من البلاد والأرض، وإلي أي بقعةٍ شَخِصْتَ فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث كنت يا محمد والمؤمنون فولوا وجوهكم في صلاتكم شطره، واتخذوه قبلة لكم كيلا يكون لأحد من الناس ـ سوى مشركي قريش ـ حجة، ولأتم بذلك ـ من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم غ الذي جعلته إمامًا للناس ـ نعمتي فأكمل لكم به فضلي عليكم وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيت بها نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم، وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمها على رسوله ﷺ والمومنين به من أصحابه.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] يعني: وكي ترشدوا للصواب من القبلة، و ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾، ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] والله تعالى أعلم.

س: ما تمام النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: تمام النعمة هنا بالأمر بالتوجه إلى قبلة إبراهيم ♥، وهي الكعبة، والله تعالى أعلم.

س: ما فائدة تكرار قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠] ثلاث مرات:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ...﴾ [البقرة: ١٤٩].

والثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ...﴾ [البقرة: ١٥٠]؟

ج: لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي:

۞ **القول الأول:** أن هذا للتأكيد لأن الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه للمسجد الأقصى هو أول ناسخ في الإسلام فمن ثمَّ أُكِّد عليه بالتكرير ثلاث مرات، وليحسم هذا التأكيد طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين إلى قبلتهم.

۞ **القول الثاني:** أن الأمر الأول لمن هم في مكة، والثاني لمن هم في بقية الأمصار، والثالث لمن خرج في الأسفار (1).

۞ **والقول الثالث (2):** أن ذلك ذُكر لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق، فقال أولاً: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها، وقال في الأمر الثاني: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]،

---

(1) ويستثنى منه على ما تقدم المسافر الذي يصلي النافلة على الراحلة، فله أن يصلي على الراحلة حيثما توجهت به.

(2) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير ؒ.

فذكر أنه الحق من الله، وارتقاءه المقام الأول حيث كان موافقًا لرضا رسول الله ﷺ فبين أنه الحق أيضًا من الله يحبه ويرتضيه، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم ؛ إلى الكعبة، وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صُرِف الرسول ﷺ عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم ؛ التي هي أشرف، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول ﷺ إليها، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار، هذا وقد قال الرازي $: (4 / 124):

اعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وذكر ههنا ثانيًا قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٩] ثم ذكر ثالثًا قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٠] فهل في هذا التكرار فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أن الأحوال ثلاثة:

أولها: أن يكون الإنسان في المسجد الحرام.

وثانيها: أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد.

وثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات.

والجواب الثاني: أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل

مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حق، لأنهم شاهدوا ذلك في التوارة والإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة الله بكونه حقًّا مغايرة لعلم أهل ا لكتاب بكونهحقًّا، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

والجواب الثالث: أنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤] فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلبًا لرضا محمد ﷺ لأنه قال: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ﴾ [البقرة: ١٤٤] فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٩] أي: نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا مَحِيدَ عنه، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثم إنه تعالى قال ثالثًا: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سببًا للطعن في دينكم، والحاصل: أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة، والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة، وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخًا ألبتة.

والجواب الرابع: أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم ﵇، والثاني مقرون بقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ

مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] أي: لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله أنها حق، وذلك هو قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٩].

والثالث: مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة.

فكانت هذه عللاً ثلاثًا قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة، نظيره أن يقال: الزم هذه ا لقبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها، ثم يقال: الزم هذه القبلة فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى، وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ثم يقال: الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك.

وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، وكذلك ما كرر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٢١].

والجواب الخامس: أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا؛ فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات.

(361) أحمر
أسود

كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا
وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا
لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢

الكلمة	معناها
﴿وَيُزَكِّيكُمۡ﴾	يطهركم من رذائل الأخلاق، ومن: الشرك، وسائر الأدناس، وأفعال الجاهلية، وقد تقدم معناها كذلك.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولاً منكم، ويحتمل المعنى أيضًا: كما أتممت عليكم نعمتي فكذلك أرسلت فيكم رسولاً منكم.

۞ أو بتعبير آخر: أي: كما أنعمت عليكم بإجابة دعوة خليلي إبراهيم لكم إذ دعا فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ...﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ...﴾ [البقرة: ١٢٩]، فأرسلت فيكم رسولاً منكم، فكما أرسلت فيكم رسولاً منكم فكذلك أتممت عليكم هدايتي بأن وجهتكم إلى قبلة إبراهيم ‹.

۞ وهناك قول آخر، حاصله: أن المعنى :كما أني أرسلت فيكم رسولاً منكم مشهورًا بالصدق، فاذكروني بالتوحيد والتصديق به أذكركم.

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

قال الطبري $: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا﴾ [البقرة: ١٥١]، ولأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم ‹، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألنيها فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل، أن أبعثه من ذريتهما.

فـ ﴿كَمَا﴾ ـ إذ كان ذلك معنى الكلام ـ صلة لقول الله ٥: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ولا يكون قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١]، متعلقًا بقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقد قال قوم: إن معنى ذلك: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم

أذكركم. وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، فأغرقوا النزع، وبعدوا من الإصابة، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف. وسوى وجهه المفهوم.

وذلك أن الجاري من الكلام على ألسن العرب، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض: (كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن) - أن لا يشترطوا للآخر، لأن (الكاف) في (كما) شرط، معناه: افعل كما فعلت. ففي مجيء جواب ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ [البقرة: ١٥٢] بعده، وهو قوله:﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أوضح دليل على أن قوله:﴿كَمَا أَرۡسَلۡنَا﴾ من صلة الفعل الذي قبله، وأن قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] خبر مبتدأ منقطع عن الأول، وأنه من سبب قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١] بمعزل.

وقد زعم بعض النحويين أن قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ [البقرة: ١٥٢] - إذا جعل قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١] جوابًا له، مع قوله: ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ - نظير الجزاء الذي يجاب بجوابين، كقول القائل:«إذا أتاك فلان فأته ترضه»، فيصير قوله: «فأته» و «ترضه» جوابين لقوله: «إذا أتاك»، وكقوله: «إن تأتني أحسن إليك أكرمك».

وهذا القول وإن كان مذهبًا من المذاهب، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب. والذي هو أولى بكتاب الله ﻷ أن يوجه إليه من اللغات، الأفصح الأعرف من كلام العرب، دون الأنكر الأجهل من منطقها. هذا، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل.

۞ وقال الزمخشري $ (1): ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ [البقرة: ١٥١] إما أن يتعلق بما قبله أي: ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده أي: كما ذكرتكم بإرسال الرسول ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بالطاعة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] بالثواب.

---

(1) والزمخشري معروف بالاعتزال فَلْيُتَّق منه ما كان في هذا الباب.

۞ **وقال ابن سعدي $:** يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتتامة ليس ذلك ببدع من إحساننا ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه.

|

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ...﴾ [البقرة: ١٥١]**؟ ومن هو هذا الرسول؟**

ج: المخاطبون بذلك هم العرب، وهذا الرسول هو محمد ﷺ.

۞ **قال الطبري $:** وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ **[البقرة: ١٥١]** فإنه يعني بذلك العرب، قال لهم جل ثناؤه: الزموا أيها العرب طاعتي وتوجهوا إلى القبلة التي أمرتكم بالتوجه إليها لتقطع حجة اليهود عنكم فلا تكون لهم عليكم حجة، ولأتم نعمتي عليكم وتهتدوا كما ابتدأتكم بنعمتي فأرسلت فيكم رسولاً منكم، وذلك الرسول الذي أرسله إليه منهم محمد ﷺ.

|

س: في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] **وجه إعجاز وضحه؟**

ج: إيضاحه أن هذا النبي ﷺ رغم كونه أميًّا فإنه علم العرب ما لم يكونوا يعلمون.

|

س: وضِح شيئًا مما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]**؟**

ج: قال الطبري ؒ في معناها:

وأما قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة: ١٥١]**، فإنه يعني: ويعلمكم من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التي لم تكن العرب تعلمها، فعلموها من رسول الله ﷺ. فأخبرهم جل ثناؤه أن

ذلك كله إنما يدركونه برسوله ﷺ.

۞ **وقال الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره:** وقوله ٥: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، هذه صفة زائدة على الصفات السابقة وفيها إشارة إلى معجزة كبرى من معجزات رسول الله ﷺ حيث علم أمته ﷺ أصدق أخبار الأمم الماضية وعرفهم ما كان من الحوادث السابقة وما يكون من الحوادث اللاحقة، ووضع لهم أحسن الأنظمة التي أرشده الله إليها، الصالحة لكل زمان ومكان وجيل وقبيل، والتي لم تعرفها الإنسانية في تاريخها الطويل، مما يعترف بفضله الأصدقاء والأعداء حتى بدأت أوربا في وقت نهضتها الحديثة تأخذ ببعض التعاليم الإسلامية التي ما كانت تعرفها، وقد رأت أن شريعة الإسلام أوفى من سائر الأنظمة بها حتى شملت الشفعة وغيرها، ونحن نعلم علم اليقين أن رسول الله ﷺ علمنا كل شيء نحتاجه في معاشنا أو معادنا حيث علمنا ﷺ ماذا نقول إذا استيقظنا من نومنا وماذا نقول عند منامنا، وماذا نفعل أو نقول عند دخول منازلنا أو تناول طعامنا أو شرابنا وسائر حاجاتنا، وماذا نقول عند ركوب مراكبنا أو في سفرنا أو حضرنا، حتى قال بعض المشركين لسلمان الفارسي ﭬ: لقد علمكم نبيكم كل شيء، فقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث سلمان الفارسي ﭬ قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم. وفي لفظ لمسلم عن سلمان ﭬ قال: قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام وقال: **«لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار»**.اهـ.

وقد صار أصحاب رسول الله ﷺ أئمة الدنيا في العلم، وورَّثوا ذلك للدنيا حتى كان عظماء أوربا يفتخر أحدهم بالذهاب إلى الأندلس ليشهد بعض حلقات العلم على علمائها، وبعد أن كان العرب أشد الناس جهلاً وأبعدهم ضلالة صاروا

أعمق الناس علمًا وأبرهم قلوبًا وأقلهم تكلفًا وأصدقهم لهجة.

س: ما المراد بذكر العباد لربهم وذكر ربهم لهم في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بذكر العباد لربهم في هذا الموطن طاعتهم لله ۵، والمراد بذكر الله لهم رحمته إياهم ومغفرته لهم، والذي يظهر لي ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن المراد بالذكر هنا أعم من ذلك، فيدخل فيه الذكر باللسان أيضًا، فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ع: **«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم...»**(1) .

۞ هذا وقد أورد الرازي خ أوجهًا للعلماء في هذا الموطن، فقال $: ثم للناس في هذه الآية عبارات:

الأولى: اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي.

الثانية: اذكروني بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو قول أبي مسلم قال: أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء> فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة.

الثالثة: اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة.

الرابعة: اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة.

الخامسة: اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات.

السادسة: اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء.

السابعة: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي.

الثامنة: اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي.

---

(1)الحديث أخرجه البخاري (مع الفتح 13 / 384)، ومسلم (مع النووي 17 / 2) من حديث أبي هريرة ف قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: ...»** فذكر الحديث.

التاسعة: اذكروني بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص.

العاشرة: اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة.

س: ما المراد بالشكر في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟ وكذلك ما المراد بالكفر هنا؟ ثم ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟

ج: أما المراد بالشكر فهو صرف النعمة في طاعة الله ﻷ وحمد الله ﻷ عليها، والكفر هنا ـ الذي يظهر أن ـ المراد به جحد النعمة وصرفها في معصية الله ﻷ؛ وذلك لاقترانه بالشكر في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٥٢].

۞ أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] فيقول الطبري ~:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

يعني تعالى ذكره بذلك: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي، ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، يقول: ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته.

والعرب تقول: (نصحت لك، وشكرت لك)،ولا تكاد تقول: (نصحتك)، وربما قالت: (شكرتك ونصحتك)، من ذلك قول الشاعر:

هُمُ جَمَعُوا بُؤسَى ونُعمَى عليكُمُ فهلا شكرتَ القومَ إذ لم تُقاتِلِ

وقال النابغة في (نصحتك):

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي

وقد دللنا على أن معنى (الشكر): الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة، وأن معنى «الكفر»: تغطية الشيء، فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا.

|

س: مزيد النعم يستلزم مزيدًا من الشكر دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

۞ لما اصطفى الله ٥ مريم ژ اصطفاءين وطهرها تطهيرًا أمرها بالقنوت والسجود والركوع مع الراكعين كما قال سبحانه: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣]

۞ ولما أنعم الله على نبينا محمد ﷺ بالرسالة قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]، وكان ﷺ يقوم من الليل حتى تَرِمَ قدماه ويقول: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا»**.

۞ ولما منَّ الله سبحانه على موسى بتكليمه واصطفائه على الناس بالرسالة والتكليم قال له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

۞ ولما منَّ الله على يحيى غ بالنبوة قال له: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾.

[مريم: ١٢]

۞ ولما أنعم الله ٥ على نساء نبيه ﷺ بالزواج من رسول الله ﷺ قال لهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقبلها قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١]

۞ ولما أنعم الله ٥ على نبيه وبشره بالكوثر كلفه بالصلاة والنحر، فقال

تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١، ٢].

۞ وأنعم الله على نبيه بالغنى بعد الفقر والهدى بعد الضلال وإيوائه وهو يتيم، ثم كلفه بأن لا يقهر اليتيم ولا ينهر السائل وأن يحدث بنعمة ربّه عليه، كما هو وارد في سورة الضحى:﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾.

[الضحى: ٦ : ١١]

۞ ومنَّ الله ٥ على ساكني قريش بالأمن فكلفهم بعبادته فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١- ٤].

س: هل يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا (الله)؟

ج: لا يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا، إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض أنواع الذكر وثمرتها؟

ج: قال ابن جزي الكلبي $ في «تفسيره»:

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح والتكبير، والحمد، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته.

وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاص، فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاثة مقامات، وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإن المحسن محبوب لا محالة، وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتهما التوكل على

الله والتفويض إلى الله، والثقة بالله، وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

وقال ابن القيم(1) **$:** كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله **٥** بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرًا منه له، وثناؤه عليه بآلائه، وتمجيده وتسبيحه ذكرًا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرًا منه له، وسكوته وصمته ذكرًا منه له بقلبه فكان ذكر الله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه دائمًا وقاعدًا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته.

|

س: بم يتوصل الشخص إلى نعمة الله عليه؟

ج: يتوصل إلى ذلك بأمور منها:

- دعاء الله **٥** بذلك: كما قال النبي ﷺ لمعاذ: **«لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول: رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».**
- ويتوصل بالإكثار من الصلوات والسجود، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تَرِم قدماه ويقول: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا».**
- وقال في سجدة ﷺ: **«سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا».**
- ويتوصل أيضًا بالرضا بقضاء الله **٥**، قال الله **٥** لموسى: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].
- حمد الله وشكره والعمل بطاعته بعد حلول النعم، كما قال الله سبحانه

(1) زاد المعاد (2 / 365) فصل في هديه ﷺ في الذكر.

(372) أحمر
أسود

لقوم سبأ: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ:١٥].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن
يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا
تَشْعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ
وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ
وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧

الكلمة	معناها
﴿ٱسْتَعِينُواْ﴾	اطلبوا العون.
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾	ولنختبرنكم.
﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾	قيل: المراد: مغفرة من ربهم، وقيل: المراد: الثناء والمدح، وقيل: إعلاء المنزلة.

(374) أحمر
أسود

س: على ماذا يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣]؟

ج: يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن على ما تقدم هذه الآية وما تأخر عنها، فتكون الاستعانة على طاعة الله وامتثال أوامره واتباع ناسخ أحكامه والصبرعلى منسوخها.

وتكون الاستعانة بالصبر والصلاة كذلك على ما يصيبكم من قتلٍ وجراح عند جهادكم أعداء الله، والصبر على أقدار الله عز و جل في ذلك، والاستعانة على ما تصابون به من خوف وجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات.

۞ **قال الطبري** خ: وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣] على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه ـ وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به، أو نقصٌ في أموالكم ـ وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما ينوبكم من مفظعات الأمور إلى الصلاة لي. فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي، وتدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي.

س: ما وجه الاستعانة بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣]؟

ج: قيل: إن المراد الاستعانة بثوابها، وقيل: المراد الاستعانة بذكر الله ٥

فيها، وقيل: الاستعانة بما يتلى فيها من قرآن، والله أعلم.

س: كثيرًا ما يقرن الله بين الصبر والصلاة في موطن واحد، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها ذكر الصبر مقرونًا بالصلاة؟

ج: من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:45]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: 114، 115]، وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: 39، 40].

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية»: وأعظم عون لولي الأمر خاصةً، ولغيره عامةً ثلاثة أمور:

أحدها: الإخلاص لله، والتوكل عليه بالدعاء وغيره. وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن.

والثاني: الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة.

والثالث: الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب. ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: 45]، وكقوله تعالى:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: 114، 115]، وقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ [طه: 130]، وأما قرانه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدًّا. فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية. إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة، يدخل في الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه، وفي الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع: من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج. وفي الصبر

احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر. انتهى، نقله القاسمي.

س: ما نوع ا لمعية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؟

ج: المعية هنا معية نصر وتأييد.

قال الطبري خ: وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] فإن تأويله: فإن الله ناصره وظهيره وراضٍ بفعله، كقول القائل: (افعل يا فلان كذا وأنا معك)، يعني: إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه.

وقال القاسمي $: (محاسن التأويل ص317 ..).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] قال الإمام ابن تيمية (في شرح حديث النزول): لفظ المعية في كتاب الله جاء عامًّا كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤] وفي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ [المجادلة: ٧] وجاء خاصًّا كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص. فإنه قد علم أن قوله: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]،أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] خصهم بذلك دون الظالمين والفجار. وأيضًا، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى. كما في قوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله: ﴿وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧٥] ومثل هذا كثير. فامتنع أن يكون قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد: ٤] يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق. وقد بسط الكلام

عليه في موضع آخر، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه. ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه. فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان. ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد. انتهى مختصرًا.

|

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

ج: سيأتي ذلك إن شاء الله بتفصيل في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقد قال الطبري $ عند تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ [البقرة: ١٥٤].

يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على طاعتي في جهاد عدوكم، وترك معاصيَّ، وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي، أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هَنِيٍّ، ورزق سَنِيٍّ، فرحين بما آتيتهم من فضلي، وحبوتهم به من كرامتي.

وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال(1):

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، كنا نحدث: أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سدرة المنتهى وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من الخير: من قتل في سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا، ومن غَلَبَ آتاه الله أجرًا عظيمًا، ومن مات رزقه الله رزقًا حسنًا.

---

(1) الطبري (2319)، والأثر كما هو واضح ليس مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

س: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ﴾ [البقرة: ١٥٤] يرد سؤال، وهو أن من قتل لا يجيب من خاطبه من الأحياء فكيف يوجه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولا تقولوا عمن قتل في سبيل الله إنهم أموات.

|

س: علم من سنة رسول الله ﷺ (من جملة أحاديث) أن الأموات في قبورهم يشمون رائحة الجنة وتفتح لهم أبوابها ويأتيهم من طيبها ونعيمها ويستعجلون قيام الساعة، فما هو الذي اختص الله الشهداء من خصوصية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

ج: طرح الطبري $ في «تفسيره» نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال:

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يشمون منها روحها، ويستعجلون الله قيام الساعة، ليصيروا إلى مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار ينظرون إليها، ويصيبهم من نتنها ومكروهها، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة، حذارًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها، مع أشباه ذلك من الأخبار، وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله ﷺ، فما الذي خص به القتيل في سبيل الله، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك، وأما المؤمنون فمنعمون بالروح والريحان ونسيم الجنان؟

قيل: إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في

برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطْعِمهَا الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عبدالرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن الحارث بن فضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء »** ـ وقال عبدة: في روضة خضراء ـ **«يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا»**.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقي، عن ابن بشار السلمي ـ أو: أبي بشار، شك أبو جعفر ـ قال: أرواح الشهداء في قباب بيض من قباب الجنة، في كل قبة زوجتان، رزقهم في كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوت. فأما الثور ففيه طعم كل ثمرةٍ في الجنة، وأما الحوت ففيه طعم كل شراب في الجنة.

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ، غير موجود في قوله:﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وإنما فيه الخبر عن حالهم، أمواتٌ هم أم أحياءٌ.

قيل: إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة، ولكنه تعالى ذكره لما كان أنبأ عباده عما خص به الشهداء في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وعلموا حالهم بخبره ذلك ـ ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله: ﴿وَلَا

(380) أحمر
أسود

تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ﴾ [البقرة: ١٥٤]، نُهي خلقه عن أن يقولوا للشهداء: إنهم موتى ـ ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم.

وأما قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فإنه يعني به: ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياءٌ، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به.

س: الله ۵ يبتلي عباده بأنواع من الابتلاءات في هذه الحياة الدنيا ولابد من هذه الابتلاءات، اذكر عدة أدلة تؤكد هذا المعنى؟ وبين بعض صور هذه الابتلاءات؟

ج: من الأدلة على أن البلاء يلحق العباد في الدنيا ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (1). [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]
- وقوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧].
- وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].
- وقوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

---

(1) قال الطبري خ: وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

[التوبة: ١٢٦]

۞ وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

۞ وقوله تعالى في شأن خزنة جهنم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [المدثر: ٣١].

۞ وقال سليمان ؛ لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أما صور هذه الابتلاءات فمنها:

۞ ابتلاءات بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

۞ ابتلاءات بالأمراض والأسقام.

۞ابتلاءات بلقاء الجبابرة والظالمين.

۞ابتلاءات بالناسخ والمنسوخ من الأحكام.

۞ابتلاءات بالغنى والفقر (1) .

س: اذكر بعض فوائد المحن والابتلاءات .

ج: أورد القاسمي ؛ (في محاسن التأويل) نقلاً عن العز بن عبدالسلام بحثًا سريعًا في ذلك فقال:

وللإمام عز الدين محمد بن عبدالسلام، ؛، كلام على فوائد المحن والرزايا يحسن إيراده هنا. قال عليه الرحمة: للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس.

أحدها: معرفة عز الربوبية وقهرها.

والثاني: معرفة ذلة العبودية وكسرها. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده

(1) وانظر في هذا كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه.

والثالثة: الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه. ولا معتمد في كشفها إلا عليه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 17] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: 65].

الرابعة: الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: 8].

الخامسة: التضرع والدعاء: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس: 12] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 67]. ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 41]. ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: 63].

السادسة: الحلم ممن صدرت عنه المصيبة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114] ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53]. **«إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة»**(1) . وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها، فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم.

السابعة: العفو عن جانيها: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 134]. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 40] والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو.

الثامنة: الصبر عليها. وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 146] ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] **«وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»**(2) .

---

(1) أخرج مسلم (حديث 17) ص48 من حديث ابن عباس ﭬ أن رسول الله ﷺ قال للأشج - أشج عبدالقيس -: «إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة».

(2) أخرجه البخاري (حديث 1469)، ومسلم (حديث 1053) من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ قال: إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال: **«ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعفُّه الله، ومن يستغن** =

التاسعة: الفرح بها لأجل فوائدها. قال ♥: **«والذي نفسي بيده! إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء»**.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: حبذا المكروهان الموت والفقر. وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها،مع تجرعه لمرارتها.

العاشرة: الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها. كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه، المانع من شهواته، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء.

الحادية عشرة: تمحيصها للذنوب والخطايا ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠] ولا يصيب المؤمن وَصَبٌ ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كُفِّرَ به من سيئاته.

الثانية عشرة: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم. فالناس معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء واشكروا الله تعالى على العافية. وإنما يرحم العشاق من عشق.

الثالثة عشرة: معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها. فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها.

الرابعة عشرة: ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها.

الخامسة عشرة: ما في طيّها من الفوائد الخفية ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ١١].

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر. فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين. فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية، وقد قيل:

= يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر».

كـــــم نعمـــــــة مطويـــــــة لــك بــين أثنــاء المصـــــائب

وقال آخر:

رُبَّ مبغـــــــوض كريـــــه فيـــــه لله لطـــــــائف

السادسة عشرة: أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر، فإن نمرود، لو كان فقيرًا سقيمًا، فاقد السمع والبصر، لما حاج إبراهيم في ربه، لكن حمله بطر المُلْك على ذلك.

وقد علل الله ▌ محاجته بإتيانه الملك، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [التوبة: ٧٤] ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]. ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ [هود: ١١٦] ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجن: ١٦، ١٧] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء. ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء. ثم الأمثل فالأمثل. نُسِبُوا إلى الجنون والسحر والكهانة واستهزئ بهم وسخر منهم ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ [الأنعام: ٣٤].وقيل لنا: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ [آل عمران: ١٨٦] كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وتغربوا عن أوطانهم. وكثر عناهم. واشتد بلاهم وتكاثر أعداؤهم. فغُلبوا في بعض المواطن، وقتل منهم بأحد و بئر معونة من قتل. وشج وجه رسول الله ﷺ.وكسرت رباعيته. و هشمت البيضة

على رأسه. وقتل أعزاؤه ومثل بهم. فشمتت أعداؤه واغتم أولياؤه.و ابتلوا يوم الخندق. وزلزلوا زلزالاً شديدًا.

وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. وكانوا في خوف دائم وعري لازم. وفقر مدقع. حتى شدوا الحجارة عل بطونهم من الجوع. ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبز بر في يوم مرتين. وأوذي بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه. ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي. ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه، ومات ودرعه عند يهودي على آصُعٍ من شعير. ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتعهدون بالبلاء الوقت بالوقت (يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان صلبًا في دينه شدد في بلائه. ولقد كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فلا يصده ذلك عن دينه). وقال ♥:

«مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء». وقال ♥: **«مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح، تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج»** فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله ٥. وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ﴾ [يونس: ١٢] فلأجل ذلك تقللوا في المآكل والمشارب والمناكح والمجالس والمراكب وغير ذلك. ليكونوا على حالةٍ توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى ٥ والإقبال عليه.

السابعة عشرة: الرضا الموجب لرضوان الله تعالى. فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة، ومن رضيها فله الرضا. والرضا أفضل من الجنة وما فيها لقوله تعالى: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: من جنات عدن ومساكنها الطيبة.

فهذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى، ونحن نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فلسنا من رجال البلوى.

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى وعافانا من المحن والرزايا بمنه وكرمه. آمين.

|

س: اذكر بعض فوائد الصبر؟

ج: ذكر قدرًا من ذلك ابن جزي في كتابه التسهيل فقال:

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا، وذلك لعظمة موقعه في الدين، قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

أولها: المحبة: قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والثاني: النصر قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والثالث: غرفات الجنة، قال: ﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥].

والرابع: الأجر الجزيل قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

والأربعة الأخرى: المذكورة في هذه الآية، ففيها البشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] والصلاة والرحمة والهداية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

قلت: ويضاف إلى ما سبق:

- تسليم الملائكة: عليهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].
- الجزاء بأحسن العمل: كما قال تعالى: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

|

س: اذكر بعض الأحاديث في فضل من مات له ولد فصبر واحتسب؟

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

1 - ما أخرجه البخاري(1) من حديث أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءً إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**».

2 - ما أخرجه الإمام أحمد(2) بإسناد حسن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيأتون قال: فيقول الله ﻷ: ما لي أراهم محبنطئين(3) ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا قال: فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**».

3 - وأخرجه ابن ماجة(4) بإسناد حسن عن أبي أمامة ﭬ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضَ ثوابًا دون الجنة**».

4 - وأخرج مسلم(5) من حديث أبي هريرة ﭬ قال: أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال: «**دفنت ثلاثة؟!!**» قالت: نعم، قال: «**لقد احتظرت بحظار شديدٍ من النار**».

5 - وأخرج البخاري(6)، ومسلم من حديث أبي هريرة ﭬ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم**».

6- وأخرج البخاري(7) من حديث أنس ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من**

---

(1) حديث (6424).
(2) أحمد في المسند (4 / 105).
(3) أي: ممتنعين.
(4) حديث (1597).
(5) مسلم (حديث 2636).
(6) البخاري (حديث 1251)، ومسلم (حديث 2632).
(7) البخاري حديث (1248).

الناس من مسلمٍ يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم».

7 - وأخرج البخاري ومسلم(1) من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: **«اجتمعن يوم كذا وكذا»** فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال: **«ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار»**، فقالت امرأة: واثنين واثنين واثنين فقال رسول الله ﷺ: **«واثنين واثنين واثنين»**.

8 - وأخرج مسلم(2) بإسناده إلى أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم: **«صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى - أو قال: فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة»**.

س: في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] سؤالان: أولهما: ما معنى التبشير؟ الثاني: صابرون على ماذا؟

ج: أصل التبشير إخبار الرجلِ الرجلَ الخبر يسُرُّه أو يسوؤه لأول مرة والمراد بالتبشير هنا (الإخبار بما يسر).

أما الصابرون فهم الصابرون على ما بلوتهم به من أنواع البلاء، والله أعلم.

س: ما مقول الصابرين عند حلول المصيبة بهم؟

ج: مقولهم هو ما ذكره الله ﻷ في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ

(1) أخرجه البخاري (حديث 1249)، ومسلم (2633)، واللفظ لمسلم.
(2) أخرجه مسلم (حديث 2635).

(389) أحمر
أسود

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]. وما سنَّه لهم نبيهم محمد ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة ﭭ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها**»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب ابن أبي بلتعة يخطبني له فقلت له: إن لي بنتًا وأنا غيور، فقال: «**أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**»(1) .

س: وضح معنى قول الصابرين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ : إننا مماليك لله وعبيدٌ له يتصرف فينا كيف يشاء ويقبض منا إليه من شاء ويؤخر من يشاء ويبتلي من يشاء وينعم على من يشاء، ثم إننا بعد موتنا صائرون إليه جميعًا يقضي فينا بما يشاء.

وقول الصابرين هذا صادر منهم على سبيل الاعتراف والإذعان والتسليم لقضاء الله سبحانه والرضا بأحكامه، وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم.

۞ قال الطبري ﭬ: يعني تعالى ذكره: وبشر، يا محمد، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني، فيقرون بعبوديتي، ويوحدوني

---

(1) أخرجه مسلم (مع النووي 6 / 220)، وفي رواية لمسلم من حديث أم سلمة أيضًا قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون» قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: فقولي: «اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبة حسنة» قالت: فقلت، فأعقبني الله من هو خيرٌ لي منه محمد ﷺ.

۞ هذا وقد أخرج الطبري (أثر 2331) بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير ﭬ قال: ما أعطي أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب ؏ ألم تسمع إلى قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي، فيستسلمون لقضائي، ويرجون ثوابي، ويخافون عقابي، ويقولون ـ عند امتحاني إياهم ببعض محني، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها ـ: إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياء، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون ـ تسليمًا لقضائي ورضًا بأحكامي.

۞ وقال ابن الجوزي $ (زاد المسير ص162): ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦] يريدون نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] يريدون نحن مقرون بالبعث والجزاء على أعمالنا والثواب على صبرنا.

س: ما المراد بالنقص من الأنفس، وما المراد بنقص الثمرات؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ بنقص الأنفس: موت الأصحاب والأقارب والأحباب، والمراد بنقص الثمرات: أن الحدائق والمزارع والبساتين لا تنبت كعادتها، أو المراد: تأخر نزول المطر، أو المراد: إصابة الثمرات بآفة، ونحو ذلك، والله تعالى أعلم.

س: ورد عن أمير المؤمنين عمر ۏ أنه قال في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧]: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦، ١٥٧] فما معنى هذا الأثر؟ ومن أخرجه؟ وما مدى صحته؟

ج: العدلان هما: (الصلوات من ربهم والرحمة) وهما بمنزلة الحملين (الثُّقْلين) يوضع كل واحد منهما في ناحية من الجمل، والعلاوة وهي ما يوضع على السنام، والمعنى: أن الصلوات من الرب تعادل قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦] والرحمة تعادل قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] فأعطوا ما يعادل قولهم ثم

زيدوا بعلاوة وهي ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

والمعنى أنهم أعطوا ثواب أعمالهم وزيدوا أيضًا. أما الأثر فأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الجنائز (مع الفتح 3 / 205) باب الصبر عند الصدمة الأولى، وقال عمر ﭬ: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ...﴾ الآية [البقرة:١٥٦].

إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨

الكلمة	معناها
﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾	الشعائر جمع شعيرة، والشعيرة: هي العلامة، ومنه إشعار الهدي، أي: تعليمه بعلامة يعرف بها أنه هدي، وشعائر الله هي: المعالم التي جعلها الله لعباده يذكرونه عندها.
﴿حَجَّ﴾	الحج لغة: القصد، وشرعًا: القيام بأعمال مخصوصة من: طواف، وسعي، وذهاب إلى: منى، وعرفات، ومزدلفة، ورمي جمار، وحلق ... إلى غير ذلك.
﴿ٱعْتَمَرَ﴾	اعتمر معناها: زار، والمراد شرعًا: القيام بالطواف والسعي والحلق أو التقصير.
﴿جُنَاحَ﴾	إثم.
﴿يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾	يسعى بينهما ذاهبًا وآيبًا.
﴿تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾	فعل خيرًا.

|

س: ما معنى الصفا؟ وما معنى المروة؟ وما المراد بهما في الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: أما الصفا : فهي الصخرة الملساء، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أما المروة ففيها أقوال: منها أنها الحجارة الصغيرة، ومنها أنها حجارة بيض براقة تكون منها النار وتُقدح منها النار، وتتخذ أداة كالسكين يُذبح بها، وهي صلبة.

والمراد بالصفا والمروة: هنا الجبلان المعروفان بمكة اللذان يسعى بينهما الحاج أو المعتمر (1)، والله تعالى أعلم.

س: ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية؟

ج: سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من طريق عروة قال: سألت عائشة ڤ فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصَّفا والمروة فقالت: بئس ما

---

(1) قلت: وقد أخرج الطبري بأسانيد صحيحة إلى داود بن أبي هند عن الشعبي أن وثنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى (إسافًا) ووثنًا على المروة يُسمى (نائلة)، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر قال: فأنزل الله: إنها من الشعائر ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، وهذا إسناد مرسل كما هو واضح، فالشعبي لم يدرك رسول الله ﷺ.

۞ وذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن إسافًا ونائلة كانا بشرين زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عُبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... لمفضى السيول من إساف ونائل

نقله ابن كثير $.

قلت (مصطفى): ومثل هذا النقل يحتاج إلى دليل صحيح، والله أعلم.

قلت يا ابن أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية. قالت عائشة ڤ: وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبدالرحمن فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون أن الناس ـ إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة ـ كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت.

۞ وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ڤ أنه سئل عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] ولا مانع أن تكون نزلت لسببين. والله أعلم.

س: ما الحرج الذي كان يظن المسلمون أنهم سيقعون فيه إذا سعوا بين الصفا والمروة، ورفعه الله ٥ عنهم بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: يتمثل هذا الحرج في أن الناس كانوا يطوفون في الجاهلية بين الصفا والمروة لصنمين كانا عليهما، فلما جاء الله ٥ بالإسلام، وتركوا الأوثان والأصنام تحرجوا من الطواف بهما، هكذا ذكر بعض أهل العلم(1)، وقد تقدم قول الشعبي $ في ذلك.

وصح عن أنس ڤ وقد سئل أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية؟ فقال: نعم كنا نكره الطواف بينهما، لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

۞ وصح عن ابن زيد(2) في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] قال: كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنمًا يعظمونها فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] وقرأ ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وسن رسول الله ﷺ الطواف بهما.

أما عائشة رضي الله تعالى عنها فكانت تقول: إن الآية الكريمة إنما أُنزلت، لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوَّف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك

---

(1) وصاغه بعضهم بصياغة أخرى فقال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] أي: لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما، فإذا كان المشركون يسعون بينهما ويتمسحون بالأصنام فاسعوا أنتم لله رب العالمين ولا تتركوا الطواف بينهما خشية التشبه بالمشركين.

(2) أخرجه الطبري (٢٣٤٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد، وهو وإن كان صحيحًا إلى ابن زيد إلا أنه إلى رسول الله ﷺ مرسل، بل معضل لكون ابن زيد بينه وبين رسول الله ﷺ بونٌ بعيد لكني أرى أن هذا تفسيرٌ من ابن زيد $ لسياق الآية الكريمة.

رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوَّف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله ٥ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] قالت عائشة: ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما.

۞ وروى الطبري $ بإسناد حسن(1) إلى قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية، فكان حيٌّ من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما.

قلت: فحاصل الحرج ـ على ما ذكره أهل العلم ـ يتلخص في الآتي:

۞ منهم من كان يتحرج لكون صنمين كانا عليهما (أي: على الصفا والمروة).

۞ ومنهم من كان يتحرج لكونه أهلّ لمناة الطاغية التي عند المشلل، وكان من أهلّ لها تحرج من السعي بين الصفا والمروة.

۞ ومنهم من كان يتحرج لكونه كان لا يسعى بينهما في الجاهلية أصلاً.

قال الطبري $: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره.

فأما قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روي عن عائشة، وأي الأمرين كان من ذلك فليس في قول الله تعالى ذكره: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية دلالة على أنه عنى به وضع الحرج عمن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز

(1) الطبري (أثر 2348).

بحظر الله ذلك ثم جُعل الطواف بهما رخصة لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

س: هل منع الله السعي بين الصفا والمروة في وقت من الأوقات ثم رخص فيه بقوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: لم نقف على نصٍ يفيد هذا المنع، وقد نقل الطبري خ إجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت من الأوقات، والله تعالى أعلم.

س: بماذا يبدأ الساعي بين الصفا والمروة؟ هل بالصفا أم بالمروة؟

ج: يبدأ الساعي بالصفا، لأن النبي ﷺ لما فرغ من طوافه اتجه إلى الصفا وهو يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] ثم قال: **«أبدأ بما بدأ الله به»**(1) ، والله تعالى أعلم.

س: ماذا فعل رسول الله ﷺ عند صعود الصفا والمروة؟

ج: أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث جابر ﭬ في وصف حجة رسول الله ﷺ قال: ... ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨] **«أبدأ بما بدأ الله به»** فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبَّره وقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»** ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على

(1) أخرجه مسلم (حديث 1218) من حديث جابر بن عبدالله ﭬ مرفوعًا.

الصفا[(1)].

|

س: هل يُشرع الدعاء على الصفا والمروة؟

ج: نعم يشرع ذلك، وقد تقدم في حديث جابر أن النبي ﷺ دعا على الصفا والمروة.

|

س: لماذا يُسرع الناس المشي في المنطقة من المسعى التي بين العلامتين الخضراوين؟

ج: يُسرع الناس المشي في هذه المنطقة لقول النبي ﷺ: **«لا يُقْطَع الأبطح إلا شدًّا»**[(2)]، وأيضًا لما تقدم في حديث جابر بن عبدالله ڤ أن النبي ﷺ نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى... الحديث، والله تعالى أعلم.

|

س: ما أصل السعي بين الصفا والمروة؟ وما الذي ينبغي أن يستحضره الساعي بينهما؟

ج: أصله ابتداء أمر الله ۵ به ثم إن النبي ﷺ قد سنَّه، وقد قال بعض أهل العلم: إن أصل ذلك مأخوذ من سعي هاجر ڑ بين الصفا والمروة.

قال الحافظ ابن كثير $: وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله ۵ حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها

---

(1) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله ڤ مرفوعًا (حديث 1218).

(2) أخرجه أحمد (6 / 405)، والنسائي (5 / 242)، والبيهقي في الكبرى (5 / 98) من طريق بديل بن ميسرة عن المغيرة بن حكيم عن صفية بنت شيبة عن امرأة مرفوعًا، وهذا إسناد صحيح، فالمرأة صحابية (إذ قد أفادت أنها رأت رسول الله ﷺ).

وقد روي الحديث (عند أحمد ٦ / ٤٠٤) وابن ماجه (٢٩٨٧) وغيرهم من طريق بديل بن ميسرة عن صفية بنت شيبة عن أم ولدٍ لشيبة أنها رأت رسول الله ﷺ... فذكرت الحديث، وفيه أن النبي ﷺ قال: «لا يقطع الأبطح إلا شدًّا»، وهذا خلاف لا يضر سواء أثبت المغيرة أو حذف، والله أعلم.

زمزم التي ماؤها (طعام طعم وشفاء سقم) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله ۵ لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر ڑ.

س: هل يشرع السعي بين الصفا والمروة تطوعًا بدون حج أو عمرة؟

ج: لا يشرع ذلك إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فيُفهم منه أن من لم يحج ولم يعتمر فليس له أن يطوَّف بهما، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالتطوع في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: ومن حج تطوعًا بعد قضاء حجته الواجبة عليه أو اعتمر تطوعًا (بعد العمرة الواجبة عليه عند من يرى بوجوب العمرة) فإن الله شاكر له على تطوعه ومثيبه على ذلك.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن الله شاكر له صنيعه الذي صنع ومثيبه عليه ومجازيه به عليم بحاله وبقلبه هل أراد بحجه وعمرته الرياء والسمعة أم حج واعتمر ابتغاء وجه الله ۵ ورجاء ثوابه وحطًّا لخطاياه وذنوبه.

وقال الحافظ ابن كثير $: وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] أي: يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدًا ثوابه و ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

س: هل يُفهم من الآية الكريمة أنه يجوز لشخص ما أراد الحج أو العمرة ألا يسعى بين الصفا والمروة؟

ج: نعم هذا مفهوم من الآية الكريمة، لكن هذا المفهوم مردود، لأن النبي ﷺ طاف بينهما، وقد قال ♥: **«لتأخذوا مناسككم»**(1).

ولم يرد أنه ♥ رخص لأحدٍ في ترك السعي بينهما، والله تعالى أعلم.

هذا وقد فهم عروة $ نحو هذا المفهوم المذكور في السؤال وردَّته أم المؤمنين عائشة ڤ، ففي «الصحيحين» من طريق عروة عن عائشة قال: قلت: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قلت: فوالله ما على أحد جناح ألا يتطوف بهما فقالت عائشة: بئسما قلت ياابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ألا يطوّف بهما، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز و جل ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قالت عائشة ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما(2).

۞ وأخرج البخاري من حديث ابن عمر ﭬ قال: قدم النبي ﷺ مكة فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة، ثم تلا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

۞ وقد ثبت في عدة طرق أن النبي ﷺ سعى بين الصفا والمروة، بل تواتر ذلك الفعل، والله تعالى أعلم.

---

(1) أخرجه مسلم (1297) من حديث جابر بن عبدالله ﭬ مرفوعًا.

(2) أخرجه البخاري (حديث 1643) وفي غير موضع من الصحيح ومسلم (حديث 1277).

س: ما حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج أو المعتمر؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: قول من قال: إن السعي بين الصفا والمروة ركن ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به.

الثاني: من العلماء من قال إنه واجب على الحاج والمعتمر، وإذا لم يتمكن منه الحاج أو المعتمر أراق مكانه دمًا.

الثالث: قول من قال إنه مستحب وليس بواجب ولا ركن.

أما دليل القول الثالث: فمن الآية الكريمة﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فقال أصحاب هذا القول: إن الله ٥ ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] فدل ذلك على أنه تطوع وقال في صدر الآية: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فأفاد مفهومها أن من لم يطوّف بهما فلا جناح عليه أيضًا.

أما دليل القول الثاني: فهو أن النبي ﷺ قد سعى بين الصفا والمروة هو وأصحابه، وقد قال ♥: **«خذوا عني مناسككم»** ولم يرد أن النبي ﷺ رخص لأحدٍ في تركه .

أما قولهم فيمن تركه أن عليه دمًا فلا أعلم دليلاً مرفوعًا إلى النبي ﷺ يدل عليه أما دليل القول الثالث: فهو نحو من دليل القول الثاني مع قوله ♥: **«إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا»**(1) .

(1) هذا الحديث مما نستخير الله ٥ في تصحيحه فالطرق المعتادة للتصحيح (باعتبار الشواهد والمتابعات) تقتضي أن يُحسن بمجموع طرقه فقد أخرجه الدارقطني (السنن ٢/ ٢٥٥) والبيهقي من طريقه في السنن الكبرى (٥/ ٩٧) من طريق معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبدالرحمن عن أمه صفية قالت: أخبرتني نسوة من بني عبدالدار اللائي أدركن رسول الله ﷺ قلن: دخلنا دار ابن أبي حسين فاطلعنا من باب مقطع فرأينا رسول الله ﷺ يشتد في المسعى حتى إذا بلغ زقاق بني فلان موضعًا قد سماه من المسعى، استقبل الناس وقال: **«يا أيها الناس اسعوا فإن المسعى قد كتب عليكم»**.

۞ ومعروف بن مشكان لم أقف على معتبر نصَّ على توثيقه صراحة ولا على من طعن فيه بما يُسقط =

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

أثر عائشة ڤ:

۞ قال الطبري خ: (أثر 2353)

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لعمري ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة، لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، صحيح عن عائشة ڤ.

أثر مالك بن أنس $:

قال الطبري $: (أثر 2353 مكرر)

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال مالك بن أنس: (من نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة فليرجع فَلْيَسعَ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدي).

قول الإمام الشافعي $:

قال الطبري $: وكان الشافعي يقول: على من ترك السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العود إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزيه غير ذلك.

حدثنا بذلك الربيع عنه.

أثر الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى:

بوَّب الطبري $ في تفسيره بباب ذكر من قال: يجزي منه دم وليس عليه عودٌ لقضائه، قال الثوري(1) بما حدثني به علي بن سهل عن زيد ابن أبي

=حديثه.

لكنه قد توبع، فالحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٣٢)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٢١) وغيرهم بأسانيد عن صفية بنت شيبة، وإن كان في هذه الأسانيد ضعف إلا أنها ترقي الحديث للصحة.

لكن لما كان هذا الحديث من أحاديث الأحكام التي تهم عموم أمة محمد ﷺ كنا نطمع له في أسانيد جياد، وهذا الذي لم نقف عليه، والله تعالى أعلم.

(1) أخرجه الطبري أثر (2355).

الزرقاء عنه، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن عاد تاركُ الطوَاف بينهما لقضائه فحسن، وإن لم يعُد فعليه دم.

أثر عطاء رحمه الله تعالى(1):

قال الطبري $ (أثر 2356):

حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا ابن جريج قال:قال عطاء: لو أن حاجًّا أفاض بعدما رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها ـ يعني: امرأته ـ لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه ألا يطوَّف بهما۝) فعاودته بعد ذلك فقلت: إنه قد ترك سنة النبي ﷺ، قال: ألا تسمعه يقول: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] فأبى أن يجعل عليه شيئًا.

قراءة ابن عباس ﭭ للآية الكريمة:

قال الطبري خ: (أثر 2357):

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبدالملك عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨] الآية (فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما).

اختيار الطبري $:

أورد الطبري جملة آثار ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الطواف بهما فرض واجب، وأن على من تركه العوْد لقضائه، ناسيًا، كان أوعامدًا، لأنه لا يُجزيه غير ذلك، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه حج بالناس، فكان مما علمهم من مناسك حجهم الطوافُ بهما.

ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثني يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا جعفر بن

---

(1) بوَّب له الطبري بباب ذكر من قال الطواف بينهما تطوع ولا شيء على من تركه ومن كان يقرأ (فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما).

محمد، عن أبيه، عن جابر قال: لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجه قال: **«إن الصفا والمروة من شعائر الله، ابدءوا بما بدأ الله بذكره»**. فبدأ بالصفا فَرقِيَ عليه.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن، عن أبي بكر ابن عياش، عن ابن عطاء عن أبيه، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: **«إن الصفا والمروة من شعائر الله»** فأتى الصفا فبدأ بها، فقام عليها، ثم أتى المروة فقام عليها، وطاف وسعى.

فإذا كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة ـ أن الطواف بهما على تعليم رسول الله ﷺ أمَّته في مناسكهم،وعمله في حَجّه وعُمرته ـ وكان بيانه ﷺ لأمَّته جُمَل ما نصَّ الله في كتابه، وفرضه في تنزيله، وأمر به مما لم يدرك علمه إلا ببيانه، لازمًا العمل به أمته، كما قد بينا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام» ـ إذا اختلفت الأمة في وجوبه، ثم كان مُختلفًا في الطواف بينهما: هل هو واجبٌ أو غير واجب ـ كان بينًا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر، لما وصفنا.

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة ـ لما كان مختلفًا فيما على من تركه،مع إجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله رسول الله ﷺ وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم، إذ علمهم مناسك حجهم ـ كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم، إذ علمهم مناسك حجهم وعمرتهم ـ وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزي منه فديةٌ ولا بدلٌ، ولا يجزي تاركه إلاَّ العود لقضائه ـ كان نظيرًا له الطواف بالصفا والمروة، ولا تجزي منه فدية ولا جزاءٌ، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه، إذ كانا كلاهما طوافين: أحدهما بالبيت، والآخر بالصفا والمروة.

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما.

فإن اعتل بقراءة من قرأ: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا).

قيل: ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين، غيرُ جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها. وسواء قرأ ذلك كذلك قارئ أو قرأ قارئ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، (فلا جناح عليهم ألا يطوفوا به) فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف، كانت الأخرى نظيرتها، وإلا كان مجيز إحداهما ـ إذا منع الأخرى ـ متحكمًا. والتحكم لا يعجز عنه أحدٌ.

وقد رُوي إنكار هذه القراءة، وأن يكون التنزيل بها، عن عائشة.

حدثني يونس بن عبدالأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ، وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨]، فما نرى على أحد شيئًا ألا يطوف بهما! فقالت عائشة: كلا! لو كانت كما تقول، كانت: (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما)، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة ـ وكانت مناة حذو قديد ـ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

قال أبو جعفر: وقد يحتمل قراءة من قرأ: **«فلا جناح عليه ألا يطوف بهما»**، أن تكون «لا» التي مع «أن»، صلةً في الكلام، إذ كان قد تقدمها جحدٌ في الكلام قبلها، وهو قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٥٨]، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، بمعنى ما منعك أن تسجد، وكما قال الشاعر:

ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبو بكر ولا عمر

ولو كان رسم المصحف كذلك، لم يكن فيه لمحتج حجة، مع احتمال الكلام

ما وصفنا. لما بينا أن ذلك مما علم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم، على ما ذكرنا، ولدلالة القياس على صحته، فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين، ومما لو قرأه اليوم قارئ كان مستحقًّا العقوبة، لزيادته في كتاب الله ٥ ما ليس منه؟

قول الحافظ ابن كثير خ: أورد الحافظ ابن كثير خ حديث: **«اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»** ثم قال:

وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج ؛كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه، ورواية عن أحمد، وهو المشهور عن مالك.

وقيل: إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمدًا أو سهوًا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة، وقيل: بل مستحب، وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس وحكي عن مالك في العتبية.

قال القرطبي: واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] والقول الأول أرجح لأنه ﷺ طاف بينهما، وقال: **«لتأخذوا عني مناسككم»** فكل ما فعله في حجته تلك واجب لابد من فعله بالحج إلا ما خرج بدليل، والله أعلم، وقد تقدم قوله ﷺ: **«اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي»** فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي: مما شرع الله قال لإبراهيم في مناسك الحج.

قول القرطبي رحمه ا لله تعالى:

قال القرطبي $: واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة؛ فقال الشافعي وابن حنبل: هو ركن؛ وهو المشهور من مذهب مالك؛ لقوله ﷺ: **«اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»**. خرجه الدارقطني. وكتب بمعنى أوجب؛ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقوله ﷺ: **«خمس صلوات**

كتبهن الله على العباد». وخرج ابن ماجه عن أم ولدٍ لشيبة قالت: رأيت رسول الله ﷺ يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول: **«لا يقطع الأبطح إلا شدًّا»** فمن تركه أو شوطًا منه ناسيًا أو عامدًا رجع من بلده أو من حيث ذكر إلى مكة، فيطوف ويسعى؛ لأن السعي لا يكون إلا متصلاً بالطواف، وسواء عند مالك كان ذلك في حج أو عمرة وإن لم يكن في العمرة فرضًا، فإن كان قد أصاب النساء فعليه عمرة وهديٌ عند مالك مع تمام مناسكه. وقال الشافعي عليه هديٌ،و لا معنى للعمرة إذا رجع وطاف وسعى. وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والشعبي: ليس بواجب؛ فإن تركه أحدٌ من الحاج حتى يرجع إلى بلاده جبره بالدم؛ لأنه سنه من سنن الحج. وهو قول مالك في العتبية. وروي عن ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين أنه تطوع؛ لقوله تعالى ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقرأ حمزة والكسائي (يطوع) مضارع مجزوم، وكذلك ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤] الباقون **«تطوع»** ماض؛ وهو ما يأتيه المؤمن من قبل نفسه فمن أتى بشيء من النوافل فإن الله يشكره. وشكر الله للعبد إثابته على الطاعة. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي خ لما ذكرنا، وقوله ﷺ: **«خذوا عني مناسككم»** فصار بيانًا لمجمل الحج؛ فالواجب أن يكون فرضًا؛ كبيانه لعدد الركعات، وما كان مثل ذلك إذا لم يتفق على أنه سنة أو تطوع. وقال طُليب: رأى ابن عباس قومًا يطوفون بين الصفا والمروة فقال: هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل.

قلت: وهذا ثابت[1] في «صحيح البخاري»، على ما يأتي بيانه في سورة «إبراهيم».

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة، فنقل الأثرم أن من ترك السعي لم يجزه حجه، ونقل أبو طالب لا شيء في تركه

(1)قائل ذلك هو القرطبي $.

عمدًا أو سهوًا، ولا ينبغي أن يتركه، ونقل الميموني أنه تطوع.

وقال البغوي $:

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة، وبه قال الحسن، وإليه ذهب مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وقال الثوري وأصحاب الرأي: على من تركه دم.

وقال صديق حسن خان (في تفسيره فتح البيان):

بعد أن أورد حديث: **«اسعوا فإن الله ๕ كتب عليكم السعي»**: ويؤيد ذلك حديث **«خذوا عني مناسككم»** واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب، وهو الراجح.

|

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ
مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ
يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ
تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ
وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠

الكلمة	معناها
﴿يَكۡتُمُونَ﴾	يخفون.
﴿ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	الدلالات على نبوة محمد ﷺ.
﴿يَلۡعَنُهُمُ﴾	يطردهم، واللعن: الطرد.

س: من المعنيون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟ وما هي البينات التي كتموها؟

ج: هؤلاء المعنيون بالآية الكريمة هم علماء اليهود وعلماء النصارى، والبينات التي كتموها هي ما بينه الله ۵ من أمر محمدٍ ﷺ ونبوته ومبعثه وصفته.

س: ما المراد بالهدى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟

ج: المراد بالهدى هنا ما أنزله الله في الكتابين (التوراة والإنجيل) من آيات وعلامات ودلالات وبينات هداية للناس، والله أعلم.

س: ما المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟ وكذلك ما المراد بالكتاب؟

ج: المراد بالناس هنا بعض الناس وهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لأن صفة محمد ﷺ كانت عندهم دون غيرهم.

۞ أما الكتاب فهو اسم جنس، والمراد به الكتب، والمعني به هنا التوراة والإنجيل، والله تعالى أعلم.

س: ذكرتم أن المعنى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] هم علماء اليهود والنصارى فهل تنسحب على غيرهم أيضًا؟

ج: نعم وتنسحب على كل كاتمٍ علمًا فرض الله ۵ بيانه للناس (1)، وقد قال ♥: **«من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نارٍ يوم القيامة».**

---

(1) **قال الطبري $:** وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من سئل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».**

۞ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

س: آية من كتاب الله ٥ تمسك بها أبو هريرة ﭬ وذكر أنه لولاها ما حدَّث الناس بالذي حدثهم عن رسول الله ﷺ فما هي تلك الآية؟

ج: هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الأعرج عن أبي هريرة ﭬ قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون(1)

.

س: ما معنى اللعن؟ ومن اللاعنون؟

ج: أما اللعن فهو الطرد، ولعنه: أقصاه وأبعده، والمراد باللعن هنا: الطرد من رحمة الله ٥.

۞ أما اللاعنون(2) فهم الملائكة والناس أجمعون، وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

---

(1) أخرجه البخاري حديث (118)، ومسلم (حديث 2492)، وأحمد (2 / 274).

(2) واللاعنون هم الذين يطلبون من الله ٥ أن يلعن...

۞ وقد أخرج الطبري (2385) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] قال: يقول: اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين.

قلت: ويلتحق بهم الكفار أيضًا إذ يلعن بعضهم بعضًا كما قال تعالى في الآية الكريمة (المذكورة أعلاه)

[البقرة: ١٦١]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

۞ ومن العلماء من قال إن المراد باللاعنين هنا دواب الأرض وهوامها (كالعقارب والخنافس وغير ذلك) فقد أخرج الطبري(1) $ بأسانيده إلى مجاهد قال: (ويلعنهم اللاعنون) قال: دواب الأرض، العقارب والخنافس، يقولون: مُنعنا القطر بخطايا بني آدم.

۞ قال الطبري خ: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال:

---

(1) وأسانيد ذلك إلى مجاهد منها الصحيح ومنها دون ذلك، ومن الصحيح (0832) بالمتن الذي ذكرناه أعلى.

قال الطبري $: فإن قال لنا قائل: وما وجه الذين وجهوا تأويل قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، إلى أن اللاعنين هم الخنافس والعقارب ونحو ذلك من هوام الأرض، وقد علمت أنها إذا جمعت ما كان من نوع البهائم وغير بني آدم، فإنما تجمعه بغير «الياء والنون»، وغير «الواو والنون»، وإنما تجمعه بـ «التاء» وما خالف ما ذكرنا، فتقول: «اللاعنات» ونحو ذلك؟

قيل: الأمر وإن كان كذلك، فإن من شأن العرب إذا وصفت شيئًا من البهائم أو غيرها ـ مما حكم جمعه أن يكون بـ «التاء» وبغير صورة جمع ذكران بني آدم ـ بما هو من صفة الآدميين، أن يجمعوه جمع ذكورهم، كما قال تعالى ذكره: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ [فصلت: ٢١]، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بني آدم، إذ كلمتهم وكلموها، وكما قال: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل: ١٨]، وكما قال: ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤].

قلت: وقد استدل بعض أهل العلم بما ورد من طريق ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمرو عن البراء بن عازب قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال: «إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين» فتلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قول الله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] يعني: دواب الأرض، استدلوا بذلك على أن المراد بـ (اللاعنون) دواب الأرض وليث بن أبي سليم متكلم فيه، وأيضًا فأصل الحديث في المسند بدون هذه الزيادة، والله تعالى أعلم.

(اللاعنون) الملائكة والمؤمنون. لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، فكذلك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر: الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس، هي لعنة الله،ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالَّة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار، وهم «اللاعنون»، لأن الفريقين جميعًا أهل كفر.

وأما قول من قال: إن (اللاعنين) هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامها، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة. ولا خبر بذلك عن نبي الله ﷺ، فيجوز أن يقال إن ذلك كذلك.

وإذا كان ذلك كذلك، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف (قول) أهل التأويل، وهو ما وصفنا. فإن كان جائزًا أن تكون البهائم وسائر خلق الله، تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ ونعته ونبوته، بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظلمة - فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عنى بـ «اللاعنين» البهائم والهوامَّ ودبيب الأرض، إلا بخبر للعذر قاطع. ولا خبر بذلك، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه.

س: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠] تابوا من ماذا، وأصلحوا في ماذا، وبينوا ماذا؟

ج: تابوا من إثم الكتمان (كتمان الحق الذي أُمروا ببيانه) وأصلحوا أحوالهم ونياتهم فآمنوا بهذا النبي وأصلحوا أحوالهم فيما بينهم وبين ربهم ٥ وبينوا الحق الذي كتموه.

۞وقد أخرج الطبري (1) بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠] يقول: أصلحوا فيما بينهم وبين الله، وبينوا الذي جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم.

۞ وأخرج أيضًا بإسناد صحيح (2) إلى ابن زيد في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠] قال: بينوا ما في كتاب الله للمؤمنين وما سألوهم عنه من أمر النبي ﷺ وهذا كله في يهود.

س: ما معنى ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؟

ج: قال الطبري $ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠] يقول: وأنا الذي أرجع بقلوب عبيدي المنصرفة عني إليَّ، والرادُّها بعد إدبارها عن طاعتي إلى طلب محبتي، والرحيل بالمقبلين بعد إقبالهم إليَّ أتغمدهم مني بعفو، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم بفضل رحمتي لهم.

۞وقال بعض أهل العلم في قوله: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] أي: كثير التوبة على عبادي واسع الرحمة بهم أصفح عما فرط منهم من السيئات.

هل يجوز كتمان العلم أحيانًا

س: هل يجب على كل شخص تبليغ ما علمه من علمٍ لكل أحد؟

ج: لا يجب ذلك، وإنما يجب عليه أن يبلغهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم قدر استطاعته، ويتقي ما يكون سببًا لفتنتهم وصدهم عن طرق الخير.

۞وقد قال الله ع: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩] أي: حيث تنفع الذكرى.

۞وقال رسول الله ﷺ لعائشة ف: **«لولا أن قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لنقضت**

---

(1) أخرجه الطبري (2390).
(2)أخرجه الطبري (2391).

الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم» (1).

۞ وقال ♥: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» (2).

۞ وهذا أبو هريرة ﻓ الذي قال: لولا آية من كتاب الله ٥ ما حدثتكم، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (3) [البقرة: ١٥٩].

أبو هريرة نفسه يقول: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم» (4).

۞ وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﻓ أراد أن يخطب بمنى خطبة ينبه فيها على بعض الأمور الهامة فأشار عليه عبدالرحمن بن عوف بتأجيل ذلك حتى يرجع إلى المدينة لأن المجلس يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فقد

---

(1) أخرج البخاري حديث (1585)، ومسلم (1333) من حديث عائشة ﻓ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم ☻، فإن قريشًا استقصرت بناءه وجعلت له خلفًا»** وفي رواية: **«لولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا فبلغت به أساس إبراهيم»**.

(2) أخرجه البخاري (حديث (1044)، ومسلم (حديث (901) من حديث أم المؤمنين عائشة ﻓ عن النبي ﷺ.

(3) أخرج البخاري (١١٨) من حديث أبي هريرة ﻓ قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ...- إلى قوله - ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.

(4) قال القرطبي $: قال علماؤنا: وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل، إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن.

والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى، والله أعلم.

قلت: والحديث أخرجه البخاري (حديث ١٢٠).

أخرج البخاري[1] في «صحيحه» عن ابن عباس ﭬ قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إليَّ عبدالرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبدالرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت فيعي أهل العلم مقالتك ويضعوها على مواضعها، فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

۞ وقال علي ﭬ: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

۞ وروي عن ابن مسعود ﭬ أنه قال: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

وقال القرطبي $ بعد إيراده أثر علي: (حدثوا الناس بما يعرفون...): وهذا محمول على بعض العلوم كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام، فحكم العالم أن يحدث بما يفهم عنه وينزل كل إنسان منزلته، والله تعالى أعلم.

ثم قال $: وتحقيق الآية أن العالم إذا قصد كتمان العلم عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أنه مع غيره، وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذا الآية وللحديث، أما أنه لا يجوز تعليم الكافر القرآن والعلم حتى يسلم، وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدال والحجاج ليجادل به أهل الحق،

(1) أخرجه البخاري (حديث 6830) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

ولا يُعَلِّم الخصم على خصمه حجة يقطع بها ماله، ولا السلطان تأويلاً يتطرق به إلى مكاره الرعية ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقًا إلى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات ونحو ذلك.

قلت: وقد أخذ بعض العلماء على أنس بن مالك ڤ إبلاغه الحجاج بأشد ما عذب به رسول الله ﷺ أقوامًا (وهو حديث العرنيين) وذلك لأن الحجاج بن يوسف الثقفي استسهل كل ما يصنع أمام هذه الصورة من التعذيب، وأهمل أسباب وحيثيات التعذيب التي عذب بها رسول الله ﷺ العرنيين، والله أعلم.

س: اذكر بعض الآيات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩]؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

۞ ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٨٧]

|

س: الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب هل تقبل توبته؟

ج: نعم تقبل توبته لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

ولقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جندب ڤ أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً «**قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليَّ**

أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»(1).

س: التوبة لا يكفي فيها في بعض الأحيان قول القائل: أستغفر الله وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن التوبة إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العبد وربه يكفي فيها قول القائل: أستغفر الله أورب اغفر لي أو نحو ذلك مما يتعلق بطلب المغفرة من الله ۵.

أما إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العباد أنفسهم فيلزم فيها أداء الحقوق إلى أهلها، فمثلاً إذا سرق رجلٌ مالاً من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه.

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فتيا فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا، يدل على هذا وذاك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠] وقول النبي ﷺ عن المؤمنين إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار **«فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا»**(2).

وقال النبي ﷺ: **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**(3).

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله: (أستغفر الله) فالله ۵ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا

---

(1) أخرجه مسلم حديث (1621).

(2) أخرجه البخاري (حديث 2440) من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا**».

(3) أخرجه مسلم (حديث 2582) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا.

(419) أحمر
أسود

تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ﴾.

[النور: ٤، ٥]

وهكذا ألا ترى أن الشهيد يغفر له كل ذنبٍ إلا الدَّين؟!!! والله تعالى أعلم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ
عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ
١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا
هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢

الكلمة	معناها
﴿يُنظَرُونَ﴾	يمهلون (1) - يؤخرون.

(1) قال بعض أهل العلم: معناها: لا يمهلون حتى يعتذروا، وذلك كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: 35، 36]، وقال بعض أهل العلم: لا يمهلون ولا يؤجلون بل يلاقيهم العذاب عقب مفارقتهم الدنيا مباشرة. والله أعلم.

س: ما المراد بلعنة الله ٥ للذين كفروا، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين لهم؟

ج: المراد بلعنة الله للكافرين: إبعاد الله ٥ لهؤلاء الكافرين من رحمته وطردهم عنها، والمراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين للكفار: طلب الملائكة والناس أجمعين من الله ٥ أن يلعن هؤلاء الكفار، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] يدخل فيها الكفار، فهل يلعن الكافرُ الكافرَ؟

ج: ابتداءً ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالناس أجمعين في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] المؤمنون فقط، وممن قال بهذا القول قتادة خ فقد روى الطبري عنه بإسناد حسن(1) أنه قال: قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] يعني بـ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ المؤمنين.

قلت: وهذا المسلك الذي سلكه قتادة خ في تفسير الآية الكريمة مسلك ضعيف يخالفه ظاهر نص الآية الكريمة(2).

۞ وقريب من هذا المسلك مسلكٌ آخر ضعيف وهو مسلك من قال: إن قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] محمول على التغليب أي: أغلب الناس يلعن الكفار ووجه ضعف هذا المسلك أن أغلب الناس كفار كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] وكما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وكما قال سبحانه: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا

---

(1) أثر رقم (2392).

(2) وقد قال الطبري $ في تفسيره: وأما ما قاله قتادة من أنه عنى به بعض الناس فقول ظاهر التنزيل بخلافه، ولا برهان على حقيقته من خبرٍ ولا نظرٍ، فإن كان ظن أن المعني به المؤمنين، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة، ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة، وداخل في الظلمة كل كافرٍ بظلمه نفسه وجحوده نعمة ربه ومخالفته أمره.

﴿كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات، فإذا كان أكثرهم كفارًا فرجعنا إلى السؤال ثانيةً وهل الكافرُ يلعن الكافرَ؟

فالإجابة على ذلك أن الكافر يلعن الكافر، وذلك إما في الدنيا وإما في الآخرة، أما لعنة الكفار بعضهم بعضًا في الدنيا، فكون الكافر يدعو على الظالم مثلاً، فإذا قال الكافر: اللهم العن الكافر أو الظالم دخل هو نفسه في اللعنة ودخل فيها كل كافر، وكذلك إذا تلاعن كافر ومؤمن فاللعنة ترجع إلى الكافر، أما كون الكفار يلعن بعضهم بعضًا في الآخرة فذلك واضح جليٌّ من قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾

[الأحزاب: ٦٧، ٦٨]

وكذلك من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال تعالى في شأن الكافرين: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[العنكبوت: ٢٥]

إلى غير ذلك من الآيات في هذا الباب، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [البقرة: ١٦٢] خالدين في ماذا؟

ج: قيل: خالدين في اللعنة، وقيل: المراد أنهم خالدون في متبوعات اللعنة وهي نار جهنم، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الآيات الدالة على دوام العذاب على الكفار من غير تخفيف؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

1 ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا

نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

2 ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

3 ـ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

4- قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

5- قولـــه تعـــالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ﴾ [المائدة: ٣٧] إلى غير ذلك من الآيات.

هل يجوز لعن الكافر

س: هل يجوز لعن كل من الآتي ذكرهم أم لا يجوز:

الكفار جملة (أي: بصفة عامة).

ـ الكافر المعين (أي الكافر باسمه).

ـ العصاة جملة.

ـ العاصي المعين.

ج: أما الكفار جملة فيجوز لعنهم لما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].
- وقوله تعالى ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].
- وقوله تعالى عن قوم فرعون ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةً﴾ [هود: ٩٩] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال غير واحد من أهل العلم إنه لا خلاف في جواز لعن الكفرة جملة

(أي وجه الإجمال)(1).

۞ أما الكافر المعين ففي لعنه خلاف، فمن العلماء من منعه محتجًّا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] فقال هذا الفريق إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ بالله.

واحتج لهم أيضًا بأن النبي ﷺ لما لعن أقوامًا بأعيانهم نزل قوله تعالى ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

۞ وذهب فريق من العلماء إلى جواز لعن الكافر المعين، واحتج بعضهم بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة ڤ قالت: دخل على النبي ﷺ رجلان فكلّماه فأغضباه فلعنهما.

۞ **قال القاضي ابن العربي $ (أحكام القرآن ص50 / 1):**

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله كجواز قتاله وقتله.

قال: وقد رُوي أنه ﷺ قال: « **اللهم إن عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه، اللهم واهجه عدد ما هجاني**»(2) ، فلعنه وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله، وانتصف بقوله (عدد ما هجاني) ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف، وأضاف الهجو إلى الباري ▌ في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، ▌ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي ﷺ لما أُتي بشارب خمر ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب (لعنك الله ما

---

(1) واستدل له بعض أهل العلم ـ إضافة إلى ما ذكر من آيات ـ بما رواه مالك عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول (ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان).

(2) أشار الحافظ ابن كثير خ إلى ضعف هذا الحديث بقوله: وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف.

أكثر ما يؤتى بك) فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله»(1) ، قالوا فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن والله تعالى أعلم.

۞ أما العصاة جملة فيجوز لعنهم لقوله ♥:

«لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»(2)

.

وقوله ﷻ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»(3) إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب.

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي $ (أحكام القرآن): وأما لعن العاصي مطلقًا فيجوز إجماعًا...

۞ أما العاصي المعين، فقد قال ابن العربي $: فأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقًا لما روي أن النبي ﷺ جيء إليه بشارب خمر مرارًا فقال بعض من حضره: ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم»(4) ، فجعل له حرمة الأخوة، وهذا يوجب

---

(1) أخرج البخاري (حديث 6780) من حديث عمر بن الخطاب ڤ أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله وكان يُلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب(*) فأُتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه، وما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت(**) أنه يحب الله ورسوله».

(2) أخرجه البخاري (حديث 6783)، ومسلم (حديث 1687) من حديث أبي هريرة ڤ مرفوعًا.

(3)أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة ڤ (حديث 5962) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله. وأخرج مسلم (حديث 1598) من حديث جابر بن عبدالله ڤ قال لعن رسول الله ﷺ آكل الرباوموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء.

(4) أخرج البخاري (حديث 6781) من حديث أبي هريرة\ ڤ قال: أُتي النبيُّ ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله تعالى فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».

(*) يعني: شراب الخمر.

(**) ما علمت معناها لقد علمت، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله، وثمَّ أقوال أخر تدور حول هذا المعنى، والله تعالى أعلم.

الشفقة، وهذا حديث صحيح.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث **«لعن المؤمن كقتله»**(1).

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث: **«أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح»**(2).

ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين، وذلك لقول النبي ﷺ: **«لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا»**(3).

ولحديث: **«إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»**(4).

ولحديث: **«لعن المؤمن كقتله»**والله أعلم.

---

(1) أخرج البخاري (6047)، ومسلم (حديث 110 ص104) من حديث ثابت بن الضحاك ـ وكان من أصحاب الشجرة ـ ﬗ أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف على ملةٍ غير الإسلام كاذبًا فهوكما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذِّب به يوم القيامة ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله**».

(2) أخرج البخاري (حديث 5194)، ومسلم (حديث 1436) من حديث أبي هريرة ﬗ عن النبي ﷺ قال: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

۞ وفي رواية في الصحيحين كذلك: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

(3) أخرجه مسلم (حديث 2597) من حديث أبي هريرة ﬗ مرفوعًا.

(4) أخرجه مسلم (2598) من حديث أبي الدرداء ﬗ مرفوعًا.

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ
١٦٣

س: اذكر عشرًا من الآيات الدالة على تفرد الله ۵ بالألوهية؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

1 - قول الله ۵: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

2 - قول الله ۵: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

3- قول الله ۵: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

4 - قول الله ۵: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

5 - قول الله ۵: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥].

6 - قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

7 - قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]

8 - قوله ع: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

9 - قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

10 - قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

س: ما مدى صحة حديث: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿الم ① اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]؟

ج: في إسناده ضعف ففيه شهر بن حوشب متكلم فيه.

س: اذكر بعض أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]؟

ج: هذه أقوال طائفةٍ من أهل العلم في هذا الباب.

۞ قال الطبري $:

قد بنيا فيما مضى معنى «الألوهية»، وأنها اعتباد الخلق.

فمعنى قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]: والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، معبود واحد ورب واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير.

واختلف في معنى وحدانيته تعالى ذكره.

فقال بعضهم: معنى وحدانية الله، معنى نفي الأشباه والأمثال عنه، كما يقال: «فلان واحد الناس ـ وهو واحد قومه»، يعني بذلك أنه ليس له في الناس مثل، ولا له في قومه شبيه ولا نظير. فكذلك معنى قول «الله واحد»، يعني به: الله لا مثل له ولا نظير.

فزعموا أن الذي دلَّهم على صحة تأويلهم ذلك، أن قول القائل: «واحد» يفهم لمعان أربعة.

أحدها: أن تكون «واحدًا» من جنس، كالإنسان «الواحد» من الإنس.

والآخر: أن يكون غير متفرق، كالجزء الذي لا ينقسم.

والثالث: أن يكون معنيًّا به الاتفاق، كقول القائل: «هذان الشيئان واحد»، يراد بذلك: أنهما متشابهان، حتى صارا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد.

والرابع: أن يكون مرادًا به نفي النظير عنه والشبيه.

قالوا: فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني «الواحد» منتفيةً عنه، صح المعنى الذي وصفناه.

وقال آخرون: معنى «وحدانيته» تعالى ذكره، معنى انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه. قالوا: وإنما كان منفردًا وحده، لأنه غير داخل في شيء

ولا داخلٌ فيه شيء. قالوا: ولا صحة لقول القائل: «واحد»، من جميع الأشياء إلا ذلك. وأنكر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون.

وأما قولـه: «لا إله إلا هو»، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه، وأن كل ما سواه فهم خلقه، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجر الأوثان والأصنام؛ لأن جميع ذلك خلقه، وعلى جميعهم الدينونة له بالواحدانية والألوهة، ولا تنبغي الألوهة إلا له، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك، وما يصيرون إليه من نعمة في الآخرة فمنه، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في آجل، ولا في دنيا ولا في آخرة.

وهذا تنبيه من الله ـ تعالى ذكره ـ أهل الشرك به على ضلالهم، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم ثم عرفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبههم عليه من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم، فقال تعالى ذكره: أيها المشركون، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أن إلهكم إله واحد، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججي وفكروا فيها، فإن من حُججي خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثثت فيها من كل دابة، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض. فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض، يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذرٌ، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري.

فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين

في توحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوجز كلام، وأبلغ حجة، وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه.

۞ **وقال الحافظ ابن كثير $:** يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية أنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم.

۞ **وقال القرطبي $:** قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] نفيٌ وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله.

۞ **وقال صديق حسن خان (فتح البيان 1 / 326):** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] أي: لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية، والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته، وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] تقرير للواحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقد تقدم تفسيرها، وفيه الإرشاد إلى التوحيد وقطع العلائق، والإشارة إلى أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه وهو أمر التوحيد.

۞ **وقال الماوردي $:** قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] أراد بذلك أمرين:

أحدهما: أن إله جميع الخلق واحد لا كما ذهبت إليه عبدة الأوثان من العرب وغيرهم أن لكل قومٍ إلهًا غير إله من سواهم.

والثاني: أن الإله، وإن كان إلهًا لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] ثم وصف فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ترغيبًا في عبادته وحثًّا على طاعته.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل: (لا إله إلا الله)؟

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

۞ قول النبي ﷺ: **«من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم لـه بها دخل الجنة»**(1).

۞ قول النبي عليه الصلاة والسلام: **«فإن الله قد حرم على النـار من قـال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**(2).

۞ قول النبي ﷺ: **«ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مـات على ذلك إلا دخل الجنة»**(3).

۞ حديث البطاقة، وقد أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﭬ قال: قال رسـول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لـك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قـال: فتوضع السجلات في كفةٍ والبطاقة في كفةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيءٌ»**(4).

قول النبي ﷺ: **«وله بكل تهليله صدقة»**(5).

---

(1) أخرجه أحمد (5 / 391) من حديث حذيفة بن اليمان ﭬ مرفوعًا.

(2) أخرجه البخاري (حديث 425)، ومسلم (حديث 33) من حديث عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا.

(3) أخرجه البخاري (حديث 5827)، ومسلم (مع النووي 2 / 94) من حديث أبي ذر ﭬ مرفوعًا.

(4) أخرجه الترمذي (حديث 2639) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (2 / 213، 221، 222)، وابن ماجه (حديث 2300) من حديث عبدالله بن عمرو ﭬ مرفوعًا.

(5) أخرجه مسلم (حديث 720) من حديث أبي ذر ﭬ مرفوعًا.

۞ وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﭬ أن النبي ﷺ ـ ومعاذ رديفه على الرحل ـ قال:«**يا معاذ بن جبل**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا) قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار..**» (1) الحديث.

۞ وفي«الصحيحين» من حديث أنس ﭬ أن النبي ﷺ قال: «**فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله**»(2).

(1)أخرجه البخاري (حديث 128)، ومسلم (حديث 32).
(2)أخرجه البخاري (حديث 7510)، ومسلم ص (184).

إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ
ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا
بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ
وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤

الكلمة	معناها
﴿خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	إنشائها وابتداعها وخلقها على الوضع الذي هي عليه.
﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	تعاقب الليل والنهار.
﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾	السفن.
﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾	فرّق فيها ـ نشر فيها.
﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾	تنويع الرياح: فمرة تأتي عقيمًا، ومرة تأتي لواقح، ومرة تأتي مبشرات.
﴿ٱلۡمُسَخَّرِ﴾	المُذلَّل.
﴿لَأٓيَٰتٖ﴾	علامات ودلالات.

س: هل من وجهٍ للربط بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٤] **وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾** [البقرة: ١٦٣]؟

ج: يرى بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **[البقرة: ١٦٤]** برهان ودليل لقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ **[البقرة: ١٦٣]**، والله أعلم.

س: لماذا جمعت السموات وأفردت الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] ؟

ج: قال صديق حسن خان «فتح البيان»: وإنما جمع السموات؛ لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ووحد الأرض؛ لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب، والله تعالى أعلم.

س: ما الآية والدليل في خلق السموات على وحدانية الله ۵ ورحمته؟

ج: يوضح هذه الآية وهذا الدليل قول الله ع: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ **[ق: ٦]**.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ **[الملك: ٣ - ٥]**.

فالآية في خلق السموات في ابتداعها وإيجادها على هذا النحو التي هي عليه من ارتفاع واتساع وزينةٍ وبهاء، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

۞ **قال القرطبي $:** فآية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها، ودل ذلك على القدرة وخرق العادة، ولو جاء نبي فتحدى بوقوف جبل في الهوآء دون علاقة كان معجزًا ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوه آية ثانية.

۞ **وقال الحافظ ابن كثير $:** في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها.

۞ **وقال الماوردي في التفسير:** فآية السماء ارتفاعها بغير عمدٍ من تحتها ولا علائق من فوقها، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة.

۞ **وقال ابن سعدي في تفسيره:** ففي ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٦٤] في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها، وماجعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد.

س: ما الآية في خلق الأرض على وحدانية الله ▌ ورحمته؟

ج: هي فيما ذكره الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٧، ٨] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقد قال أهل العلم في ذلك أقوالاً أيضًا نورد منها ما يلي:

۞ **قال القرطبي $:** وآية الأرض بحارها وأنهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعرها.

۞ **وقال ابن كثير $:** وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع.

۞ **وقال صديق حسن خان $ (فتح البيان):** والآية في الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات.

۞ **وقال ابن سعدي $:** وفي خلق (الأرض) مهادًا للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم، وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده.

۞ **وقال الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه):** والآية في الأرض عظيمة فيما يرى من سهلها وجبلها وبحارها،و ما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشئ مثلها.

س: ما الآية في اختلاف الليل والنهار على وحدانية الله ▌ ورحمته؟

ج: ذلك واضح في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **[القصص: ٧١ - ٧٣]**.

۞ **وقوله تعالى:** ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ **[يس: ٣٧]**.

۞ **وقوله تعالى:** ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ **[يس: ٤٠]**.

۞ وهذا مزيد من أقوال أهل العلم في هذا الباب.

۞ **قال الحافظ ابن كثير $:** واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ **[يس: ٤٠]**. وتارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة تأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ **[فاطر: ١٣]** أي: يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا.

وقال صديق حسن خان (في فتح البيان): ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ **[البقرة: ١٦٤]** تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر، وإضاءة أحدهما وإظلام الآخر، وقيل: في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب: وعندي فيه وجه ثالث هو أنهما كما يختلفان في الأزمنة فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول: إن

الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي آخر عصر، وفي آخر مغرب. وفي آخر عشاء. وهلم جرًّا. هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب. قاله الكرخي.

وقال ابن سعدي خ في تفسيره:

وفي اختلافهما في ا لحر والبرد والتوسط في الطول والقصر والتوسط وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات، كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول ما يدل على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه مما يجب أن يؤله ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه.

وقال الماوردي $: وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر فيقبل الليل من حيث لا يعلم ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم فهذا اختلافهما.

وقال الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير): وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم، واختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر.

|

س: ما المراد باختلاف الليل والنهار؟

ج: المراد والعلم عند الله تعالى: اختلافهما في الطول والقصر فهذا يطول أحيانًا ويقصر هذا وهذا يقصر أحيانًا ويطول هذا، واختلافهما أيضًا تعاقبهما.

قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة:١٦٤]، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس.

وإنما (الاختلاف) في هذا الموضع (الافتعال)، من (خلوف) كل واحد منهما الآخر، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان: ٦٢].

بمعنى: أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه. ومن ذلك قيل: (خلف فلان فلانًا في أهله بسوء)، ومنه قول زهير:

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً ... وأطلاؤها يَنهَضْن من كلِّ مَجْثَم

وأما (الليل). فإنه جمع (ليلة)، نظير (التمر) الذي هو جمع (تمرة). وقد يجمع (ليال)، فيزيدون في جمعها ما لم يكن في واحدتها. وزيادتهم (الياء) في ذلك نظير زيادتهم إياها في (رباعية وثمانية وكراهية).

وأما (النهار) ، فإن العرب لا تكاد تجمعه، لأنه بمنزلة الضوء وقد سمع في جمعه «النهر»، قال الشاعر:

لولا الثَّرِيدانِ هَكَلْنا بالضُّمُرْ ... ثَرِيدُ ليلٍ وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

ولو قيل في جمع قليله (أنهِرَة) كان قياسًا.

س: ما الدلالة من الفلك التي تجري في البحر على وحدانية الله ٥ ورحمته بالعباد؟

ج: وجه الاستدلال أن الله ▌ سخر البحر لحمل هذه السفن العظام مع أن المسمار الصغير لا يحمله البحر بل يسقط فيه، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

۞ **قال الحافظ ابن كثير خ:** ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾

[البقرة: ١٦٤] أي:في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الأقليم، ونقل هذا إلى هؤلاء.

۞ وقال القرطبي خ: ووجه الآية في الفلك تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها، وأول من عملها نوح غ كما أخبر تعالى.

۞ وقال الماوردي $: والآية فيها من وجهين:

أحدهما: استقلالها بحملها.

الثاني: بلوغها إلى مقصدها.

۞ وقال صديق حسن خان في فتح البيان: والآية في ذلك أن الله لو لم يقوِ قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في منافعهم، وأيضًا فإن الله خصَّ كل قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببًا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه.

۞ وقال ابن سعدي $ في تفسيره: وفي ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية، ما أقدرهم عليها.

ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معايشهم.

فمن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآيات ما به يعلمونها؟

أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة\ على حملها، وحمل ما فيها من الأموال؟

فهل هذه الأمور، حصلت اتفاقًا، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف

(440) أحمر
أسود

العاجز، الذي خرج من بطن أمه، لا علم له ولا قدرة؟ ثم خلق لـه ربـه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه؟

أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟

بل الأشياء قد دانت بربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته.

وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءًا من أجزاء الأسباب، التي بها وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك ويجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم.

۞ وقال شيبة الحمد في تفسيره: ووجه الاستدلال على وحدانية الله ٥ بجريان الفلك في البحر بما ينفع الناس أنك لو ألقيت مسمارًا في البحر غاص إلى أعماقه وقد علَّم الله ٥ نوحًا ﻍ أن يصنع الفلك ليركب فيه هو والمؤمنون وأن يحمل معه من كلٍّ زوجين اثنين فصار نوح ﻍ يهيئ المسامير العظام والأخشاب وبدأ يصنع السفينة ولم يكن أحد قد عرفها(1) قبل ذلك فسخر منه المشركون، ولما أرسل الله الطوفان نجى نوحًا والذين آمنوا معه، وكانت تجري بهم في موج كالجبال وهي مصنوعة من الخشب والمسامير على حد قوله ع: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣، ١٤] الدُّسر جمع دسار وهو المسمار، فصارت السفن الشبيهة بالجبال تمشي على متن الماء ويرسل الله ٥ الرياح فتدفعها فوق الماء وتسوقها كما قال ٥: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢] أي: ومن دلائل ألوهيته وربوبيته وقدرته هذه السفن التي تجري في البحر كأنها جبال، وكما قال ٥: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، ومن المعلوم أن الله ٥ خص كل قطر من أقطار الدنيا المتباعدة بمزايا وأشياء معينة لا توجد في القطر الآخر وكان الناس في كل بلد قد

(1) أخرجه البخاري (حديث 7510)، ومسلم ص (184).

يحتاجون إلى ما في البلد الآخر، وقد يفصل بينهم وبين الجهات التي يحتاجون إلى حاصلاتها البحار الشاسعة والمحيطات العظيمة كالمحيط الهادي والمحيط الأطلسي والبحر الأحمر والمحيط الهندي وغيرها، وكان لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بهذه السفن التي أرشدهم الله ٥ إليها، مع ما في البحار من المنافع العظيمة، كما قال ٥: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢] وكما قال ٥: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢].

|

س: وضح الدليل من إنزال المطر على وحدانية الله ٥ ورحمته بالعباد؟

ج: وجه ذلك يتضح من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ - ١١].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥، ٦].

۞ وكما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا (1) وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥].

۞ وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

۞ وكما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

---

(1) وإحياؤها يكون بالمطر بإذن الله ٥ كما يكون بإذن الله بالعيون.

قال ابن سعدي $: ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النباتات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها، أليس ذلك دليلاً على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج ولطفه بعباده وقيامه بمصالحهم وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟ أليس ذلك دليلاً على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟!!.

س: ما وجه الدلالة من بث الدواب على رحمة الله ۵ بالعباد ووحدانيته ؟

ج: بث الدواب أي: نشرها وتفريقها في أنحاء الأرض، ووجه الدلالة من بثها على رحمة الله ۵ ووحدانيته أنه سبحانه سخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع، فمنها دواب سخرت لحمله، ومنها دواب سخرت لمطعمه ومشربه يأكل منها اللحم ويشرب منها اللبن، ومنها دواب يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، ومنها دواب وجه الانتفاع منها هو الاعتبار والاتعاظ فالحية مثلاً تخيفه رؤيتها فيتذكر مانع الزكاة مثلاً ما سيلقاه يوم القيامة من الشجاع الأقرع فيبادر بإخراج الزكاة، وتذكره فيتعوذ بالله من شرها.

ومنها دواب سخرت لحراسته ومصلحته إلى غير ذلك، فكل ذلك رحمة من الله بعباده وكون الله ۵ رازق هذه الدواب ومتكفلٌ بها وعالم بأمرها وحده سبحانه دليل على وحدانيته والله تعالى أعلم.

س: ما هو المراد بتصريف الرياح؟

ج: المراد: تنويعها فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات إلى غير ذلك.

قال الطبري $: و (تصريف) الله إياها أن يرسلها مرة لواقح، ومرة يجعلها عقيمًا ويبعثها عذابًا تدمر كل شيء بأمر ربها. ثم أورد أثرًا حسن الإسناد عن

(443) أحمر
أسود

قتادة (1) قوله: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] قال: قادرٌ والله ربنا على ذلك إذا شاء جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشرًا بين يدي رحمته، وإذا شاء جعلها عذابًا ريحًا عقيمًا لا تُلقح إنما هي عذاب على من أرسلت عليه.

ثم قال الطبري $: وزعم بعض أهل العربية أن معنى قوله: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أنها تأتي مرة جنوبًا وشمالاً وقبولاً ودبورًا ثم قال: وذلك تصريفها، وهذه الصفة التي وصف الرياح بها صفة تصرفها لا صفة تصريفها لأن (تصريفها) تصريف الله لها، و (تصرفها) اختلاف هبوبها.

وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] تصريف الله تعالى ذكره هبوب الريح باختلاف مهابها، والله أعلم.

|

س: ما وجه الدلالة من تصريف الرياح على وحدانية الله سبحانه؟

ج: وجه ذلك أن الذي يقدر على تصريف الرياح هو الله ▌ وحده لا يستطيع ذلك أحدٌ سواه، فكما قال الحافظ ابن كثير خ: أي: فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه، وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة، وتارة دبورًا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة.

ونحو ذلك قال ابن سعدي خ فقال: وفي ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] باردة وحارة جنوبًا وشمالاً وشرقًا ودبورًا وبين ذلك، وتارة تثير السحاب وتارة تؤلف بينه وتارة تلقحه وتارة تدره وتارة تمزقه وتزيل ضرره وتارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنباتات إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده

---

(1) أثر رقم (2405).

المستحق لكل ذلٍّ وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة؟

وقال الماوردي في تفسيره: والآية فيها من وجهين:

أحدهما: اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها، والصبا دبورًا فلا يعلم لانتقالها سبب، ولا لانصرافها جهة.

والثاني: ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع، وانتقام يؤذي. والله تعالى أعلم.

س: ما معنى تسخير السحاب بين السماء والأرض وكيف يكون ذلك؟

ج: تسخير السحاب تذليله وتوجيهه إلى حيث يشاء الله ﷻ ويتم ذلك بأمر الله عز و جل كما قال سبحانه في كيفية ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

وكما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧] والله أعلم.

س: ما الدلالة من تسخير السحاب بين السماء والأرض على وحدانية الله؟

ج: قال الماوردي ﵀ (النكت والعيون 1 / 218): والآية فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه.

والثاني: ثبوته بين السماء والأرض من غير عمدٍ ولا علائق.

والثالث: تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله ﷻ.

۞ **وقال ابن سعدي ﵀:** وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث شاء فيحيي به البلاد

والعباد ويروي التلول والوهاد وينزله على الخلق وفق حاجتهم إليه فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم فينزله رحمة ولطفًا ويصرفه عناية وعطفًا فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه وألطف امتنانه!!! أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه، أليس ذلك دليلاً على حلمه وصبره وعفوه وصفحه وعظيم لطفه؟ فله الحمد أولاً وآخرًا وباطنًا وظاهرًا.

۞ **قال شيبة الحمد في تفسيره:** ولما كان طبع الماء ثقيلاً يقتضي النزول كان بقاؤه في الجو من الآيات البينات.

وقال صديق حسن خان (فتح البيان): والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقًا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده، وفيه آيات أُخر.

س: ما معنى (الدابة) في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة:١٦٤]؟

ج: قال الطبري خ: والدابة (الفاعلة) من قول القائل: (دبت الدابة تدب دبيبًا فهي دابة).

و (الدابة) اسم لكل ذي روح كان غير طائر بجناحيه لدبيبه على الأرض.

وقال القرطبي خ: ودابة تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير وهو مردود، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ **[هود: ٦]** فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته.

قال الأعشى:

دبِيبُ قَطا البَطْحاء في كلِّ مَنْهَلِ

وقال علقمة بن عَبدة:

صواعِقُها لطيرهن دَبِيبُ

قلت (مصطفى): وحجة من أخرج الطير من الدواب قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨] أما الإجابة على قول من قال: إن الطير تدب على الأرض في بعض الأحيان فدفعه (على رأي من أخرج الطير) بأن الحكم للغالب وأغلب أحوال الطير أن يكون في الهواء لكن التحرير يقتضي أن الدابة في الأصل ما يدب على الأرض لكن لا يمتنع أحيانًا أن يدخل فيها غيرها كمن يدب أحيانًا على الأرض، وذلك كسائر الاصطلاحات في الكتاب العزيز أحيانًا تأتي عامة وأحيانًا تأتي ويراد بها الخصوص والذي يظهر لي في هذا الموطن أن الدابة يدخل فيها الطير، والله تعالى أعلم.

س: كيف يُحتج على أهل الكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [البقرة: ١٦٤] وهناك منهم من لا يرى أن السموات والأرض مخلوقتان؟

ج: ابتداء قد لا يقول قائل بأن هذا احتجاج على الكفار إنما هو كما ذكره الله ﷻ آيات لقوم يعقلون.

أما وجه الاحتجاج بالآية الكريمة على المشركين (عند من يرى أن الآية تحمل احتجاجًا على المشركين) فهو على المشركين الذين يقرون بأن الله خالق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان: ٢٥] وكما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩] فناسب أن يحتج عليهم بما أقروا به.

ويحتج أيضًا على الملاحدة القائلين بأن السموات والأرض ليستا مخلوقتين بأن وجودهما على هذا الوضع الذي هي عليه تشير بأن لها خالقًا وتدل على ذلك غاية الدلالة، ولكن الملاحدة كابروا في ذلك أما العقلاء من الناس فأقروا لما رأوا ما عليه السموات والأرض من حسن وبهاء وكمال وجمال وإتقان أن لها مدبرًا خالقًا.

وقد طرح الطبري ؒ نفس السؤال وأجاب عليه فقال: فإن قال قائل: وكيف احتج على أهل الكفر بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾

[البقرة: ١٦٤] الآية، في توحيد الله؟ وقد علمت أن أصنافًا من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقةً؟

قيل: إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى في هذه الآية، دليلاً على خالقه وصانعه، وأن له مدبرًا لا يشبهه [شيء]، وبارئًا لا مثل له.

وذلك وإن كان كذلك، فإن الله حاج بذلك قومًا كانوا مقرين بأن الله خالقهم، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان. فحاجهم تعالى ذكره فقال ـ إذ أنكروا قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وزعموا أن له شركاء من الآلهة ـ: [إن إلهكم الذي خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين في سيرهما. وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار في الشمس والقمر]، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وأنزل إليكم الغيث من السماء، فأخصب به جنابكم بعد جدوبة، وأمرعه بعد دثوره، فنَعَشكم به بعد قنوطكم، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] وسخر لكم الأنعام فيها لكم مطاعم ومآكل، ومنها جمالٌ ومراكب، ومنها أثاث وملابس، وذلك هو معنى قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤] وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم، وسير لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم ـ وذلك هو معنى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فأخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، وتفرد لهم بها. ثم قال: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، فتشركوه في عبادتكم إياي، وتجعلوه لي ندًّا وعدلاً؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، ففي الذي عددت عليكم من نعمتي، وتفردت لك بأيادي، دلالاتٌ لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل، والجور والإنصاف. وذلك أني لكم بالإحسان

إليكم متفرد دون غيري، وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادًا. فهذا هو معنى الآية.

والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها، هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة والدهرية، وإن كان في أصغر ما عد الله في هذه الآية، من الحجج البالغة، والمَقْنَعُ لجميع الأنام، تركنا البيان عنه، كراهة إطالة الكتاب بذكره.

س: الآيات الدالة على أن السحاب مسخرٌ آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الروم: ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات، فاذكر حديثًا يبين أن السحاب مسخر أيضًا؟

ج: هذا الحديث هو ما ورد في الصحيح(1) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«بينا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءً في حرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبدالله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه».**

س: من متى يبدأ الليل ومتى ينتهي ومن متى يبدأ النهار ومتي ينتهي؟

ج: يبدأ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

ويبدأ النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

---

(1) أخرجه مسلم حديث (2984).

قال القرطبي خ: والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كما رواه ابن فارس في المجمل، يدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم عن عدي بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال له عدي: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالاً أبيض وعقالاً أسود أعرف بهما الليل من النهار، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار**»، فهذا الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو مقتضى الفقه في الأيمان وبه ترتبط الأحكام.

س: لماذا قدم الليل على النهار في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]؟

ج: يرى بعض أهل العلم أن الليل قدم على النهار لأن الظلمة أقدم، قاله صديق حسن خان (فتح البيان)، واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] وقال أيضًا: وهذا أصح القولين.

قلت: ويستشهد له أيضًا بقول النبي ﷺ: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل**»(1) ، والله أعلم.

س: هل الليلة تابعة لليوم الذي قبلها أو اليوم الذي بعدها؟

ج: يرى كثير من العلماء أن الليلة تابعة لليوم الذي بعدها، واستثنوا من ذلك يوم عرفة فإن ليلته هي التي تأتي بعده (أي: هي التي يبيت فيها الناس

(1) صحيح، أخرجه الترمذي (حديث 2642)، وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه أيضًا أحمد (2 / 176، 197)، وابن حبان (موارد الظمآن حديث 1812، 1813)، والحاكم (1 / 30) المستدرك) من طرق عن ابن الديلمي (وهو عبدالله بن فيروز) عن عبدالله بن عمرو ﭬ مرفوعًا. وانظر أيضًا الشريعة للآجري ص175 .

بمزدلفة)، واستدلوا لهذا الاستثناء بحديث عروة بن مضرس(1) إذ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أتعبت نفسي وأكلت راحتي وما تركت جبلاً إلا وقفت عليه... فقال له النبي ﷺ: **«من صلى معنا الفجر بمزدلفة وكان قبل ذلك قد وقف ساعة من ليلٍ أو نهارٍ بعرفات فقد أتم حجه وقضى تفثه»**. والله تعالى أعلم.

|

س: ما المراد بالذي ينفع الناس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ ما يحصله الناس من وراء تلك الأسفار من تجارات ودفع مجاعات وسد جوعات وكسوة عاريات وحجج وعمرات وغزوٍ وفتوحات إلى غير ذلك من وسائل الانتفاع التي ينتفع بها الناس في دنياهم، والله تعالى أعلم.

|

س: لماذا قيل للسحاب سحاب؟

ج: قال الطبري $: وإنما قيل للسحاب سحاب إن شاء الله لجر بعضه بعضًا وسحبه إياه، من قول القائل: (مرَّ فلان يجر ذيله) يعني: (يسحبه).

وقال القرطبي $: سمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء، وسحبت ذيلي سحبًا، وتسحب فلان على فلان: اجترأ، والسحب شدة الأكل والشرب والله تعالى أعلم.

|

---

(1) صحيح أخرجه أبو داود (حديث رقم 1950)، والترمذي (حديث 891)، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي (5 / 263)، وابن ماجه حديث (3016)، وأحمد (4 / 15) وغيرهم.

(451) أحمر
أسود

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ
مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً
فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ
١٦٧

الكلمة	معناها
﴿أَندَادًا﴾	أمثالًا ـ نظراء ـ عدلاء.
﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾	إذ يعاينون العذاب.
﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾	الأسباب هي: الوسائل التي يتوصل بها إلى النجاة.(1)
﴿كَرَّةً﴾	رجعة إلى الدنيا.(2)
﴿حَسَرَٰتٍ﴾	الحسرة: التلهف على ما فات، وقيل: الحسرة هي: أشد الندامة.

(1) وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في سؤال مستقل إن شاء الله تعالى.

(2) أخرج الطبري $ (٢٤٣٢) بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، أي: لنا رجعة إلى الدنيا.

س: تقدم أن النِّد معناه المثل والنظير والعدل فما المراد بالأنداد هنا؟

ج: المراد بالأنداد هنا الأوثان، وقد أخرج الطبري خ بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] من الكفار لأوثانهم(1).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالأنداد هنا السادة المطاعون من دون الله ٥ الذين اتخذهم المشركون أولياء من دون الله ومشرعين من دون الله يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، ويتقوى هذا الوجه بقوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

[البقرة: ١٦٦]

والذي يظهر لي القول بالعموم أولى فيدخل فيه الأوثان ويدخل فيه السادة الذين أطاعهم قومهم من دون الله في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم، والله أعلم.

س: ما عقوبة من جعل لله ٥ ندًّا؟

ج: عقوبته النار ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ كلمة وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: **«من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»**، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة(2).

قلت: وذلك لأن من جعل لله ندًّا قد ارتكب أعظم ذنبٍ> وقد تقدم في جواب النبي ﷺ لابن مسعود لما سأله: أي الذنب أعظم؟، قال: **«أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك...»** الحديث.

س: لماذا تزيد محبة المؤمنين لله ٥ على محبة المشركين لآلهتهم؟

---

(1) الطبري أثر (2406).
(2) أخرجه البخاري - واللفظ له - (حديث 4497)، ومسلم (حديث 92).

ج: ذلك لأن المؤمنين يوحدون الله ٥، أما المشركون فآلهتهم شتى فمن ثم تتوزع محبتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا وقد أورد الرازي خ: سؤالاً مشابهًا فقال: فإن قيل: كيف يمكن أن يقال: محبة المؤمنين لله تعالى أشد، مع أنا نرى الهنود يأتون بطاعات شاقة لا يأتي بشيء منها أحد من المسلمين ولا يأتون بها إلا لله تعالى ثم يقتلون أنفسهم حبًّا لله؟!

(الجواب): من وجوه:

(أحدها): أن الذين آمنوا لا يتضرعون إلا إلى الله بخلاف المشركين فإنهم يعدلون إلى الله عند الحاجة، وعند زوال الحاجة يرجعون إلى الأنداد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] إلى آخره، والمؤمن لا يعرض عن الله في الضراء والسراء والشدة والرخاء، والكافر قد يعرض عن ربه، فكان حب المؤمن أقوى.

(وثانيها): أن من أحب غيره رضي بقضائه، فلا يتصرف في ملكه، فأولئك الجهال قتلوا أنفسهم بغير إذنه، أما المؤمنون فقد يقتلون أنفسهم بإذنه، وذلك في الجهاد.

(وثالثها): أن الإنسان إذا ابتلي بالعذاب الشديد لا يمكنه الاشتغال بمعرفة الرب، فالذي فعلوه باطل.

(ورابعها): قال ابن عباس: إن المشركين كانوا يعبدون صنمًا، فإذا رأوا شيئًا أحسن منه تركوا ذلك وأقبلوا على عبادة الأحسن.

(وخامسها): أن المؤمنين يوحدون ربهم، والكفار يعبدون مع الصنم أصنامًا فتنقص محبة الواحد، أما الإله الواحد فتنضم محبة الجميع إليه.

س: قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] قولٌ مجمل نريد إيضاحه؟

ج: لأهل العلم في إيضاحه وجهان:

أحدهما: أن المشركين يحبون آلهتهم كحبهم لله ٥، فعلى هذا القول يثبت للمشركين شيء من المحبة لله ٥.

الثاني: أن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله ٥.

۞ **قال الطبري $:** ... وأن الذين اتخذوا هذه «الأنداد» من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبًّا لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم.

ثم قال الطبري $ فإن قال قائل: وكيف قيل: «كحب الله»؟ وهل يحب الله الأنداد؟ وهل كان متخذو الأنداد يحبون الله؟، فيقال: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه، وإنما ذلك نظير قول القائل: (بعت غلامي كبيع غلامك)، بمعنى: بعته كما بيع غلامك، وكبيعك غلامك، (واستوفيت حقي منه استيفاء حقك)، بمعنى استيفاءك حقك، فتحذف من الثاني كناية اسم المخاطب، اكتفاء بكنايته في (الغلام) و (الحق)، كما قال الشاعر:

فلست مُسَلِّمًا ما دمت حيًّا ... على زيدٍ بتسليم الأمير

يعني بذلك: كما يسلم على الأمير.

فمعنى الكلام إذًا: ومن الناس من يتخذ، أيها المؤمنون، من دون الله أندادًا يحبونهم كحبكم الله.

س: قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] أشد حُبًّا لله مِنْ مَنْ؟

ج: لأهل العلم أيضًا قولان في هذا الباب:

أحدهما: أشد حبًّا لله من حب المشركين لله، فعلى هذا القول يكون المشركون يحبون الله ويحبون آلهتهم كحبهم لله كما قال تعالى مبينًا حالهم وقولهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

الثاني: أشد حبًّا لله من حب المشركين لآلهتهم، وكلا القولين له وجه،

ونورد هنا ما ذكره ابن القيم $ في «التفسير القيم» لما فيه من الفائدة.

قال خ: ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم، وآلهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله.

والثاني: والذين آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسطٍ منها. والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشركة.

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] فإن فيها قولان:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة لله، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم، كما يحب المؤمنون الله، أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية $ يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله، كمحبة المؤمنين له. وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم، وهي محضرة معهم في العذاب ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم.

هذا حال قلب المؤمن: توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه، لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة. ولما كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته، ونسيانه سببًا لزوال محبته أو ضعفها. وكان الله سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم، بل الشرك الذي لا يغفره الله لعبده: هو أن يشرك به في الحب والتعظيم، فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله

تعالى ويعظمه قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الند كما يحب الله تعالى، وأن المؤمن أشد حبًّا لله من كل شيء. وقال أهل النار في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧]، ومن المعلوم: أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأليه والعبادة، وإلا فلم يقل أحد قط: إن الصنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله، وفي خلق السموات والأرض، وفي خلق عابده أيضًا. وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة.

وأضل من هؤلاء وأسوأ حالاً من سوى كل شيء بالله سبحانه في الوجود، وجعله وجود كل موجود، كامل أو ناقص. فإذا كان الله قد حكم بالضلال والشقاء لمن سوى بينه وبين الأصنام في الحب، مع اعتقاد تفاوت ما بين الله وبين خلقه في الذات والأوصاف والأفعال، فكيف بمن سوى الله بالموجودات في جميع ذلك، بل كيف بمن جعل ربه كل هذه الموجودات؟ وزعم أن من عبد حجرًا أو شجرًا، أو حيوانًا فما عبد غير الله في كل معبود.

س: من المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥]؟ وما هو الدليل على ذلك؟

ج: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٦٥] المشركون، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، فالخلود لا يكون إلا للمشرك لحديث: **«وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»** (1)، وكون الظلم يطلق على الشرك ففي كتاب الله ٥ على هذا الإطلاق أدلة، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ونحو ذلك، والله أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 7510)، ومسلم (ص184).

س: ما المراد بمحبة المشركين للأنداد؟

ج: المراد عبادتهم لهم وتعظيمهم إياهم، وعلى رأي من ذهب إلى أن الأنداد السادة الذين يطاعون في معصية الله وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل، فيدخل في هذه المحبة الطاعة أيضًا.

هذا ولا يدخل في هذه المحبة التي يحبها المشركون للأنداد اعتقاد أن الأنداد خلقتهم، فهذا شيءٌ لم يقر به المشركون، بل قال الله ﻷ حاكيًا عن المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

هذا وقد قال ابن القيم خ(1): في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم.

---

(1) التفسير القيم.

س: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٦٥] قراءتان مشهورتان وضحهما، وبيّن معنى الآية على كل قراءة منهما؟

ج: القراءة الأولى هي: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالياء (المثناة التحتانية) من يرى، وهي قراءة أهل الكوفة وأهل مكة.

والمعنى على هذا القول كما نقله القرطبي عن أبي عبيد: لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا.

وقال الحافظ ابن كثير خ: قال بعضهم: تقدير الكلام، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا، أي: أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] يقول: لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال.

وقال الطبري $ (1) : ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أعد لهم في جهنم لعلموا حين يرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب إذ يرون العذاب.

وقال شيبة الحمد في تفسيره: أي: ولو يعاين هؤلاء الذين أشركوا مع الله غيره في المحبة ما أعد الله لهم من العذاب والعقوبة في نار جهنم لما أشركوا معه غيره، لأنهم لو عاينوا ذلك لعلموا أن القهر والسلطان والحكم لله وحده، وأن هؤلاء الأنداد لا يملكون لهم نفعًا ولا يدفعون عنهم ضرًا؛ بل يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ويلعن بعضهم بعضًا.

أما القراءة الثانية فهي: (ولو ترى) بالتاء (المثناة الفوقانية) من ترى، وهي التي اختارها الطبري خ ونقلها عن عامة أهل المدينة والشأم، فقال $:اختلفت

---

(1) أي: في تفسير الآية على هذه القراءة، وإلا فقد اختار الطبري $ القراءة الثانية، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

القرأة في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل المدينة والشأم: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ بالتاء ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥] بالياء ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] بفتح (أنَّ) و (أنَّ) كلتيهما بمعنى: ولو ترى يا محمد الذي كفروا ظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]... ثم قال الطبري $: والصواب من القراءة عندنا في ذلك:﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ [البقرة: ١٦٥] ـ بالتاء من (ترى) ـ ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] بمعنى: لرأيتَ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب. فيكون قوله: (لرأيت) الثانية، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ [البقرة: ١٦٥] عن ذكره، إذ كان جوابًا لـ (لو).

ويكون الكلام، وإن كان مخرجه مخرجَ الخطاب لرسول الله ﷺ ـ معنيًّا به غيره، لأن النبي ﷺ كان لا شك عالمًا بأن القوة لله جميعًا، وأن الله شديد العذاب، ويكون ذلك نظير قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، وقد بيناه في موضعه.

وإنما اخترنا ذلك على قراءة (الياء)، لأن القوم إذا رأوا العذاب، قد أيقنوا أن القوة الله جميعًا وأن الله شديد العذاب، فلا وجه أن يُقال: لو يرون أنّ القوة لله جميعًا ـ حينئذ، لأنه إنما يُقال: (لو رأيت)، لمن لم ير، فأما من قد رآه، فلا معنى لأن يقال له: (لو رأيت).

ثم قال $:

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله: ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ [البقرة: ١٦٥]، ولو ترى، يا محمد، الذين ظلموا أنفسهم، فاتخذوا من د وني أندادًا يحبونهم كحبكم إياي، حين يُعاينون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم، لعلمتم أن القوة كلها لي دون الأنداد والآلهة، وأنَّ الأنداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئًا، ولا تدفع عنهم عذابًا أحللتُ بهم، وأيقنتم أنِّي شديدٌ عذابي لمن كفر بي، وادَّعي معي

إلهًا غيري.

|

س: من الذين اتُّبعوا؟

ج: الذين اتُّبعوا هم المعبودون الذين كانوا يُعبدون في الدنيا من دون الله ٥ ومع الله ٥، فيدخل فيهم الشيطان وتدخل فيهم الأوثان ويدخل الملائكة والجن والجبابرة والقادة والرؤساء، وعيسى غ يتبرأ أيضًا من عابديه.

هذا وقد قصر بعض أهل العلم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] في هذا الموطن على الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك والضلال، فروي عن قتادة بإسناد حسن(1) في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] وهم الجبابرة والقادة والرءوس في الشر: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦] وهم الأتباع الضعفاء ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦].

وذهب الطبري خ في تأويل الآية الكريمة: إلى أن المتبوعين على الشرك يتبرأون من تابعيهم، ولكنه حمل هؤلاء المتبوعين على الأنداد من الرجال، فقال خ: والصواب من القول عندي في ذلك: أنَّ الله تعالى ذكره أخبر أن المتبعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله، ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض، بل عم جميعهم، فداخلٌ في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة.

وأما دلالة الآية فيمن عني بقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦]، فإنها إنما تدل على أنَّ الأنداد الذين اتخذوهم من دُون الله من وصف تعالى ذكره صفته بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ هم الذين يتبرءون من أتباعهم.

---

(1) أخرجه الطبري (أثر رقم 2413).

وإذ كانت الآيةُ على ذلك دالةً، صح التأويل الذي تأوله السدي في قوله(1): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، أن (الأنداد) في هذا الموضع، إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمروهم به من أمر، ويعصون الله في طاعتهم إياهم، كما يُطيع الله المؤمنون ويعصون غيره ـ وفسد تأويل قول من قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦]، أنهم الشياطين تبرءوا من أوليائهم من الإنس، لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن مُتخذي الأنداد.

قلت (مصطفى): والقول بالتعميم أولى من قصرها على الأنداد، فعموم المعبودين يتبرأون من عابديهم، وهذا ما سيرد في السؤال اللاحق إن شاء الله تعالى.

تبرؤ المعبودين من عابديهم

س: اذكر بعض الأدلة توضح براءة المعبودين من عابديهم؟

ج: من هذه الأدلة أدلة عامة ومنها أدلة تفصيلية.

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي:

- قول الله ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦].
- قوله ﷻ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].
- قوله سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾. [الزخرف: ٦٧]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ

(1) أثر السدي عند الطبري رقم (2411) من طريق موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال: الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله.

وأخرج الطبري أيضًا (2416) من نفس الطريق: موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦]، أما: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ فهم الشياطين تبرءوا من الإنس.

حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ
﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴾ .

[القصص: ٦٣ - ٦٤]

أما الأدلة التفصيلية:

فالملائكة تتبرأ من عابديها، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤٢].

۞ وكذلك الشيطان يتبرأ من تابعيه، قال الله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

۞ وكذلك الأوثان تتبرأ من عابديها، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

۞ والجن كذلك، قال الله ع: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

۞ وكذلك عيسى بن مريم (1) ث يتبرأ ممن عبدوه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي

(1) حمل عدد من أهل العلم هذه الآية على أن المعبودين (المدعوين من دون الله) هم الجن، ونرى أن معناها هنا أوسع، والله تعالى أعلم.

وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾

[المائدة: ١١٦، ١١٧]

۞ وكذلك الجبابرة والظلمة يتبرءون ممن عبدهم وأطاعهم في معصية الله يوم القيامة، قال الله ع: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

۞ وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

|

س: ما معنى ﴿ بِهِمُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ﴾ [البقرة: ١٦٦]؟ وما المراد بـ ﴿ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦]؟

ج: أما ﴿ بِهِمُ ﴾ فمعناها (عنهم) وهي كقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: فاسأل عنه خبيرًا.

۞ أما معنى الأسباب، فالأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها الشخص إلى مطالبه وإلى ما يريد، فقد يتوصل الشخص إلى مطلبه بجاهه، وقد يتوصل بعمله، وقد يتوصل بحيلة يحتالها، وقد يتوصل بقرابته، وقد يتوصل بماله، وقد يتوصل بصداقاته وأخلائه إلى غير ذلك من الوسائل فكل هذه أسباب، فالمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦]، أي: وانقطعت عنهم وسائل النجاة والخلاص التي يريدون أن ينجوا بها من عذاب الله ٥، وها هي بعض

أقوال أهل العلم في تفسير الأسباب وإيضاحها.

۞ وأخرج الطبري(1) من طرق عن عبيد المكتب عن مجاهد ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] قال: الوصال الذي كان بينهم في الدنيا، وفي رواية: تواصلهم في الدنيا.

۞ وأخرج الطبري أيضًا بإسناد حسنٍ(2) عن قتادة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]: أسباب الندامة يوم القيامة، وأسباب المواصلة بينهم في الدنيا يتواصلون بها ويتحابُّون بها، فصارت عليهم عداوة يوم القيامة، ثم يوم القيامة يكفر بعضُكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ويتبرأ بعضكم من بعض، وقال الله تعالى ذكره: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، فصارت كل خلَّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين.

۞ وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح(3) عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] قال: أسباب أعمالهم، فأهل التقوى أعطوا أسباب أعمالهم وثيقة فيأخذون بها فينجون، والآخرون أعطوا أسباب أعمالهم الخبيثة فتقطَّعُ بهم فيذهبون في النار.

۞ **وقال الطبري $:** (والأسباب): الشيء يُتعلق به، قال: و (السبب): الحبل، (والأسباب): جمع (سبب)، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طلبته وحاجته، فيقال للحبل: (سبب)، لأنه يُتسبب بالتلعق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها لا بالتعلق به. ويقال للطريق (سبب)، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه. وللمصاهرة (سبب)، لأنها سببٌ للحرمة. وللوسيلة (سبب)، للوصول بها إلى الحاجة، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة، فهو (سبب)

(1) بيد أن عيسى بن مريم ‡ من أهل الجنة ومن أهل الوجاهة والدرجات العلى والمقربين فيها، قال الله ۵ في شأنه: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥]، وأيضًا هو من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١].
(2)الطبري (2417)، (2418)، (2419).
(3)الطبري (أثر رقم 2424).

لإدراكها.

فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في تأويل قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم - من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار - يتبرأ - معاينهم عذاب الله - المتبوعُ من التابع، وتتقطع بهم الأسباب.

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعنُ بعضًا، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وأخبر تعالى ذكره أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضًا، فقال تعالى ذكره: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٤، ٢٥]، وأن الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه، وإن كان نسيبه لله وليًا، فقال تعالى ذكره في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات.

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه، فهي منقطعة بأهلها. فلا خلال بعضهم بعضًا نفعهم عند ورودهم على ربهم، ولا عبادتُهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم؛ ولا دافعت عنهم أرحامهم فنصرتهم من انتقام الله منهم، ولا أغنت عنهم أعمالهم، بل صارت عليهم حسرات. فكل أسباب الكفار منقطعة.

فلا معنى أبلغ - في تأويل قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] - من صفة الله [ذلك] وذلك ما بينا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها، على ما قلنا في ذلك. ومن ادَّعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب، سئل عن البيان على دعواه من أصل لا منازع فيه، وعورض بقول مخالفه فيه فلن يقول في شيء

من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

وقال القرطبي $: قوله تعالى ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] أي: الوصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحمٍ وغيره، عن مجاهد وغيره، الواحد سبب ووصلة. وأصل السبب الحبل يشدُّ به الشيء فيجذبه، ثم جعل كل ما جرَّ شيئًا سببًا، وقال السدي وابن زيد: إن الأسباب أعمالهم، والسبب الناحية ومنه قول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

۞ **وقال الرازي $:** أصل السبب في اللغة الحبل، قالوا: ولا يدعى الحبل سببًا حتى ينزل ويصعد به، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:١٥] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضعٍ أو حاجة تريدها: سبب، يُقال ما بيني وبينك سبب، أي: رحم ومودة، وقيل للطريق: سبب، لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٥] أي: طريقًا، وأسباب السموات أبوابها، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها، قال تعالى مخبرًا عن فرعون: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، قال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سببًا، لأنهم بها يتواصلون.

س: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [البقرة:١٦٧] ماذا يراد به؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ كما أنهم تبرأ بعضهم من بعض فأيضًا يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم.

وقيل أيضًا: كما أراهم الله العذاب في قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ

ٱلۡعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٥] فكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، والله أعلم.

|

س: هل الكفار لو ردُّوا إلى الدنيا لعبدوا الله وحده كما زعموا في قولهم: ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ [البقرة: ١٦٧]؟

ج: كلا بل هم كاذبون في دعواهم، فلو ردوا لعادوا إلى الكفر وموالاة أهله أيضًا، قال الله ﻷ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

[الأنعام: ٢٧، ٢٨]

|

س: ما المراد بالأعمال في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [البقرة: ١٦٧]؟

ج: لأهل العلم في المراد بالأعمال هنا جملة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالأعمال هنا الأعمال السيئة التي عملها الكفار فيُري الله ﻷ للكفار أعمالهم السيئة فيودوا أنهم لم يعملوها وأنهم عملوا صالحًا غيرها.

وقد أخرج الطبري(1) $ بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [البقرة: ١٦٧]، قال: أو ليس أعمالهم الخبيثة التي أدخلهم الله بها النار؟ [فجعلها] حسرات عليهم. قال: وجعل أعمال أهل الجنة لهم، وقرأ قول الله: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [البقرة: ١٦٧]، كذلك يري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لم عملوا بها؟ وهلاَّ عملوا بغيرها؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها، لأن الله أخبر أنه

---

(1) أثر (1342).

يريهم أعمالهم ندمًا عليهم.

فالذي هو أولى بتأويل الآية، ما دَّل عليه الظاهرُ دون ما احتمله الباطن الذي لا دلالة له على أنه المعنيُّ بها. والذي قال السدي في ذلك، وإن كان مذهبًا تحتمله الآية، فإنه منزع بعيد. ولا أثر ـ بأن ذلك كما ذكر ـ تقوم به حُجة فيسلم لها، ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها. فإذ كان الأمر كذلك، لم يُحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل.

القول الثاني: أن المراد بالأعمال هنا أوامر الله التي أمرهم الله بها ونواهيه التي نهاهم عنها سبحانه، فُيري الله ٥ هذه الأوامر والنواهي للكافرين فيتحسروا على عدم امتثالهم لأوامره وعدم اجتنابهم نواهيه.

وقد حكى الطبري هذا القول عن قائليه فقال:

فقال بعضهم: معنى ذلك: كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب ـ ما كان الله أعدَّ لهم، لو كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والنِّعِم ـ غيرهم بطاعته ربه.

فصار ما فاتهم من الثواب ـ الذي كان الله أعده لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك ـ أسًى وندامةً وحَسرةً عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط(1) ، عن السدي: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [البقرة: ١٦٧]، زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها، لو أنهم أطاعوا الله، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله! ثم تُقسم بين المؤمنين، فيرثونهم. فذلك حين يندمون.

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن

(1) أخرجه الطبري (7342).
أسباط تكلم فيه بعض أهل العلم .

سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو الزعراء(1) ، عن عبدالله ـ في قصة ذكرها ـ فقال: فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار، وهو يوم الحسرة. قال: فيرى أهلُ النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عملتم! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهل الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن منَّ الله عليكم!

فإن قال قائل: وكيف يكون مضافًا إليهم من العمل ما لم يعملوه على هذا التأويل؟

قيل: كما يعرض على الرجل العمل فيقال [له] قبل أن يعمله: هذا عملك. يعني: هذا الذي يجب عليك أن تعمله، وكما يقال للرجل يحضر غداؤه قبل أن يتغدى به: هذا غداؤك اليوم. يعني به: هذا ما تتغدى به اليوم. فكذلك قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة:١٦٧]. يعني: كذلك يُريهم الله أعمالهم التي كان لازمًا لهم العمل بها في الدنيا، حسرات عليهم.

۞ **القول الثالث:** أن المراد بالأعمال هنا الأعمال الصالحة التي عملها الكفار في الدنيا وذهب ثوابها في الآخرة بسبب كفرهم فيتحسرون على تلك الأعمال التي عملوها وذهب ثوابها، وذلك كما قال تعالى في شأن ذهاب ثواب تلك الأعمال.

۞ ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

۞ وكما قال سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم:١٨].

۞ وكما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:

---

(1) أبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ قال البخاري فيه: لا يتابع في حديثه.

.

وثمَّ أقوال أخر منها: أن المراد بـ (أعمالهم) سيادتهم ووجاهتهم في الدنيا يتحسرون على ذهابها، إلى غير ذلك من الأقوال، والله أعلم.

(471) أحمر
أسود

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ
١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ
أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا
وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ
بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا
يَعۡقِلُونَ ١٧١

الكلمة	معناها
﴿حَلَٰلٗا﴾	طلْقًا ـ الحلال: ما أحله الله في كتابه.
﴿طَيِّبٗا﴾	طاهرًا غير نجس ولا محرم ـ مستطابًا في نفسه غير ضار بالعقول والأبدان.
﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾	طرقه، ومسالكه، وأفعاله، وما يأمر به من الخطايا(2).
﴿مُّبِينٌ﴾	ظاهر العداوة.
﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾	هو: كل ما يُسيء صاحبه، وقيل: هو: عموم المعاصي.
﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾	الكبائر، وما استفحش من الذنوب.
﴿أَلۡفَيۡنَا﴾	وجدنا(3).
(1)﴿يَنۡعِقُ﴾	ينادي ـ يصيح ـ يُصوِّت.

(1) وقال بعض أهل العلم: كل معصية فهي من خطوات الشيطان.

(2) أخرج الطبري (2448) بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [البقرة: 170]، أي: ما وجدنا عليه آباءنا.

(3) قال الطبري $: وأما قوله: (ينعق) فإنه يصوّت بالغنم (النعيق والنُّعاق) ومنه قول الأخطل.

فَـانْعِقْ بضـأنك يـا جَريـرُ فإنمـا   مَنَّتْـكَ نفسُـك فـي الخـلاء ضَـلالاَ

يعني: صوّت به.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]؟

ج: المعنى - والله أعلم - كلوا من الطيب الذي أحللته لكم في الأرض واجتنبوا ما حرمته عليكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان الذي يهلككم ويرديكم فيحرم عليكم طيبات أحللتها لكم، ويحل لكم ما حرمته عليكم.

قال الطبري خ: يعني تعالى ذكره بذلك: يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ، فطيبته لكم - مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليهم - دون ما حرمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهل به لغيري. ودعوا خطوات الشيطان - الذي يوبقكم فيهلككم، ويوردكم موارد العطب، ويحرم عليكم أموالكم - فلا تتبعوها ولا تعملوا بها، إنه - يعني بقوله: (إنه) إن الشيطان، و (الهاء) في قوله: (إنه) عائدة على الشيطان - لكم أيها الناس (عدو مبين)، يعني: أنه قد أبان لكم عداوته، بإبائه عن السجود لأبيكم، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة.

يقول تعالى ذكره: فلا تنتصحوه، أيها الناس، مع إبانته لكم العداوة، ودعوا ما يأمركم به، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرمته عليكم، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه، طاعة منكم للشيطان واتباعًا لأمره.

س: نهانا الله ٥ عن اتباع خطوات الشيطان وحذرنا منه في جملة آيات اذكر بعضها؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [النور: ٢١].

(473) أحمر
أسود

۞ وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

۞ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

۞ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

۞ قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [يس: ٦٠].

۞ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

۞ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴾ [القصص: ١٥].

۞ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ [الكهف: ٥٠].

۞ والشيطان هو الذي نزغ بين نبي الله يوسف وبين إخوته كما قال: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

۞ وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

س: اذكر بعض الأدلة التي استدل بها الأصوليون على أن الأصل في المطعومات الحل؟

ج: من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾

[الأعراف: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ...﴾ [البقرة: ٢٩].

وفي الحديث القدسي: «كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال...»(1) .

س: قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٩]، انتظم جميع الذنوب متسلسلة من الأصغر للأكبر وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن الآية بدأت بذكر السوء، وقد قال بعض أهل العلم إن المراد به هنا المعاصي، ثم ثنت الآية بالفحشاء والمراد بها الكبائر، ثم بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، فتدخل فيها البدع ويدخل فيها الكفر كذلك فتكون الآية الكريمة قد انتظمت المعاصي (في قوله: بالسوء)، ثم الكبائر (في قوله: والفحشاء)، ثم البدع والكفر (في قوله: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض عقوبات أكل الحرام؟

ج: من هذه العقوبات منع استجابة الدعاء> فقد ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلي السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له(2).

س: ما المراد بالسوء، وكذلك ما المراد بالفحشاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ١٦٩]؟

ج: المراد بالسوء كل ما يسيء صاحبه، والمعاصي من السوء لأنها تسيء

---

(1) أخرجه مسلم (حديث 2865) من حديث عياض بن حمار المجاشعي ؓ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدًا حلالٌ...»** الحديث.

ونحلته، أي: أعطيته.

(2)أخرجه مسلم (7 / 99) من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعًا.

إلى صاحبها بسوء العاقبة التي يلقاها ويصير إليها والفحشاء هي كبائر الذنوب (كالزنا واللواط ونحو ذلك).

قال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ١٦٩] سمي السوء سوءًا، لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه. وهو مصدر ساءه يسوؤه سوءًا ومساءةً: إذا أحزنه. وسؤته فسيء: إذا أحزنته. فحزن؛ قال الله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]. وقال الشاعر:

إن يك هذا الدهر قد ساءني … فطالما قد سرني الدهر

الأمر عندي فيهما واحد … لذاك شكرٌ ولذاك صبر

والفحشاء أصله قبح المنظر؛ كما قال:

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ

ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني. والشرع هو الذي يحسن ويقبح؛ فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء. وقال مقاتل: إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنا؛ إلا قوله: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].فإنه منع الزكاة.

قلت: فعلى هذا قيل: السوء ما لا حد فيه، والفحشاء ما فيه حدٌّ. وحكي عن ابن عباس وغيره، والله تعالى أعلم.

|

س: الشيطان يأمر بني آدم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، اذكر شيئًا مما قاله بنو آدم وافتروه على الله ٥ مما لا علم لهم به؟

ج: من هذه الافتراءات: تقولهم على الله ٥ في مسائل التحليل والتحريم، فيحلون أشياء ويحرمون أشياء وينسبون ذلك إلى الله ▌ قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم
بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ
وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٤٠].

ومنها: تقولهم وافتراؤهم وقولهم هذه سائبة وتلك وصيلة وذاك حام، وقد ردَّ الله ٥ عليهم مزاعمهم تلك فقال سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩]. ثم افتراءات على الله ٥ كما زعمت اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة حيث قالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وزعمهم أن يد الله مغلولة، كما حكى الله ذلك عنهم فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومزاعمهم مع النصارى: أن لله الولد، كما حكى ذلك الله سبحانه عنهم فقال ٥: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال الطبري خ: وأما قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]. فهو ما كانوا يحركون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي، ويزعمون

أن الله حرم ذلك. فقال تعالى ذكره لهم: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

فأخبرهم ـ تعالى ذكره ـ في هذه الآية أن قيلهم: (إن الله حرم هذا!) من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحله لهم وطيبه، ولم يحرم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته، طاعةً منهم للشيطان، واتباعًا منهم خطواته، واقتفاء منهم آثر أسلافهم الضلال وآبائهم الجهال، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالاً، وعن الحق ومنهاجه ضلالاً ـ وإسرافًا منهم، كما أنزل الله في كتابه على رسوله ﷺ فقال تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ﴾ [البقرة: ١٧٠].

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]؟

ج: قال الطبري ـ خ ـ في معناها:

فمعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء الكفار: كلوا مما أحل الله لكم، ودعوا خطوات الشيطان وطريقه، واعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ في كتابه ـ استكبروا عن الإذعان للحق وقالوا: بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يحلون، وتحريم ما كانوا يحرمون.

قال الله ـ تعالى ذكره: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٠] يعني: آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم ـ ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ١٧٠] من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق، ويؤتم بهم في أفعالهم ـ ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] لرشد، فيهتدي بهم غيرهم، ويقتدي بهم من طلب الدين، وأراد الحق والصواب؟

يقول ـ تعالى ذكره ـ لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا ولا هم مصيبون حقًّا ولا مدركون رشدًا، وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء

المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز.

|

س: الهاء والميم في قوله تعالى (لهم) من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [البقرة: ١٧٠] ترجع إلى من؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أنها ترجع إلى متخذي الأنداد.

فالمعنى: ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.

۞ وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الهاء والميم ترجع إلى الناس الذين خوطبوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨].

فالمعنى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان.. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، لكن يقال هنا: إن قوله: يا أيها الناس كلوا.. خطاب للحاضر، وقوله: وإذا قيل لهم.. حكاية عن الغائب، فكيف يلتئم هذا؟، فللإجابة على هذا التساؤل يقال: إن الانتقال في الخطاب من الحاضر إلى الغائب أو من الغائب إلى الحاضر واردٌ في كتاب الله ۵ في مواطن عدة.

۞**قال الله ع:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢] فقال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ﴾، وقال: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾.

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢] فقال: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ﴾، ثم اتجه للمخاطب بقوله: ﴿لَكُمۡ﴾ و﴿سَعۡيُكُم﴾.

۞ وهذا التأويل الأخير هو الذي اختاره الطبري $ محتجًّا له بأمرين:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠] عقيب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨].

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠] نزلت في اليهود فالآية على ذلك بعيدة السياق والمعنى عن قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

قلت: (مصطفى): أما الإسناد الذي أورده الطبري خ يثبت به أن الآية الكريمة نزلت في اليهود فهوإسناد ضعيف إذ هو من طريق محمد ابن أبي محمد وهو مجهول،ولكن على كل حال فالآية تحتمل الوجهين المذكورين من التفسير، والله أعلم.

۞ **أما قوله:** ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: أي: اعملوا بما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فنفذوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم الله عنه وتدبروا ما فيه والعلم عند الله.

س: اذكر بعض الآيات الدالة على ذم التقليد والمقلدة في الباطل؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

۞ وقوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢١ - ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

س: قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١] فيه تأويلان مشهوران لأهل العلم وضحهما؟

ج: التأويل الأول هو: ومثل واعظ الذين كفروا الذي يعظهم مع هؤلاء الكفار كمثل صاحب بقر أو غنم أو بهيمة يناديها وينعق بها فتسمع ما يقول لكنها لا تفقه منه شيئًا، فهناك أربعة أطراف:

1 - واعظ(1) الذين كفروا. **2** - الذين كفروا.

3 - الناعق الذي ينعق (وهو الراعي). **4** - الذي لا يسمع.

(وهي: الدواب التي يرعاها).

فحال واعظ الذين كفروا مع الذين كفروا كحال الراعي مع البهائم التي يناديها، فكما أن البهائم لا تفهم من راعيها شيئًا إلا صوته، فكذلك الذين كفروا لا يفهمون من واعظهم شيئا إلا صوته فعلى ذلك فالذين كفروا بهائم، ويؤيد كونهم بهائم ما يلي:

۞ قول الله ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

۞ قوله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١].

۞ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ

---

(1) وواعظ الكفار هو كل داعٍ لهم إلى الخير، وبالدرجة الأولى هو نبينا محمد ﷺ.

هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

۞ وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٥].

۞ **والوجه الثاني من أوجه التأويل:** ومثل الذين كفروا مع آلهتهم التي يدعونها من دون الله (عند ندائهم لها وطلبهم منها) كمثل الراعي حين ينادي البهائم التي لا تفهم عنه ولا تعي ما يقول.

فهناك أيضًا أربعة أطراف:

1 - الذين كفروا حين ينادون. 2 - الآلهة.

3 - الراعي حين ينادي. 4 - بهائمه.

فكما أن البهائم لا تعقل شيئًا إلا أنها تسمع الدعاء والنداء، فكذلك الآلهة التي تدعى من دون الله لا تعقل شيئًا(1).

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك(2):

۞ **قال أبو جعفر الطبري خ:** اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم معنى ذلك: مثل الكافر - في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به - مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها ولا تعقل ما يقال لها.

ثم أورد جملة آثار منها: أثر قتادة(3) بإسناد حسن قوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [البقرة: ١٧١] يقول: مثل الكافر كمثل البعير والشاة يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدري ما عني به.

ثم قال الطبري $: ومعنى قائلي هذا القول - في تأويلهم ما تأولوا، على ما

(1)وإن قدر سماع فهو سماع الجنية التي في بعضها.
(2)وسنستفيض في إيراد أقوالهم حتى يتضح المعنى تمامًا إن شاء الله.
(3)أثر (2456)، والآثار التي أشرنا إليها - غير هذا - في أسانيدها ضعف.

حكيت عنهم ـ: ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم، كمثل نعق الناعق بغنمه ونعيقه بها. فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا، وترك ذكر (الوعظ والواعظ)، لدلالة الكلام على ذلك. كما يقال: (إذا لقيت فلانًا فعظمه تعظيم السلطان)، يراد به: كما تعظم السلطان، وكما قال الشاعر:

فلست مسلمًا ما دمت حيًّا ... على زيدٍ بتسليم الأمير

يراد به: كما يسلم على الأمير.

وقد يحتمل أن يكون المعنى ـ على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء ـ:

ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت. وذلك أنه لو قيل له: (اعتلف، أورد الماء)، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله. فكذلك الكافر، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه ـ بسوء تدبره إياه وقلة نظره وفكره فيه ـ مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهي عنه. فيكون المعنى للمنعوق به، والكلام خارجٌ على الناعق، كما قال نابغة بني ذبيان:

وقد خفت، حتى ما تزيد مخافتي ... على وعلٍ في ذي المطارة

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي، وكما قال الآخر:

كانت فريضة ما تقول، كما ... كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى:كما كان الرجم فريضة الزنا ، فجعل الزنا فريضة الرجم ، لوضوح معنى الكلام عند سامعه ، وكما قال الآخر :

إن سراجًا لكريمٌ مفخره ... تحلى به العين إذا ما تجهره

والمعنى: يحلى بالعين، فجعله تحلى به العين. ونظائر ذلك من كلام العرب أكثر من أن تحصى، مما توجهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما صاحبه، لظهور معنى ذلك عند سامعه، فتقول: (اعرض الحوض على الناقة)، وإنما تعرض الناقة على الحوض، وما أشبه ذلك من كلامها.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، وذلك الصدى الذي يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعق شيئًا.

فتأويل الكلام على قول قائلي ذلك: ومثل الذين كفروا وآلهتهم ـ في دعائهم إياها وهي لا تفقه ولا تعقل ـ كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعق إلا دعاءً ونداءً، أي: لا يسمع منه الناعق إلا دعاءه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال :قال ابن زيد في قوله[1]:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [البقرة:١٧١]، قال: الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يراجعه يقال له (الصدى). فمثل آلهة هؤلاء لهم، كمثل الذي يجيبه بهذا الصوت، لا ينفعه، لا يسمع إلا دعاء ونداء. قال: والعرب تسمي ذلك الصدى.

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا آخر غير ذلك. وهو أن يكون معناها: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم، كمثل الناعق بغنم له من حيث لا تسمع صوته غنمه، فلا تنتفع من نعقه بشيء، غير أنه في عناء من دعاء ونداء. فكذلك الكافر في دعائه آلهته، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها، ولا ينفعه شيء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويل عندي بالآية، الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونعيقه، فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه، على ما قد بينا قبل.

فأما وجه جواز حذف (وعظ) اكتفاء بالمثل منه، فقد أتينا على البيان عنه في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧]، وفي غيره من نظائره من الآيات، بما فيه الكفاية من إعادته.

---

(1)صحيح عن ابن زيد.

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن هذه الآية نزلت في اليهود، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضرها. ولا وجه ـ إذ كان ذلك كذلك ـ لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها.

فإن قال قائل: وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود؟

قيل: دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها، فإنهم هم المعنيون به.

فكان ما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم، أحق وأولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم. هذا مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت، والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم(1). وبما قلنا من أن هذه

(1) قال شاكر $ هذا موضع مشكل في كلام أبي جعفر ڤ، كان ينبغي أن يبينه فضل بيان. فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التي قبل هذه الآية نزلت في يهود، وليس كذلك. ثم عاد بعد قليل يقول: «هذا مع الرواية التي رويناها عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم» ـ يعني في يهود. ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التي «قبل هذه الآية» نزلت فيهم، فيما روي عن ابن عباس ـ معنى مفهوم.

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول: إن الآيات السالفة نزلت في اليهود ـ إلا الآيات الأخيرة من أول قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [البقرة: ١٦١ - ١٦٣].
فهي قد نزلت في كفار العرب، وذكر ابن عباس أن الآية الآخيرة: (١٧٠) نزلت في يهود أيضًا. ثم أن الآيات بعدها هي ولا شك في يهود وأهل الكتاب، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود.

فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ - ١٦٩) اعتراضًا في سرد قصة واحدة، هي قصة يهود.

فإن لم يكن ذلك كذلك، فلست أدري كيف يتسق كلامه. فهو منذ بدأ في تفسير هذه الآيات من ٣٦١- ٩٦١ لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم، وبين أن المقصود بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ - هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص٣٠٢)، ثم عاد في تأويل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ فقال: فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي (ص٣٠٣). واليهود، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر، فهم أيضًا لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر في تفسير الآيات السالفة.

فهذا تناقض منه $ ـ إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التي ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا على البحائر والسوائب والوصائل.

والصواب من القول عندي، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها في ذكر =

الآية معني بها.

وقال ابن القيم $ (التفسير القيم):

تضمن هذا المثل: ناعقًا أي: مصوتًا بالغنم وغيرها، ومنعوقًا به.

وهو الدواب فقيل: الناعق العابد، وهو الداعي للصنم. والصنم: هو المنعوق به المدعو، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه. هذا قول طائفة. منهم عبدالرحمن بن زيد وغيره.

واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول، وقالوا: قوله ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١] لا يساعد عليه. لأن الأصنام لا تسمع دعاء ولا نداءً.

وقد أجيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن «إلا» زائدة. والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء.

قالوا: وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر:

حراجيج ما تنفك إلا مناخة

أي: ما تنفك مناخة. وهذا جواب فاسد. فإن «إلا» لا تزاد في الكلام المثبت.

الجواب الثاني: أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء، لا في خصوصيات المدعو.

الجواب الثالث: أن المعنى: أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه هو في دعاء ونداء. وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته وليه الميت إلا العناء.

وقيل: المعنى: ومثل الذي كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي

=المشركين الذي قال الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨]، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو أول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٤] والآيات التي تليها.

وانظر ما سيأتي: ٧١٣، فإنه قد عاد هناك، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم، وهو تناقض شديد.

أكثر من الصوت. فإن الراعي هو داعي الكفار، والكفار هم البهائم المنعوق بها.

قال سيبويه: المعنى: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به.

وعلى قوله فيكون المعنى: مثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب، وأن تجعله من التشبيه المفرق.

فإن جعلته من المركب كان تشبيهًا للكفار ـ في عدم فقههم وانتفاعهم ـ بالغنم التي ينعق بها الراعي، فلا تفقه من قوله شيئًا غير الصوت المجرد، الذي هو الدعاء والنداء.

وإن جعلته من التشبيه المفرق، فالذين كفروا بمنزلة البهائم، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة البهائم التي ينعق بها ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق.

۞ **وقال القرطبي خ:** والمعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى.

۞ **وقال أيضًا:** وقال قُطْرب: المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم ـ يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي.

وقال ابن سعدي $:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١].

لما بين تعالى، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك، بالتقليد، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلومًا لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم أخبر تعالى أن مثلهم ـ عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان ـ كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها.

فهم لا يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم عليه الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقهًا ينفعهم، فلهذا كانوا صمًّا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميًا، لا ينظرون نظر اعتبار، بكمًا، فلا ينطقون بما فيه خير لهم.

والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء> وأجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق ـ أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء.

وقال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه) $:

وضرب الله ة لهم هذا المثل وشبههم بالغنم المنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به بما لا يسمع لأن سمعهم ما كان ينفعهم فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع: أصم، قال الشاعر:

أصمُّ عما ساءَه سميع

وقال ابن الجوزي $ (زاد المسير ص174 / 1):

قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾ [البقرة:١٧١].

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي، وهذا قول الفراء، وثعلب، قالا جميعًا: أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي؛ لم تدر

ما يقول، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن، وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعي، وهو ظاهر كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوفه الأسد.

قال الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناءُ فريضة الرجم

المعنى: كما كان الرجم فريضة الزنا.

والثاني: أن معناها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا في وعظهم، كمثل الناعق والمنعوق به، فحذف: ومثلنا، واختصارًا، إذ كان الكلام ما يدل عليه. هذا قول ابن قتيبة، والزجاج.

والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون، كمثل الذي ينعق، هذا قول ابن زيد، والذي ينعق هو الراعي، يقال: نعق بالغنم، ينعق نعقًا ونعيقًا ونعقانًا. قال ابن الأنباري: والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال: نعق، إلا في الصياح بالغنم وحدها، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى. ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٧١] إنما وصفهم بالصم البكم، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنى.

س: كيف يقال عن الكفار: إنهم: (صم وبكم وعمي) مع أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ أنهم صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وإن سمعوه لا يعقلوه، وبكمٌ أي: خرس عن التكلم به، وعميٌ عن رؤيته والله تعالى أعلم.

هذا وقد قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٧١] هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴿صُمٌّ﴾ [البقرة: ١٧١] عن الحق فهم لا يسمعون ﴿ بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٧١] يعني خرس عن قيل الحق والصواب والإقرار بما

أمرهم الله أن يقرُّوا به وتبيين ما أمرهم الله ـ تعالى ذكره ـ أن يبينوه من أمر محمد ﷺ للناس فلا ينطقون به ولا يقولونه ولا يبينونه للناس﴿عُمۡيٌ﴾ [البقرة: ١٧١] عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه.

ثم أورد الطبري $ أثرًا بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ [البقرة: ١٧١] يقول: صم عن الحق فلا يسمعونه ولا ينتفعون به ولا يعقلونه، عمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه، بكم عن الحق فلا ينطقون به (1) .

---

(1)الطبري أثر (2464).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا
حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا
عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣

الكلمة	معناها
﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾	كلوا من الرزق الحلال الطيب الذي أحللته لكم فطاب لكم بتحليلي إياه.
﴿ٱضۡطُرَّ﴾	ألجأته الضرورة (1).

(1) وقد تكون الضرورة بالجوع المفضي إلى الموت أو الذي يخشى منه الموت، أو تكون الضرورة بإكراه من عدو إلى غير ذلك، والله أعلم.

س: رزق الله للعباد يستلزم الشكر، ومزيد الرزق يستلزم مزيد الشكر وضح ذلك؟

ج: إيضاحه أن العبد عليه أن يكون فطنًا ذكيًّا فكلما أنعم الله عليه بنعمة أحدث لها شكرًا فتزداد نعم الله عليه، وإلا سلبت منه تلك النعم، وكان الجحود مؤذنًا بزوالها.

ألا ترى أن سليمان ؑ لما أنعم الله عليه بما أنعم ورأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده ماذا قال؟!!

۞ **قال ؑ:** ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠] ألا ترى أن موسى ؑ لما اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه ماذا قال الله له، قال ۵: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

۞وقال الله تعالى لأهل الإيمان لما منَّ عليهم بالرزق الحلال: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى لقوم سبإ: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ: ١٥]، وقال الله ع: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

۞ ولما أنعم الله على يوسف ؑ بالتوحيد والإيمان ماذا قال؟

قال ؑ: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

۞ وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٥، ١٦].

۞ **وقال النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا أكل أحدكم الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها».**

۞ وقال نوح لما نجاه الله من القوم الظالمين: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث على شكر الله على نعمه وآلائه.

س: ما المراد بقوله تعالى:﴿لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[البقرة:١٧٢]؟

ج: المراد ـ والله أعلم ـ اشكروا لله إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباحه لكم، ودعوا ما حرَّمه الشيطان عليكم.

س: أمر الله ﻷ المؤمنين بما أمر به المرسلين في أكل الطيبات، وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﻓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]» الحديث.

س: ما صلة هذه الآية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ [البقرة:١٧٣] بالآية التي قبلها؟

ج: الصلة بين الآيتين تتضح من إيراد المعنى، وهو كلوا أيها المؤمنون مما أحللته لكم واشكروا نعم الله عليكم في تحليله لكم ما أحله وتطييبه لكم، ولا تحرموا على أنفسكم الطيبات التي أحللتها لكم، ولا تعتقدوا في شيء أنه محرم فتمتنعون من أكله فإن الذي حرَّمته عليكم إنما هو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وما سوى ذلك فهو لكم حلال.

قال الطبري $: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] يعني: اطعموا

من حلال الرزق الذي أحللناه لكم فطاب لكم بتحليلي إياه لكم مما كنتم تحرمون أنتم ولم أكن حرمته عليكم من المطاعم والمشارب، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] يقول: وأثنوا على الله بما هو أهله منكم على النعم التي رزقكم وطيبَّها لكم ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] يقول: إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين فكلوا مما أباح لكم وحلله وطيبه لكم ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان. وقد ذكرنا بعض ما كانوا في جاهليتهم يحرمونه من المطاعم وهو الذي ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه إذ كان تحريمه إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان، واتباعًا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف ثم بيَّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم وفصَّله لهم مُفسرًا.

س: هل هناك محرمات أخرى أضيفت إلى ما في هذه الآية الكريمة؟

ج: نعم هناك محرمات أخرى منها: كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع فقد حرَّمها النبي ﷺ.

س: القراءة في ﴿ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٢] هل هي بالتخفيف أم بالتشديد؟

ج: ذكر الطبري خ فيها الوجهين فقال $:

وأما ﴿ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فإن القرأة مختلفة في قراءتها. فقرأها بعضهم بالتخفيف، ومعناه فيها التشديد، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون في: «هو هيّن ليّن» «الهيْن الليْن»، كما قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء

فجمع بين اللغتين في بيت واحد، في معنى واحد.

وقرأها بعضهم بالتشديد، وحملوها على الأصل، وقالوا: إنما هي (مَيْوِت) (فيعل)، من الموت. ولكن (الياء) الساكنة، (الواو) المتحركة لما اجتمعتا، (والياء) مع سكونها متقدمة، قلبت (الواو) (ياء) وشددت، فصارتا (ياء) مشددة،

كما فعلوا في ذلك في (سيد وجيد). قالوا: ومن خففها، فإنما طلب الخفة. والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في «ياء» «الميتة» لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب. لأنه لا اختلاف في معنييهما.

س: ما المراد بالإهلال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟، وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]

ج: المراد بالإهلال رفع الصوت، ومن ثَمَّ قيل للملبي مُهل؛ لرفعه صوته بالتلبية، وقال النبي ﷺ: **«ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا...»** الحديث، فالإهلال رفع الصوت.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] فمعناه ـ والله أعلم ـ وما ذبح وذكر عليه اسم غير اسم الله ع، وذلك أنهم كانوا يذكرون اسم آلهتهم على الذبيحة ويرفعون أصواتهم بذلك.

وأخرج ا لطبري $ بإسنادٍ صحيح إلى ابن وهب قال: قال ابن زيد ـ وسألته عن قول الله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال: ما يذبح لآلهتهم، الأنصابُ التي يعبدونها ويسمون أسماءها عليها، قال: يقولون: (باسم فلان)، كما تقول أنت: (باسم الله)، قال: فذلك قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ (1).

ومن العلماء من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ما ذبح لغير الله(2)، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، منها:

---

(1) الطبري أثر (6742).

(2) وقد أخرج ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر 8642).

القول الأول: غير باغ على الناس خارجٍ على الأئمة بسيفه بغير حق ولا خارج في معصية الله ولا مفارق للجماعة ولا عاديًا عليهم بحرب وعدوان، فمن خرج وهو مفارق للجماعة أو خرج على إمام المسلمين أو خرج قاطعًا للطريق ولم يجد طعامًا فليس له أن يأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير وممن قال بهذا القول مجاهد بن جبر خ فقد روى الطبري ذلك عنه من عدة طرق(1).

والقول الثاني: وهو غير باغ غير طالب للحرام وللشهوة، و ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] أي: ولا متعد القدر الذي أبيح له أن يأكله.

فليس له أن يطلب الحرام وينشده، وليس له أن يأكل أكثر من حاجته.

وقد أخرج الطبري(2) بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال:غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدى حلالا إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة .وأخرج الطبري أيضًا بإسناد صحيح إلى ابن زيد(3) في قوله :﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة: ١٧٣] قال:يأكل ذلك بغيًا وتعديًا عن الحلال إلى الحرام ويترك الحلال وهو عنده، ويتعدى بأكل هذا الحرام هذا التعدي ينكر أن يكونا مختلفين ويقول: هذا وهذا واحد.

۞ **قال الطبري خ:** وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرم عليه من أكله، ولا عاد في أكله، وله عن ترك أكله ـ بوجود غيره مما أحله الله له ـ مندوحة وغنى.

وذلك أن الله ـ تعالى ذكره ـ لم يرخص لأحد في قتل نفسه بحال. وإذ كان ذلك كذلك، فلا شك أن الخارج على الإمام والقاطع الطريق، وإن كانا قد أتيا ما حرَّم عليهما ـ: من خروج هذا على من خرج عليه، وسعي هذا بالإفساد في الأرض ـ فغير مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرم الله عليهما ـ ما كان حرم الله

---

(1)وقد تعقب الطبري هذا القول كما سيأتي إن شاء الله.
(2)الطبري أثر (7842).
(3)الطبري أثر (2942).

عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك ـ من قتل أنفسهما. (وردُّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مُرخَّصًا لهما قبل ذلك من فعلهما، وإن لم نر ردَّهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حرامًا). فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب على قطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة، الأوبة إلى طاعة الله، والرجوع إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه، والتوبة من معاصي الله ـ لا قتل أنفسهما بالمجاعة، فيزدادن إلى إثمهما إثمًا، وإلى خلافهما أمر الله خلافًا.

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه غير باغ في أكله شهوة، فأكل ذلك شهوة، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك مما قد دخل فيما حرمه الله عليه ـ فهو بمعنى ما قلنا في تأويله، وإن كان للفظه مخالفًا.

فأما توجيه تأويل قوله: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ولا آكل منه شبعة، ولكن ما يمسك به نفسه، فإن ذلك، بعض معاني الاعتداء في أكله، ولم يخصص الله من معاني الاعتداء في أكله معنى فيقال: عنى بعض معانيه.

فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول ما قلنا: من أنه الاعتداء في كل معانيه المحرمة.

وقال الماوردي في تفسيره: وفي قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] ثلاثة أقاويل:

أحدها: غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم فيدخل الباغي على الإمام وأمته، والعادي قاطع الطريق، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير.

والثاني: غير باغ في أكله فوق حاجته ،ولا عاد يعني متعديًا بأكلها وهو يجد غيرها، وهو قول قتادة والحسن وعكرمة والربيع وابن زيد.

والثالث: غير باغ في أكلها شهوة وتلذذًا ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع، وهو قول السدي، وأصل البغي في اللغة: قصد الفساد، يقال: بغت المرأة

تبغي بغاءً إذا فجرت، وقال الله ۵: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد، والعرب تقول: خرج الرجل في بغاء إبل له، أي: في طلبها ومنه قول الشاعر:

لا يمنعنك من بغاء الخير تعقادُ التمائم

إن الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

۞ وذهب الشنقيطي خ في أضواء البيان: إلى أن الباغي والعادي هو المتجانف لإثم، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ثم قال: والمتجانف المائل ومنه قول الأعشى:

تجانف عن حجر اليمامة ناقتي وما قصدت من أهلها لسوائكا

فيفهم من الآية: أن الباغي والعادي كلاهما متجانف لإثم وهذا غاية ما يفهم منها.

س: ما موقع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] من التأويل في هذه الآية الكريمة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟

ج: موقعها أن من أكل شيئًا من هذه الأطعمة المحظورة مضطرًّا إليها غير باغ ولا عاد فإن الله غافر له ذنبه رحيم بكم إن أطعتموه.

قال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] أي: يغفر المعاصي، فأولى ألا يؤاخذ بما رخَّص فيه، ومن رحمته أنه رخَّص.

وقال الطبري $: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال أبو جعفر: يعني بقوله ـ تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: إن أطعتم الله في إسلامكم، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم، وتركتم اتباع الشيطان فيما كنتم تحرمونه في جاهليتكم ـ طاعة منكم للشيطان واقتفاء

منكم خطواته ـ مما لم أحرمه عليكم، لما سلف منكم، في كفركم وقبل إسلامكم، في ذلك من خطأ وذنب ومعصية، فصافحٌ عنكم، وتارك عقوبتكم عليه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم إن أطعتموه.

س: اذكر آيتين في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]؟

ج: أما الآية الأولى فهي قوله تعالى من سورة النحل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وثَمَّ آية أخرى من سورة المائدة: قال الله ع: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ..إلى قوله تعالى:.. فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] **عامٌّ فهل جاءه تخصيص؟**

ج: نعم خصصت الآية الكريمة.

فالميتة أبيح منها ميتة السمك والجراد؛ قال الله ع: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾[1] [المائدة: ٩٦] وحديث جابر ڤ في العنبر يخصص

(1) قال الشنقيطي $ (أضواء البيان): قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣] الآية ظاهر هذه الآية: أن جميع أنواع الميتة والدم حرام، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر =

الآية الكريمة وكذلك[1] الحوت الذي قذفه البحر لأصحاب رسول الله ﷺ فأكلوا

=خارجة عن ذلك التحريم، وهو قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ [المائدة: ٩٦] الآية، إذ ليس للبحر طعام غير الصيد إلا ميتته وما ذكره بعض العلماء من أن المراد بـ(طعامه) قديده المجفف بالملح مثلاً، وأن المراد بـ (صيده) الطري منه، فهو خلاف الظاهر لأن القديد من صيده فهو صيد جعل قديدًا، وجمهور العلماء على أن المراد بطعامه ميتته.

۞ **وقال القرطبي خ:** وأكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها.

(1) أخرج البخاري (1634)، ومسلم (حديث 5391) من حديث جابر بن عبد الله ڤ قال: بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة راكب. وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح. نرصد عيرًا لقريش. فأقمنا بالساحل نصف شهر. فأصابنا جوع شديدٌ. حتى أكلنا الخبط. فسمي جيش الخبط. فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر. فأكلنا منها نصف شهر. وادهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا[1] قال: فأخذ أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه فنصبه[2].

ثم نظر إلى أطول رجل في الجيش، وأطول جملٍ فحمله عليه، فمر تحته. قال: وجلس في حجاج[3] عينه نفرٌ. قال: وأخرجنا من وقب عينه كذا وكذا قلة ودكٍ[4]. قال: وكان معنا جرابٌ من تمرٍ فكان أبو عبيدة يعطي كل رجلٍ منا قبضة قبضة ثم أعطانا تمرةً تمرةً. فلما فنى وجدنا فقده.

وفي رواية لمسلم (ص5351) عن جابر. قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة. نتلقى عيرًا[5] لقريش. وزودنا جرابًا[6] من تمرٍ لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً. قال فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها[7] كما يمص الصبي. ثم نشرب عليه من الماء. فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصينا الخبط[8]. ثم نبله بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا على ساحل البحر. فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب[9] الضخم. فأتيناه فإذا هي دابةٌ تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميتةٌ ثم قال: لا. بل نحن رسل رسول الله ﷺ. وفي سبيل الله. وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهرًا. ونحن ثلاث مائةٍ حتى سمنا. قال: ولقد رأيتنا نغترف

---

(1) ثابت أجسامنا، أي: رجعت إلى الحالة الأولى.
(2) فنصبه، كذا هو في النسخ: فنصبه. والضلع مؤنث. ووجه التذكير أنه اراد العضو.
(3) حجاج، الحاء مكسورة ومفتوحة. لغتان مشهورتان. وهو بمعنى وقب عينه المذكور في الرواية السابقة.
(4) ودك: هو دسم اللحم.
(5) عيرًا: العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره.
(6) جرابًا: بكسر الجيم وفتحها. الكسر أفصح، وهو: وعاء من جلد.
(7) نمصها: بفتح الميم وضمها. الفتح أفصح وأشهر.
(8) الخبط: ورق السلم.
(9) الكثيب: هو الرمل المستطيل المجدوب.

من وقب[1] عينه، بالقلال[2] الدهن منه الفدر[3] كالثور (أو كقدر الثور[4]) فلقد أخذ منا أبو عبيدة =

منه وقول النبي ﷺ في البحر: **«هو الطهور ماؤه الحل ميتته»**(1).

وقال ابن عمر: أحلت لنا ميتتان ودمان؛ أما الميتتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال(2).

=ثلاثة عشر رجلاً. فأقعدهم في وقب عينه. وأخذ ضلعًا. من أضلاعه فأقامها ثم رحل(5) أعظم بعير معنا. فمر من تحتها. وتزودنا من لحمه وشائق(6). فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ. فذكرنا ذلك له. فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم. فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه. فأكله.

وأخرج مسلم كذلك في آخر صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ﭬ (حديث 4103): وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فاطَّبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا، قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعًا من أضلاعه فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل تحته ما يطأطئ رأسه.

(1) صححه عددٌ من أهل العلم منهم البخاري $ (ليس معنى ذلك أنه أخرجه في صحيحه، فقد يصحح البخاري أحاديث ليست في صحيحه، والحديث ليس في صحيح البخاري) ولمزيد من الوقوف على طرقه ومن صححه وأقوال العلماء فيه انظر التلخيص الحبير (حديث رقم 1) فهو أول حديث فيه.

(2) صحيح موقوفًا على ابن عمر ﭬ لكن له حكم الرفع فقول الصحابي: (أُحل لنا كذا)، له حكم الرفع عند جمهور المحدثين، وقد رواه موقوفًا على ابن عمر البيهقي خ في «السنن الكبرى» (452/1) وفي «السنن الصغرى» (804/2) وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان... الحديث»، وقد أخرجه من هذا الوجه المرفوع الشافعي في مسنده (ص043)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (14/2)، وأحمد في «المسند» (79/2)، وابن ماجه في سننه (8123، 4133)، والبيهقي في «الكبرى» (752/9)، (7/01) وفي المعرفة (191/7)، وابن عدي في «الكامل» (172/4، 452)، والدارقطني في «السنن» (172/4، 272) وغيرهم لكن رجح أكثر أهل العلم الموقوف وصوبوا أنه من قول ابن عمر ﭬ.

ومن رجح الموقوف الدارقطني والبيهقي وقبلهما أبو حاتم الرازي.

---

(1) وقب: هو داخل عينه ونقرتها.

(2) بالقلال، جمع قلة: وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديها، أي: بحملها.

(3) الفدر: هي القطع.

(4) كقدر الثور: رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا: أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة، أي: مثل الثور، والثاني كفدر جمع فدرة. والأول أصح.

(5) رحل، أي: جعل عليه رحلًا.

(6) وشائق: قال أبو عبيد: هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء، ولا ينضج، ويحمل في الأسفار. يقال: وشقت اللحم فاتشق. والوشيقة الواحدة منه. والجمع وشائق ووشق. وقيل: الوشيقة القديد.

=

والدم قد خصص بالدم المسفوح كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ...﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥].

وخرج منه أيضًا الكبد والطحال على ما تقدم، وكذلك الدم الذي في العروق وعلى اللحم بعد الذبح كما سيأتي (كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم).

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في استعمال أنفحة الميتة؟

ج: أوردها القرطبي مختصرة فقال:

فأما أنفحة الميتة ولبن الميتة فقال الشافعي: ذلك نجس؛ لعموم قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [البقرة:١٧٣] وقال أبو حنيفة بطهارتهما؛ ولم يجعل لموضع الخلقة أثرًا في تنجس ما جاوره مما حدث في خلقه، قال: ولذلك يؤكل اللحم بما فيه من العروق، مع القطع بمجاورة الدم لدواخلها من غير تطهير ولا غسل إجماعًا. وقال مالك نحو قول أبي حنيفة: إن ذلك لا ينجس بالموت، ولكن ينجس بمجاورة الوعاء النجس وهو مما لا يتأتى فيه الغسل. وكذلك الدجاجة تخرج منها البيضة بعد موتها؛ لأن البيضة لينة في حكم المائع قبل خروجها، وإنما تجمد وتصلب بالهواء.

قال ابن خويز منداد: فإن قيل: فقولكم يؤدي إلى خلاف الإجماع؛ وذلك أن النبي ﷺ والمسلمين بعده كانوا يأكلون الجبن وكان مجلوبًا إليهم من أرض العجم، ومعلوم أن ذبائح العجم وهم مجوس ميتة، ولم يعتدوا بأن يكون مجمدًا بأنفحة ميتة أو ذُكِّي. قيل له: قدر ما يقع من الأنفحة في اللبن المجبن يسير؛ واليسير من النجاسة معفو عنه إذا خالط الكثير من المائع. هذا جواب على إحدى الروايتين. وعلى الرواية الأخرى إنما كان ذلك في أول الإسلام، ولا

= ووصف بعض أهل العلم الحديث المرفوع بالنكارة (وممن وصفه بذلك العقيلي في الضعفاء). وعلى كلٍّ فالموقوف هنا له حكم الرفع كما قدمناه، والله تعالى أعلم.

يمكن أحد أن ينقل أن الصحابة أكلت الجبن المحمول من أرض العجم، بل الجبن ليس من طعام العرب؛ فلما انتشر المسلمون في أرض العجم بالفتوح صارت الذبائح لهم؛ فمن أين لنا أن النبي ﷺ والصحابة أكلت جبنًا فضلاً عن أن يكون محمولاً من أرض العجم ومعمولاً من أنفحة ذبائحهم!

س: يشق على الشخص، وهو ينظف الذبيحة أن يخلصها تمامًا من الدم الموجود باللحم والعروق فماذا يصنع؟

ج: لا بأس بطبخ اللحم وهو على هذه الحالة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقد قيد الدم الممنوع بالدم المسفوح، قال القرطبي خ:

قال ابن خويز منداد: وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى، ومعفو عما تعم به البلوى. والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه، ويسيره في البدن والثوب يصلى فيه. وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، وقال في موضع آخر: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] فحرم المسفوح من الدم. وقد روت عائشة ڤ قالت: كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله ﷺ تعلوها الصفرة من الدم فنأكل ولا ننكره؛ لأن التحفظ من هذا إصْرٌ وفيه مشقة، والإصر والمشقة في الدين موضوع. وهذا أصل في الشرع، أن كل ما حرجت الأمة في أداء العبادة فيه وثقل عليها سقطت العبادة عنها فيه؛ ألا ترى أن المضطر يأكل الميتة؛ وأن المريض يفطر ويتيمم في نحو ذلك.

قلت: ذكر الله الدم هاهنا مطلقًا، وقيده في الأنعام بقوله: ﴿مَّسۡفُوحًا﴾، وحمل العلماء هاهنا المطلق على المقيد إجماعًا. فالدم هنا يراد به المسفوح؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه.

س: ما حكم شحم الخنزير؟

ج: قال القرطبي $: أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير. وكذلك نقل هذا الإجماع ابن جزي الكلبي في تفسيره ونقله أيضًا غير واحد من العلماء.

۞ وقال ابن العربي في أحكام القرآن: اتفقت الأمة على أن (لحم)(1) الخنزير حرام بجميع أجزائه، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه، وقد شغفت جماعة المبتدعة بأن تقول: فما بال شحمه، بأي شيء حرم؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال لحمًا فقد قال شحمًا ومن قال شحمًا فلم يقل لحمًا، إذ كل شحم لحم و ليس كل لحم شحمًا من جهة اختصاص اللفظ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية، كما أن كل حمدٍ شكر وليس كل شكر حمدًا من جهة ذكر النعم، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم.

|

س: ما حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة والدم...؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي $ في أضواء البيان بقوله: حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة، هو الخوف من الهلاك علمًا أو ظنًّا.

قال الزرقاني في شرح قول مالك في الموطأ ما جاء فيمن يضطر إلى أكل الميتة:

وحد الاضطرار أن يخاف على نفسه الهلاك علمًا أو ظنًّا. ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت، فإن الأكل عند ذلك لا يفيد.

وقال النووي في شرح المهذب: الثانية في حد الضرورة:

قال أصحابنا: لا خلاف أن الجوع القوي لا يكفي لتناول الميتة ونحوها، قالوا: ولا خلاف أنه لا يجب الامتناع إلى الإشراف على الهلاك؛ فإن الأكل حينئذ لا ينفع، ولو انتهى إلى تلك الحال لم يحل له أكلها؛ لأنه غير مفيد، واتفقوا على جواز الأكل إذا خاف على نفسه لو لم يأكل من جوع أو ضعف عن المشي

---

(1) كلمة (لحم) مثبتة في بعض النسخ، محذوفة من البعض الآخر، والذي يبدو لي أن الأولى حذفها، والله أعلم.

أو عن الركوب، وينقطع عن رفقته ويضيع، ونحو ذلك.

فلو خاف حدوث مرض مخوف في جنسه فهو كخوف الموت، وإن خاف طول المرض فكذلك في أصح الوجهين، وقيل: إنهما قولان، ولو عيل صبره، وأجهده الجوع، فهل يحل له الميتة ونحوها أم لا يحل حتى يصل إلى أدنى الرمق؟ فيه قولان ذكرهما البغوي وغيره، أصحهما: الحل.

قال إمام الحرمين وغيره: ولا يشترط فيما يخافه تيقن وقوعه لو لم يأكل، بل يكفي غلبة الظن، انتهى منه بلفظه. وقال ابن قدامة في المغني: إذا ثبت هذا فإن الضرورة المبيحة هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل، قال أحمد: إذا كان يخشى على نفسه سواء كان من الجوع، أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشي، وانقطع عن الرفقة فهلك أو يعجز عن الركوب فيهلك، ولا يتقيد ذلك بزمن محصور.

وحد الاضطرار عند الحنفية هو أن يخاف الهلاك على نفسه أو على عضو من أعضائه يقينًا كان أو ظنًّا، والله تعالى أعلم.

|

س: هل يجب الأكل من الميتة ونحوها إن خاف الهلاك أو يباح من غير وجوب؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي $ أيضًا فقال:

اختلف العلماء في ذلك، وأظهر القولين الوجوب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ومن هنا قال جمع من أهل الأصول: إن الرخصة قد تكون واجبة، كأكل الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منها، وهو الصحيح من مذهب مالك، وهو أحد الوجهين للشافعية، وهو أحد الوجهين عند ا لحنابلة أيضًا، وهو اختيار ابن حامد.

وهذا هو مذهب أبي حنيفة ـ رحمهم الله ـ وقال مسروق: من اضطر إلى

أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات، دخل النار إلا أن يعفو الله عنه.

وقال أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا: وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة بل هو عزيمة واجبة، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا، نقله القرطبي وغيره، وممن اختار عدم الوجوب ولو أدى عدم الأكل إلى الهلاك، أبو إسحاق من الشافعية، وأبو يوسف ـ صاحب أبي حنيفة ـ رحمهم الله، وغيرهم، واحتجوا بأن له غرضًا صحيحًا في تركه وهو اجتناب النجاسة، والأخذ بالعزيمة.

وقال ابن قدامة في المغني في وجه كل واحد من القولين ما نصه: وهل يجب الأكل من الميتة على المضطر فيه وجهان:

أحدهما: يجب وهو قول مسروق، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي قال الأثرم: سئل أبو عبدالله عن المضطر يجد الميتة ولم يأكل، فذكر قول مسروق: من اضطر فلم يأكل ولم يشرب دخل النار. وهذا اختيار ابن حامد. وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وترك الأكل مع إمكانه في هذا الحال إلقاء بيده إلى التهلكة، وقال الله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحله الله فلزمه، كما لو كان معه طعام حلال.

والثاني: لا يلزمه؛ لما روي عن عبدالله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ: أن طاغية الروم حبسه في بيت وجعل معه خمرًا ممزوجًا بماء، ولحم خنزير مشوي ثلاثة أيام، فلم يأكل ولم يشرب حتى مال رأسه من الجوع والعطش وخشوا موته، فأخرجوه فقال: قد كان الله أحله لي، لأني مضطر، ولكن لم أكن لأشمتك بدين الإسلام، ولأن إباحة الأكل رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص، ولأن له غرضًا في اجتناب النجاسة والأخذ بالعزيمة، وربما لم تطب نفسه بتناول الميتة، وفارق الحلال في الأصل من هذه الوجوه. وقد

قدمنا أن أظهر القولين دليلاً وجوب تناول ما يمسك الحياة، لأن الإنسان لا يجوز له إهلاك نفسه، والعلم عند الله تعالى.

|

س: هل يُقدم المضطر الميتة أو مال الغير؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي $ كذلك فقال:

اختلف العلماء في ذلك: فذهب مالك إلى أنه يقدم مال الغير إن لم يخف أن يجعل سارقًا ويحكم عليه بالقطع. ففي موطئه ما نصه: وسئل مالك عن الرجل يضطر إلى الميتة أيأكل منها وهو يجد ثمرًا لقوم أو زرعًا أو غنمًا بمكانه ذلك، قال مالك: إن ظن أن أهل ذلك الثمر، أو الزرع، أو الغنم يصدقونه بضرورته حتى لا يعد سارقًا فتقطع يده، رأيت أن يأكل من أي ذلك وجد ما يرد جوعه ولا يحمل منه شيئًا. وذلك أحب إلي من أن يأكل الميتة...

وإن هو خشي ألا يصدقوه. وأن يعد سارقًا بما أصاب من ذلك، فإن أكل الميتة خير له عندي. وله في أكل الميتة على هذا الوجه سعة مع أني أخاف أن يعدو عادٍ ممن لم يضطر إلى الميتة يريد استجازة أموال الناس وزروعهم وثمارهم بذلك بدون اضطرار.

قال مالك: وهذا أحسن ما سمعت. اهـ. وقال ابن حبيب: إن حضر صاحب المال فحق عليه أن يأذن له في الأكل. فإن منعه فجائز للذي خاف الموت أن يقاتله حتى يصل إلى أكل ما يرد نفسه. الباجي: يريد أنه يدعوه أولاً إلى أن يبيعه بثمن في ذمته، فإن أبى استطعمه، فإن أبى أعلمه أنه يقاتله عليه.

وقال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره الذي قال فيه مبينًا لما به الفتوى عاطفًا على ما يقدم المضطر على الميتة وطعام غيره إن لم يخف القطع، وقاتل عليه. هذا هو حاصل المذهب المالكي في هذه المسألة.

ومذهب الشافعي فيها: هو ما ذكره النووي في شرح المهذب بقوله: المسألة الثامنة: إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير وهو غائب فثلاثة أوجه. وقيل ثلاثة أقوال: أصحها يجب أكل الميتة، والثاني يجب أكل الطعام، والثالث يتخير

بينهما.

وأشار إمام الحرمين إلى أن هذا الخلاف مأخوذ من الخلاف في اجتماع حق الله تعالى وحق الآدمي، ولو كان صاحب الطعام حاضرًا، فإن بذله بلا عوض أو بثمن مثله أو بزيادة يتغابن الناس بمثلها ومعه ثمنه أو رضي بذمته لزمه القبول، ولم يجز أكل الميتة، فإن لم يبعه إلا بزيادة كثيرة فالمذهب، والذي قطع به العراقيون والطبريون وغيرهم: أنه لا يلزمه شراؤه ولكن يستحب، وإذا لم يلزمه الشراء فهو كما إذا لم يبذله أصلاً، وإذا لم يبذله لم يقاتله عليه المضطر إن خاف من المقاتلة على نفسه، أو خاف هلاك المالك في المقاتلة، بل يعدل إلى الميتة، وإن كان لا يخاف، لضعف المالك وسهولة دفعه فهو على الخلاف المذكور فيما إذا كان غائبًا، هذا كله تفريع على المذهب الصحيح. وقال البغوي: يشتريه بالثمن الغالي، ولا يأكل الميتة ثم يجيء الخلاف السابق في أنه يلزمه المسمى أو ثمن المثل، قال: وإذا لم يبذل أصلاً، وقلنا طعام الغير أولى من الميتة يجوز أن يقاتله ويأخذه قهرًا والله أعلم. وحاصل مذهب الإمام أحمد في هذه المسألة أنه يقدم الميتة على طعام الغير .قال الخرقي في مختصره:ومن اضطر فأصاب الميتة وخبزًا لا يعرف مالكه أكل الميتة.اهـ.

وقال ابن قدامة في المغني في شرحه لهذا الكلام ما نصه: وبهذا قال سعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم. وقال مالك: إن كانوا يصدقونه أنه مضطر أكل من الزرع والثمر، وشرب اللبن، وإن خاف أن تقطع يده أو لا يقبل منه؛ أكل الميتة، ولأصحاب الشافعي وجهان:

أحدهما: يأكل الطعام وهو قول عبد الله بن دينار، لأنه قادر على الطعام الحلال فلم يجز له أكل الميتة كما لو بذله له صاحبه.

ولنا أن أكل الميتة منصوص عليه،ومال الآدمي مجتهد فيه، والعدول إلى المنصوص عليه أولى، ولأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الآدمي مبنية على الشح والتضييق، ولأن حق الآدمي تلزمه غرامته وحق الله لا عوض له.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ
بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ
فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦

الكلمة	معناها
﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾	لا يطهرهم من دنس الذنوب.
﴿أَلِيمٌ﴾	مؤلم موجع.
﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾	فما أجرأهم على العمل الذي يدخلهم النار ـ العجب كيف يتحملون النار؟ كيف سيصبرون على النار؟
﴿شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾	منازعة ومفارقة للحق بعيدة عن الرشد والصواب.

س: من الذين كتموا ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟ وما الشيء الذي كتموه؟

ج: الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب هم اليهود والنصارى(1)، والذي كتموه جملة أمور، منها صفة محمد ﷺ،ومنها أمور أخر تتعلق بالحدود(2) وغيرها.

۞ وقد أخرج الطبري $(3) بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٤] الآية كلها: هم أهل الكتاب كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى من بعث محمد ﷺ وأمره.

س: الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٤] يرجع إلى ماذا؟ وضح المعنى بعض الإيضاح؟

ج: الضمير في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلى المكتوم أي: أنهم يشترون بالشيء الذي كتموه ثمنًا قليلاً، فمحتمل أنهم كانوا يأخذون مقابل كتمانهم أمر محمد ﷺ بعض الرشاوي أو يظنون أنهم يحصِّلون بعض الجاه والمنزلة عند أتباعهم، ويحتمل أيضًا أنهم يحرفون الكتاب ويأخذون عوضًا مقابل تحريفه بما يتمشى مع أهل الشرف والمال منهم، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار. وأطلق على ما يأكلونه أنه نار باعتبار ما سيئول إليه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، والله أعلم.

---

(1) وأكثر من كتم اليهود.
(2) وذلك كآية الرجم ونحوها، وقد تقدم ذلك.
(3) الطبري (أثر رقم 4942).

س: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤] فنفى سبحانه تكليمه للكفار في هذه الآية الكريمة، وقد أثبته في آيات أخر، اذكر بعض الآيات التي ثبت فيها أن الله ٥ يكلم الكفار، وكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله للكفار والآيات التي أثبتت ذلك؟

ج: من الآيات التي ورد فيها أن الرب سبحانه يكلم الكفار قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١١٤].

أما وجه الجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله عز و جل للكفار والآيات التي أثبتت ذلك فهو أن تحمل الآيات التي نفت الكلام على أنها نفت كلامًا مخصوصًا وهو الكلام الذي يأتي من ورائه بشارة أو خير للكافرين، أما الآيات التي أثبتت فأثبتت نوعًا من الكلام يحمل التعذيب والتأنيب والتوبيخ لأهل الكفر، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [البقرة: ١٧٥]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أولئك الذين اتبعوا الضلالة تركوا الهدى، وأخذوا ما يوجب لهم العذاب وتركوا ما يجلب لهم المغفرة.

س: قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] ما معناه؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال، منها:

الأول: فما الذي جرأهم على النار.

وقد أخرج الطبري خ بإسناد حسن (1) عن قتادة: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] يقول: فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار.

الثاني: فأي شيء صبرهم على النار، وانظر السؤال الآتي وإجابته.

|

س: (ما) في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٥] ما معناها؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا استفهامية، والمعنى: ما الذي أصبرهم على النار؟

وقد أخرج الطبري بإسناده (2) إلى ابن جريج قال، قال لي عطاء: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٥] قال: ما يصبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل؟

وأخرج من طريق أبي كريب (3) قال: سئل أبو بكر بن عياش: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] قال:هذا استفهام، ولو كانت من الصبر قال: (فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ) رفعًا، قال: يقال للرجل: (ما أصبرك) ما الذي فعل بك هذا؟

وأخرج كذلك بإسناد صحيح (4) إلى ابن زيد قال: هذا استفهام، يقول: ما هذا الذي صبرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا؟!!

۞ومن أهل العلم من يرى أنها للتعجب، والمعنى: فما أشد جرأتهم على النار حتى عملوا بعمل أهلها.

وهذا التعجب كالتعجب في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧] تعجبًا من كفره، فالعجب من صبرهم على الأعمال التي تودي بهم إلى النار، وقد علموا أن شراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة موجب للنار.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

---

(1) الطبري (أثر رقم 0052).
(2) أخرجه الطبري (أثر 8052).
(3) أخرجه الطبري (9052).
(4) أخرجه الطبري (0152).

قال الطبري $: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: ما أجرأهم على النار، بمعنى: ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها. وذلك أنه مسموع من العرب: (ما أصبر فلانًا على الله)، بمعنى: ما أجرأ فلانًا على الله! وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله ع من أمر محمد ﷺ ونبوته، واشترائهم بكتمان ذلك ثمنًا قليلاً من السحت والرشى التي أعطوها ـ على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك مع علمهم بأن ذلك موجبٌ لهم سخط الله وأليم عقابه.

وإنما معنى ذلك: فما أجرأهم على عذاب النار! ولكن اجتزئ بذكر (النار) من ذكر (عذابها)، كما يقال: (ما أشبه سخاءك بحاتم)، بمعنى: ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم، (وما أشبه شجاعتك بعنترة).

وقال الحافظ ابن كثير $: وقوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥] يُخبر تعالى أنهم في عذاب شديد هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذًا بالله من ذلك، وقيل: معنى قوله: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥] أي: فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار.

وقال الزمخشري في كشافه(1): ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥] تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان: ما أصبرك على القيد والسجن، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب، وقيل: فما أصبرهم: فأي شيء صبَّرهم، يقال: أصبره على كذا وصبَّره بمعنى، وهذا أصل معنى فعل التعجب، والذي روي عن الكسائي أنه قال: قال لي قاضي اليمن بمكة: اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه، فقال له: ما أصبرك

(1) لا يخفى علينا حال الزمخشري من الاعتزال، ومن كان مثله يهجر من كلامه ما يخالف فيه أهل السنة والجماعة، ويبقى شأنه في الباقي شأن غيره من أهل العلم.

على الله، فمعناه: ما أصبرك على عذاب الله.

وقال الشوكاني $ (فتح القدير 1 / 171): وقوله: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥] ذهب الجمهور، ومنهم الحسن ومجاهد إلى أن معناه التعجب، والمراد: تعجيب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم، وحكى الزجاج أن المعنى: ما أبقاهم على النار، من قولهم: ما أصبر فلانًا على الحبس، أي: ما أبقاه فيه، قيل: المعنى: ما أقل جزعهم من النار، فجعل قلة الجزع صبرًا، وقال الكسائي وقطرب: أي: ما أدومهم على عمل أهل النار، وقيل: (ما) استفهامية، ومعناه التوبيخ، أي: أي شيء أصبرهم على عمل أهل النار قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة(1) .

س: (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦]؟ يرجع إلى ماذا؟

ج: الذي يظهر لي ـ والعلم عند الله ـ أنه يرجع إلى أنواع التعذيب المذكورة، فيكون المعنى: ذلك التعذيب(2) الذي ذكرناه وأنه يحل بالذين

---

(1) **هنا تنبيهان:**

أولهما: أن كثيرًا من أهل العلم يتساهلون في تصحيح الآثار ونسبتها إلى قائليها فلا يكادون يدققون كثيرًا في هذا الباب، فكم من أثر يعزى إلى ابن عباس أو مجاهد أو عطاء مثلاً ويكون فيه ضعف ولا يبينون هذا الضعف، فالآثار التي أوردها أنا أتحرى فيها الصحة أو الحسن وأُبين ذلك، أما الآثار التي ترد عند ذكر بعض أقوال أهل العلم وينقلونها في كلامهم كما نقل الشوكاني $ مثلاً عن ابن عباس والسدي.. فالعهدة فيها على قائلها (أي:على الشوكاني) وإن كنت في بعض الأحيان أنبه على بعض ما فيها.

التنبيه الثاني: كثيرٌ من المفسرين ينقل بعضهم من بعض، وبعضهم يبالغ في ذلك فيسير وراء من نقل عنه وينقل عنه كلامه برمته ولا يبين ممن أخذه، وممن يسلك هذا المسلك صديق حسن خان $ فينقل من فتح القدير للشوكاني ولا يكاد يبين ويوضح ممن أخذه فلينتبه لذلك.

(2) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ [البقرة: ١٧٤].

يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلاً إنما حل بهم وحق عليهم لأن الله ٥ نزل الكتاب بالحق فكفروا به وخالفوه وكتموا ما فيه.

قاضل الطبري خ: وأولى الأقوال بتأويل الآية عندي: أن الله ـ تعالى ذكره ـ أشار بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾، إلى جميع ما حواه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]، من خبره عن أفعال أحبار اليهود، وذكره ما أعد لهم ـ تعالى ذكره ـ من العقاب على ذلك، فقال: هذا الذي فعلته هؤلاء الأحبارُ من اليهود ـ بكتمانهم الناس ما كتموا من أمر محمد ﷺ ونبوته مع علمهم به، طلبًا منهم لعرض من الدنيا خسيس ـ وبخلافهم أمري وطاعتي ـ وذلك ـ من تركي تطهيرهم وتزكيتهم وتكليمهم، وإعدادي لهم العذاب الأليم ـ بأني أنزلت كتابي بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه.

فيكون في (ذلك) حينئذ وجهان من الإعراب: رفعٌ ونصب. والرفع بـ (الباء)، والنصب بمعنى: فعلت ذلك بأني أنزلت كتابي بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. وترك ذكر (فكفروا به واختلفوا)، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه.

|

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]؟ ومن هم الذين اختلفوا فيه، وفيم اختلفوا؟

ج: أما الكتاب فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد به التوراة، والذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى، واختلفوا في جملة أمور منها اختلافهم في شأن عيسى، فزعمت اليهود أن التوراة ليس فيها ذكر عيسى وكفرت يهود بعيسى وبمريم ث.

أما النصارى فآمنوا ببعض ما في التوراة من شأن عيسى وكفروا ببعض آخر وهو أنهم ألَّهوا عيسى غ وجعلوه ربًّا يُعبد.

واليهود والنصارى كلاهما اختلفوا في شأن نبينا محمد ﷺ وفي صفته

المثبتة في كتبهم بعد أن حرفوها وكتموها.

واختلفوا في أمور أُخر كما قال النبي ﷺ: **«أضل الله من قبلنا عن يوم الجمعة...»** الحديث، فاختارت اليهود السبت واختارت النصارى الأحد.

۞ ومن العلماء من قال: إن المراد بالكتاب القرآن، والذين اختلفوا فيه اليهود والنصارى والمشركون.

أما وجه اختلافهم فاختلاف اليهود والنصارى فيه شيء مما ذكر سابقًا واختلاف المشركين في تقولهم على الكتاب فمنهم من قال: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ومنهم من قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥]، ومنهم من قال: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] إلى غير ذلك.

قال الطبري $: وأما قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، يعني بذلك: اليهود والنصارى. اختلفوا في كتاب الله، فكفرت اليهود بما قص الله فيه من قصص عيسى بن مريم وأمه. وصدقت النصارى ببعض ذلك، وكفروا ببعضه، وكفروا جميعًا بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد ﷺ. فقال لنبيه محمد ﷺ: إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب، كما قال الله ـ تعالى ذكره: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

كما حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط (1) عن السدي: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، يقول: هم اليهود والنصارى. يقول: هم في عداوة بعيدة. وقد بينت معنى (الشقاق)، فيما مضى، والله تعالى أعلم.

(1) أسباط وهو ابن نصر متكلم فيه .